

مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق

العدد ١٣٣٩ : سنة ١٩٢١ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

كانون الثاني وشباط سنة ١٩٤٦ م

صفر وشهر ربيع الأول سنة ١٣٦٥ هـ



دمشق

المجمع العلمي العربي

في سورية ولبنان ٨٠٠ قرش سوري

وفي جميع الاقطار ١٠٠٠ -

قيمة الاشتراك السنوي

الدفع مقدماً

مطبعة المشرق بدمشق

أغلاط الافرنج

من نظر في كتب من يعالجون من الافرنج مسائل المسلمين والاسلام يقع فيما دونوه على أغلاط مستغربة قد تدعو الى سوء الظن ببحثهم ودرهمهم . وتكثر هذه الأغلاط وتقل بحسب بعد المؤلف وقربه من ديار الاسلام . وأقل الكتابين غلطاً في هذا المعنى علماء المشرقيات فانهم ينصرفون الى دراسة بعض لغات الشرق وقد يعاشرهم بعض العرب والمسلمين ويرحلون الى اصقاعهم فيعرفونها معرفة لا بأس بها ويتعدون عن ارتكاب الفاحش من الأغلاط ، وخاصة اذا لم يكن لهم ضلع في السيامية .

وتنقسم هذه الأغلاط الى أقسام منها الغلط اللفظي ومنها الغلط الفكري او الحسي . ومنها ما ينشأ عن جهل الكاتب موضوعه كأن يرجع الى كتب ضعاف المؤلفين عندهم من مثل ارباب الرحلات المرتجلة والقصص الملفقة وكتابات المؤرخين المستأجرين والصحافيين المهرجين ممن يهمهم قبل كل أمر ان يحملوا الى قرائهم كل غريب فان لم يجدوا اخترعوا ما تمليه عليهم مخيلاتهم وأوردوه في معرض الحقائق . ومنها الخطأ العمد وهذا يسوق اليه التعصب الديني أو الغرض السيامي أو كلاهما معاً . وهذا الضرب من الأغلاط يكثر في الأمم اللاتينية أكثر من غيرهم وهي منبعثة فيهم عن احقاد قديمة متوارثة ونتيجة لازمة لقلّة عنايتهم بالتحقيق والتدقيق . ولا يتأني في هذه العجالة استقصاء ما حملته كتبهم ومجلاتهم من هذا القبيل ولذلك نجتزي بإيراد أمثلة منها يستدل الناظر البصير على مبلغ مؤلفيها من البحث . فمن أقدم هذه الأغلاط محاولة الصاق حريق مكتبة الاسكندرية بعمر بن الخطاب لينهبوا من ذلك الى ان الاسلام دين تخريب . وهذه الخزانة أحرقت بالتحقيق قبل الاسلام بقرنين ، وكان واضح هذه الأسطورة السمجة راهب شرقي فتلقفها دعاة التعصب في الغرب كأنها رحمة نزلت عليهم من السماء . وقد

رد هذه الفرية جهابذة النقد من الغربيين لعبدنا بعد ان راجت قروناً عند عاتيقهم ومن في حكمهم من المؤلفين .

ومن اغلاط الفكر المتعمدة ما روجه الآباء اليسوعيون للحط من قدر الاسلام وكانوا كيف داروا يخلطون ما لا اثر له إلا في أدمغتهم . وقد ردونا على بعض اغلاطهم فيما آزرنا فيه من المجلات وفي بعض ما ألفناه من الكتب . وفي مقدمة من كتب له التميز في هذا الباب عميدهم الأب هنري لامنس فانه صرف عمراً طويلاً في الطعن في الاسلام والعرب حتى دعوه في أوروبا المؤرخ المتخرب وأصبح العارفون هناك يأخذون كل قول له بتحيز شديد لأن الغرض ظهر على كل ما كتب . وقد تقدنا في المجلد الثاني والسادس والسابع من هذه المجلة ما ارتكبه من الاغلاط في تأليفه موجز تاريخ سورية (بالفرنسية) وأتيننا على تزيف ماشوه به وجه معلمة الاسلام Encyclopédie de l'Islam من المقالات النابية عن حد العقل والعدل . ومن قرأ مقالاته في هذه المعلقة وهي من أصح ما كتبه علماء المشرقيات في الشرق الاسلامي وعارضها بما كتبه غيره ممن لا مأرب لهم غير ذكر الواقع يعرف مبلغ افتثاته على تاريخنا وشرعنا وصاحبه وصحابته ، وكأنه آلى على نفسه أن يهدم ولا يبني ، وينكر ولا يثبت ، ويهرج ولا يحص .

ومن اغلاط الفكر الناشئة بالضرورة عن تعصب متأصل قول مؤلف تاريخ اسبانيا Walteufel : Esquisse de l'histoire d'Espagne ان هؤلاء العرب المتعصبين الذين أمرهم نبيهم ان يحملوا على الكفار وبذبحهم ليرضى عنهم خالقهم ! قد ساروا مع النصارى من سكان ايريا (أهل اسبانيا) بتسامح عجيب فأطلقوا لهم الحرية في دينهم وكانوا يحترمون معابدهم ويحفظونهم في أموالهم وأنفسهم ، وهو مثال من الحكم قلما جرى عليه الفاتحون وبكفي أن نذكر ما أتاه النورميون النصارى اصحاب غليوم الفاتح واتباعه حتى القرن الرابع عشر من ظلم السكسونيين أهل دينهم وما ارتكبوه في اخلافهم من الفظائع .

هذا ما قاله ونحن نرى انه كذب في حكمه على الرسول وصدق في قوله بأن المسلمين في الأندلس عاملوا نصاراها معاملة لم يقع لغالب ان عامل بها المغلوبين ، والأرجح أنه بنى حكمه في صاحب الرسالة على ما تلاه في بعض كتب رهبان القرون الوسطى وعما انتقل اليه في الدم من اجداده الذين كان من أهم مظاهرهم بغضة الاسلام وانكار فضل العرب . وحكم على تساهل المسلمين في الأندلس بأقوال المؤرخين المعاصرين وكان في حكمه مقلداً . ثم عاد لمكان التعصب من نفسه فأخذ بعد فقرات قليلة يصغر من شأن العرب في الأندلس ويقول انه لم يذشأ منهم سوى قليل من النبغاء من عيار ابن رشد . وليته قال لنا كم من فيلسوف اخرجت اسبانيا النصرانية في طويل عمرها ، واخذن أمماً كثيرة وكبيرة لم تخرج نصف عيار ابن رشد . ولو قرأ المؤلف كتاباً واحداً من الكتب المعتمدة في التاريخ خجل ان ينسب ما نسب الى محمد بن عبد الله الرسول العربي الأُمي من الشدة على غير أهل دينه ولعلم انه أوصى بأهل الذمة في كل فرصة ، وكذلك فعل اصحابه بعده ومن بعدهم . ولو كان حض على ارهاق النصارى وذبحهم كما زعم ذاك المؤلف كيف يجسر اخلافه ولو بعد قرون ان يخالفوا هديه ويعمدوا الى محاربة النصارى ؟ هراء أمله عقول ضيقة لا تستحق ان انصفنا ان يُرد عليها . وما ورد في الكتاب العزيز من الحث على قتال الكفار فانه قصد بهم مشركي العرب لا أهل الكتاب كما هو ظاهر لمن يقرأ القرآن ويفهمه .

ومن أغلاط الحس المنبعثة من استقراء ناقص ولا يليق صدوره من فيلسوف مثل رنان — وهو الرجل الذي طالما أعجب بمدينة العرب وما في الاسلام من فضائل وود لو يسلم لما رأى خشوع المسلمين في صلاتهم — ما اصدره من حكم جائر على المسلمين كافة في كتابه بعثة فينيقية Mission de Phénicie لما جاء الشام سنة ١٨٦٠ ليجري حفريات في جزيرة ارداد فرأى من سكانها بعض غلظة فقال ان المسلمين كلهم منخطون وكال لنا بالكيل الواقى بما شاهده من سوء معاملة صيادين خقراء أساءوا معاملته على ما ادعى .

ومن الغلطات الناشئة عن جهل على ما يظهر قول توفتر في كتاب فلسفة الحضارة
 Towner : Histoire de la civilisation ان خلفاء المغرب (يعني بني أمية
 في الأندلس) ساروا على مذهب علي رابع خلفاء محمد (أي كانوا علويين ١) .
 والغالب انه نقل هذا عن جيون في كتابه عظمة المملكة الرومانية وانحطاطها .
 ومما أخذ عنه توفتر ايضاً ان علياً كان وزير محمد وهو شاب لم يتجاوز الرابعة
 عشرة من سنه . وتوفتر هذا غلطات غير مقصودة نشأت فيما رأينا من ضعف
 استنتاج مثل قوله ان الفاتحين من العرب في ديار الغرب كانوا من أبناء
 النصرانيات اللاتي تزوجن من غير المسلمين فأخذوا منهم أظهر ما في الدم
 المسيحي ، ولئن دانوا بالاسلام وهم عرب بألسنتهم واسمائهم وأصول آبائهم فانهم
 لم يكن في دمهم من الدم العربي غير واحد من ستة عشر فقط . ومثل هذا
 قوله ان المسلمين على ارجح الظن صلوا الى شمالي افريقية ألفوا شرب الخمر
 وزاد غرامهم بالخمر لما بلغوا اسبانيا . وأغرب من هذا وذاك دعواه ان المسلمين
 لما كانوا يتعاطون الخمر فتحوا العالم فلما استعاضوا عنها بشرب القهوة تراجع أمرهم !
 ولو درس هذا المؤلف تاريخ المسلمين كما درسه صاحب حاضر العالم الاسلامي
 لوثر وب ستودارد الأميركي ولم يكتب كتابه حتى تلقى تاريخ الاسلام بضع
 سنين على أستاذ يحسن أخذ التاريخ من الكتب العربية مباشرة لكان أدرك
 انه لم يكن احد من المسلمين يجرأ على تعاطي الخمر في القرب الأول وبعده
 إلا في سر ذلك لأن الشدة في إقامة الحدود كانت بالغة المبالغ . وهذا النوع
 من المبالغة مثل مبالغته فيما نقله عن يونغ من ان الجيش الاسلامي الذي غزا
 فرنسا سنة ٧٣١م كان خمسمائة الف على الأقل ، وهذا العدد لم تصل اليه
 دولة من دول العرب لأن الجيش العربي الذي فتح الأندلس كلها لم يتجاوز
 الاثني عشر ألفاً ومهما غلونا في تقدير جيش العرب يوم بواتيه فلا يتأتى لنا
 إبلاغه الى خمسين ألفاً . علي أن سينوبوس المؤرخ يقول في كتابه التاريخ السليم
 للأمة الفرنسية Seignobos : Histoire sincère de la nation Française

أن أخبار انتصارات شارل (مارتيل) على المسلمين في يوانيه لم تصل إلينا إلا من طريق ضعيفة الثقة وليس من المؤكد كما زعموا أنه أنجى أوروبا من غارة العرب والعرب ما كانوا يريدون الإقامة إلا في الجنوب وجاءوا يوانية آيين من غزواتهم في تور وقد حالت الحرب الأهلية التي نشبت بين العرب والبربر دون هذه الإقامة .

ومن أغلاط اللفظ أو الترجمة ما قاله صاحب كتاب المرامي الاستقلالية في أوروبا Les aspirations autonomiques en Europe عند الكلام على المغلوبين على أمرهم في الصرب أنه تتألف منهم الرعية وفسر الرعية بالماشية وقال أنها مواشي حقيرة وجديرة بالاحتقار . وليس من المعقول أن تطلق دولة على رعاياها اسم الماشية أو السائمة فإن المترجم اختار أصل المعنى اللغوي وبني عليه وهو غير صواب . وفي « اللسان » الرعية (والجمع الرعايا) الماشية الراعية أو المرعية والراعي الوالي والرعية العامة . وهذا هو المقصود ، وقد جرت على الألسن كلمة الراعي والرعية مقرونين معاً عندما يراد إطلاق هذين اللفظين على الرئيس والمرؤوس والحاكم والمحكوم عليه .

ومن مضحكات الجفوات ما ارتكبه مؤلفا التاريخ العام ومؤازروهما Lavissee et Rambaud : Histoire générale Rome اختلط على الكاتب لفظ الروم برومية والفرق بينهما كبير جداً فإن الأتراك كان يقال لهم أبناء الروم أو الروم أي سكان آسيا الصغرى وبقي هذا الاسم يطلق عليهم إلى عهد قريب وكان يطلق على انبراطورية القسطنطينية مملكة الروم ولما فتحها العثمانيون بقي اسمها على ما كان أيام بني ملجوق أصحاب الأناضول قبل العثمانيين وكانت يقال لهم أيضاً سلاجقة الروم ولما فتح الترك العثمانيون ممالك البلقان أطلقوا عليها اسم روم إيلي . وأطلق علماء الجغرافيا من العرب اسم بلاد الروم على شبه جزيرة الأناضول . فالأتراك العثمانيون ليسوا إذاً أبناء رومية العظمى كما قال مؤلفا المحققون .

وفي هذا التاريخ أيضاً عند الكلام على حال جزيرة العرب في القرن الماضي (ص ٥٥١ ج ١١) ان محمد بن عبد الوهاب دعا في نجد الى اسقاط المذاهب المعتمدة عند اهل السنة (الحنفي والحنبلي والشافعي والمالكي) وقضى الا يعمل الا بالكتاب والسنة اي لا يقتدى إلا بمحمد وصحابته الأربعة مما ورد في الحديث وان مذهبه كاد ان يكون مذهب اعتزال جديد وأشار الى تحريمه شد الرحال لزيارة القبور والتوسل بغير الله الخ .

وقوله ان محمد بن عبد الوهاب خرج على مذهب احمد بن حنبل كما خرج على المذاهب المعروفة غير صحيح لأن ابن عبد الوهاب لم يدع الى مذهب جديد ابتدعه بل دعا الى مذهب احمد بن حنبل . وهذا المذهب كسائر المذاهب يشتد في انكار البدع فمذهبه لم يخرج عن المذهب الحنبلي في شيء وانما كان هذا المذهب ميتاً في نجد فأحياه وأعاد قومه الى حجر التوحيد وكره اليهم الشرك بالله . وأهل نجد لا يحبون ان يدعوا «وهابية» نسبة لمرشدهم الجديد ويفضلون ان يقال لهم سلفيون اي قائلون بمذهب السلف او حنابلة وهو الأقرب الى الواقع فان داعيتهم ما أخذ عن غير ابن حنبل ومن قال بقوله كابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية (راجع مقالتنا أصل الوهابية في مجلة المقتطف المجلد ٢٥ ص ١١٢) وفي هذا التاريخ أمور ظهر عليها جهل يستغرب صدور في سفر تعاورت أيدي كبار مؤرخي فرنسا على تأليفه وعدوه مثال الاجادة في التأليف وسلوكه في سلك مفاخرهم ولكن أنى يتجرد هؤلاء المؤرخون عن تربيتهم وهم اعداء كل ما يخالف ما اعتقدوه هم وآباؤهم ؟ . ان ما كتبوه في الجزء الأول من هذا الكتاب في سيرة الرسول يخجل من كتبه اجهل الناس لبعده عن حقيقة الرسول كثيراً ولا يليق بمؤرخ تدوين مثل هذه الهنات في أعظم شخصية عرفها التاريخ ، وليست حياته الشريفة بالجهولة وهي في متناول كل من أحب معرفتها وحكم عقله وامتشرف انصافه ولكن من مؤرخي اللاتين من يكتبون تواريخهم الى اليوم بعوامل سياسية وعوامل دينية مع الأسف .

ومن أعجب ما يدون ان سنيوبوس أكبر مؤرخي فرنسا في العهد الأخير ، وهو الرجل الذي قضى أكثر من ستين سنة يتعلم التاريخ ويعلمه ، لم يستطع ان يتحرر مما انتقل اليه من التعصب الموروث فقد قال في كتابه تاريخ الحضارة ان صاحب الرسالة كان رجلاً جباناً سوداوياً تنتابه عوارض من الحمى وتعرّوه نوبات عصبية وان المسلمين اعتادوا منذ القرن العاشر ان يغالوا ببلاغة القرآن ، ولم يكن هذا الاعجاب ببلاغته مألوفاً للعرب في القرون الوسطى ، ويرى احد العارفين (دوزي) ان معظم آيات القرآن قد كتبت بلغة عربية تكاد تكون الى الركافة ! وقد رددنا على هذا الهذيان في المجلد السابع من مجلة المقتبس وفي الجزء الأول من كتاب الاسلام والحضارة العربية .

ومعلوم ان اعدى اعداء الرسول لم يجرأ أن يصمه بالجبن وهو الذي طالما تعوذ بالله من الجبن والبخل والكذب كما ورد في الصحيح . وهل لسوداوي ان يؤثر ما أثره محمد عليه الصلاة والسلام في أمته وغير أمته ؟ ومن نسل الانسانية الملعونة كما نسلها ، ومن أخرج الناس من الظلمات الى النور كما كان منه ؟ اما القول في غلو المسلمين ببلاغة القرآن فضرب من السخافة . ومن الغريب ان يقول دوزي ان معظم القرآن كتب بلغة تكاد تكون الى الركافة . مع كل ما طعن به اليسوعيون في الاسلام فقد أقروا ان ليس له غير بلاغة كتابه ، ودوزي لم تقو المدنية الأخيرة ان تحرره من قول السخف في القرآن . وقد اعتذر نولده الألماني صاحب كتاب تاريخ القرآن عن أغلاط ارتكيبها في شبابه بقوله ان آثار تهوّر الشباب لا يمكن محوها كلها إلا بإعادة النظر فيها كتبوا او الابتداء بوضع تأليف جديدة تعني أثر القديعة فان كثيراً من المسائل التي كنت أعتقد بصحتها قليلاً أو كثيراً استبان لي فيما بعد أنها غير أكيدة . ولعل دوزي لو جاء لاعتذر بمثل هذا العذر وكذلك بعض من خلطوا في الكلام على الاسلام وهم لا يعرفونه وما كان خلطهم عن قصد سيء .

والمؤرخ سنيوبوس على جلالة قدره في فنه غلطات في الاسلام لا تصدر

عن أقل الكتّابين بضاعة منها قوله في كتابه نبذة في التاريخ المقابل للشعوب الاوربية
 Seignobos: Essai d'une histoire comparée des peuples de l'Europe
 حال دون تقدم النصارى في الأندلس غارة مؤلفة من أهل نخلة جديدة
 سميت بالمرايطين جاءت من مراكش واخضعت لسلطانها عامة اسبانيا الاسلامية .
 وما كان المرابطون أهل نخلة اي دين جديد بل كانت لهم طريقة ودعوا المرابطين
 لأنهم أخذوا على أنفسهم العهد ان يرابطوا في سبيل الله ومذهبهم كذاهب
 المسلمين في عهدهم وكان مذهب مالك .

ومن أغلاط الافرنج الفكرية المنبعثة من جهل بالجغرافيا ما جاء في معجم
 السياسة أو الدبلوماسية ، وهو كتاب كتب في أوله انه تأليف معظم رجال
 السياسة في الأرض أو ٢٧ رئيس حكومة و ٤٧ وزير خارجية و ٥١٢ سفيراً
 ووزيراً مفوضاً وكلهم أعضاء مشتركون بهذا العمل ينوبون عن ٧٣ دولة .
 تقول هذه المعلمة او دائرة المعارف السياسية أو المعجم السياسي ان حكومة العلويين
 تقع بين جبل الدروز ولبنان الكبير على البحر المتوسط وان سكانها ٢٦ ألفاً
 وعاصمتها اللاذقية في حين ان اللاذقية وحدها يبلغ سكانها نحو اربعين ألفاً
 وجبال العلويين لا تقل نفوسها كثيراً عن خمسمائة الف ، وجبل الدروز يبعد
 أكثر من مئتي كيلومتر عن جبال العلويين فهو في أقصى جنوبي شرقي سورية
 وأرض العلويين في الشمال الغربي من الديار الشامية .

وعلى ذكر العلويين لا بأس أن تفكه القراء بما جاء في كتاب دولة العلويين
 لمؤلفه بول جاكو P. Jacquot : L'Etat des Alaouites من ان النصيرية
 والاسماعيلية شعبان مختلفان ودينان متباينان ليسا من الاسلام في شيء وقد بقيت
 في أرضهم العبادات الفينيقية القديمة حيث يجد الدبنات الباطنيان النصيرية
 والاسماعيلية اشد اشياعهما غيرة وحماة .

وعجيب ان يفوت المؤلف - وقد عاونه في تأليفه ثلاثون رجلاً على
 ما ذكر في فاتحة كتابه - ان النصيرية والاسماعيلية شيعتان من شيع المسلمين

ويحاول ان يخرجها من الاسلام وجميع علماء الملل والنحل يقولون بأنها طائفتان اسلاميتان بأصلهما وشعائرها وعقائدهما فمن أين هذه الفصاحة في أنهم بقايا الفينيقيين وهم معروفون من أين أتوا وكيف تديروا تلك الأرجاء . وهذه أغلاط تليها السياسة الخرفاء .

وقد حاول بعض من كتبوا في أخبار لبنان من الافرنج ان يخرجوا الأمير فخر الدين المعني الثاني من أهل السنة ويكتموه بالدروز ومنهم من جهد ليقول إنه دان بالنصرانية . ولا يلزم من يحكم ولاية ان ينتحل مذهب أهلها . وفي رواية الصفدي مؤرخ الأمير فخر الدين هذا بلاغ لمن ينصف فقد قال ان الأمير فخر الدين لما ذهب الى طسقانة ونزل على أميرها كان معه إمامه في جملة من حمل من حاشيته وانه بنى جامعاً وأذنة في البلد الذي نزله في ايطاليا يدعو الى الصلاة في الأوقات الخمسة ويصلي جماعة مع إمامه وانه ماتت له ابنة فأبقاها في تابوت حتى اذا عاد الى وطنه نقل رفاتهما معه لتدفن في ديار الاسلام .

هذه أمثلة طفيفة عرضنا لذكرها ليأخذ منها الباحث فكرة عن العاشين بالحقائق من المؤلفين في الغرب . والمأمول ألا تغتر ناشتتنا بضخامة الألقاب التي يحملها بعض المؤلفين فقد ينشأ الغلط من الكبار ويكون أطول مقياساً مما هو في الصغار وفي القرباء أكثر منه في البعداء وفيمن يسمونهم بالعلماء أكثر من غيرهم من الطبقات .

وبعد فكثيراً ما وددت لو قام بعض أرباب الكفاءة منا فنشروا في القاهرة أو دمشق أو بغداد مجلة تعنى برد ما ينشر من هذا القبيل في الكتب والمجلات الافرنجية تدفع به هذه الأباطيل المقصودة عن تاريخنا ومقدساتنا وتنقي العلم من هذا الزؤان والزغل فعصرنا عصر دعاية ومن لا يدعو لما يهيمه لا يهتم له أحد ويظل التباين بينه وبين من يريد أن يكون معهم على وئام متأصلاً .

محمد كرد علي

بقايا الفصحاح

إذا قابلنا بين لغتنا العامة في هذه الأيام وبين ما تنأى إلينا من بعض بقايا اللغة العامة في أيام بني العباس وجدنا أن لغتنا العامة أعلى طبقة من اللغة العامة في ذلك العصر ، فمن آثار تلك اللغة ما جاء في الأغاني في كلام صاحبه على إبراهيم الموصلي ، قال : ذكر ابن خردادبه وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمنه كتبه أن سبب نسبة إبراهيم الموصلي إلى الموصل أنه كان إذا سكر كثيراً ما يغني على سبيل الولع :

أناجت من طرق موصل أحمل قلل خمريا
من شارب الملوك فلا بد من سكرها

أفلا نرى أن هذه التراكيب العامة دون تراكيبنا العامة في عصرنا ، فمن قول العامة في دمشق : ماشبت منه ، أي من النظر إليه ، أما لفرط جماله أو لطفه ، وأما الحسن هيأته أو غير ذلك ، وقد جاء في ذيل الأمازي مايلي : قال الحجاج لثابت بن قيس الأنصاري : ارث ابن أبيان ، فقال له : أني لأجد به ما كنت أجده بحسن (ابن ثابت) قال : وما كنت تجد به ، قال : مارأيت قط فشبت من رؤيته ...

فهذه لغة لا يتخلو من آثار اللغة الشعرية ...

ومن قول العامة في دمشق : ركبوها عليه ، وهم يريدون بذلك أنهم نسبوا إليه كلمة أو مسأله إما من باب الاقتراء وإما من باب الظرف ، فإذا قالوا : ركبوا عليه كذا أو كذا ... أرادوا مرة الاقتراء المطوي على شيء من الأذى ومرة السخرية المطوية على شيء من الظرف ، جاء في الإمامة والسياسة لابن قتيبة في كلام علي خروج علي من المدينة أن أخاه عقيلاً كتب إليه كتاباً جاء فيه : وإني خرجت معتمراً فلقيت عائشة ، معها طلحة والزبير وذوهمما وهم متوجهون إلى البصرة ، قد أظهروا الخلاف ونكسوا البعثة وركبوا عليك قتل عثمان ...

فان عقيلًا يريد بالتركيب في هذا المقام الاقتراء المشتعل على الأذى ،
وقد اشتقت عامتنا من هذه المادة اسم المرأة فقالت : تركيبة ، اي مسألة ملفقة .
وانتقل الآن الى كتاب الأغاني ، فاستخرج منه طائفة من التراكيب
الفصيحة التي لا تزال تجري على السنة عامتنا ، واني لأعتقد ان كتاب الاغاني
اذا خلد في تاريخ أدبنا على تعاقب العصور فان من جملة أسباب خلوده هذه
اللغة السهلة التي لا تزال نرى بقاياها في عامة أهل الشام . . .
من قولنا في دمشق : اجعل طريقك عليه ، أي مرّ به ، وهذا من
كلام العامة والخاصة ، جاء في الأغاني ، في أخبار اسحق بن ابراهيم مايلي :
حدث الزبير بن حماد قال : دخلت يوماً على الفضل بن الربيع مسلماً ، فقال
لي : قد عزمت غداً على الصبح ، فصر اليّ بكرة ، فكنت أنا والصبح
كفرسي رهان ، فلما اصبحت من غدي جعلت طريقني على اسحق بن ابراهيم . .
ومن قول العامة : فلان سقط من عيني ، وهم يريدون بذلك انه عمل
عملاً قبيحاً اما انه كذب أو سرق أو أحتال أو غير ذلك ، وهذا تركيب
فصيح ، فقد نقل صاحب الأغاني في أخبار يحيى المكي ونسبه كلاماً عن محمد
ابن أحمد بن يحيى المكي الذي قال : عمل جدي كتاباً في الاغاني وأهداه
الى عبد الله بن طاهر ، وهو يومئذ شاب حديث السن ، فاستحسنه وسرّ به ،
ثم عرضه على اسحق ، فعرفه عواراً كثيراً في نسبه ، لان جدي كان
لا يصحح لأحد نسبة صوت البتة ، وينسب صنعة الى المتقدمين وينحل
بعضهم صنعة بعض ضناً بذلك على غيره ، فسقط من عين عبد الله ، وبقي
في خزانته . . . فالضمير في سقط يرجع في هذا المقام الى الكتاب لا الى
يحيى المكي فالكتاب سقط من عين عبد الله بن طاهر لان فيه تخليطاً كثيراً .
ومن هذا القبيل قول العامة : مارأيت اسقط من فلان . . والمادة الواحدة
تدل على شيء من الازدراء والاحتقار ، فقد جاء في الاغاني في أخبار
بصبص جارية ابن نفيس مايلي :

فقبلها وغنته ثم قالت : أبا اسحق : أرأيت انقط من هؤلاء ، يدعونك ويخرجونني اليك ولا يشترون ويحاننا بدرهم ...

ومن تراكيب العامة في دمشق : لاتدخل بيني وبينه ، وهو مفهوم ، وقد جاء هذا التركيب في الأغاني في اخبار اسحق بن ابراهيم ، فقد نقل عون ابن محمد حديثاً عن اسحق ، قال اسحق : لاعبت الفضل بن الربيع بالرد ، فوقع بيننا خلاف ، فحلف وحلفت ، فغضب علي وهجرني ، فكثبت اليه أحياناً وعرضت الأبيات عليه فلما قرأها ضحك وقال : أشد من ذنبك انك لاترى لنفسك بذلك الفعل ذنباً ، والله لولا اني ادبتك أدب الرجل ولده وان حسنك وفيحك مضافان الي لا أنكرتني ، فاصلح الآن قلب عوف ، وكان يحجبه ، فغاضبته في ذلك ، فكثني بما كرهت ، فقلت : أتدخل بيني وبين الأمير ، اعزه الله ...

ومن قول العامة في دمشق : ماله معنى ، أي مالهذا الامر او العمل سبب أو حاجة أو مقتضى أو ماشابه ذلك ، وقد جاء في الأغاني في اخبار ابراهيم الموصلي خبر طويل ذكره حماد بن اسحق عن أبيه ، وهو يتعلق بشراء الرشيد لجارية من ابراهيم الموصلي بستة وثلاثين الف دينار ، وقد طلب الرشيد الى الفضل بن الربيع ان يتوسط بينه وبين ابراهيم الموصلي حتى يحط له ابراهيم من ثمنها ستة آلاف دينار ، فحط اثني عشر الف دينار ، قال اسحق لابنه حماد بعد هذه الحطيطة : وكنت قد أتيت جدك فقلت : ما كان لحطيطة هذا المال معنى ، وما هو بقليل ، فتغافل عني وقال : أنت أحق ، أنا أعرف الناس به ، والله لو أخذت المال منه كلاً ماأخذته الا وهو كاره ، ويحقد ذلك عني ، وكنت أكون عنده صغير القدر ، وقد مننت عليه وعلى الفضل ...

ومن التراكيب الفصيحة التي تستعملها العامة قولهم : عليه موعد ... وقد جاء في الأغاني في اخبار ابن مسحج ونسبه في خلال قصة طريقة تتعلق بقبض عامل الحجاز لمال ابن مسحج ونفيه مايلى : ثم قال : يافتيان ! هل فيكم من

يضيف رجلاً غريباً من اهل الحجاز ، فنظر بعضهم الى بعض ، و كان عليهم موعد ان يذهبوا الى قينة يقال لها بريق الالفق !

ومنها : كبسوا بيته . . . وهو مفهوم تريد العامة بذلك انهم دخلوا بيته وفتشوه وقد جاء في الاغاني في اخبار ابراهيم الموصلي حديث لعماد بن اسحق عن جده ابراهيم قال : فلما ولي موسى الهادي الخلافة استتر جدي منه ولم يظهر له ، بسبب الايمان التي حلقه بها المهدي ، فكانت منازلنا تكبس في كل وقت . . . ومن قول العامة في دمشق : عفت حياتي . . . وايس في كلام ياس مثل مافي هذا الكلام فاذا عاف الرجل حياته فما يطيب في نظره شيء من الدنيا ، وقد جاء هذا التركيب في شعر ابراهيم الموصلي ، قاله لموسى الهادي :

ولقد عفت في هواك حياتي وتغربت بين أهلي ومالي
ومن آثار اللغة الشعرية التي بقيت في عامة دمشق قولهم : الله أوصى بالجار . . . وقد ورد هذا التركيب في شعر الأحرص اذ قال :

ثنتان لأدنو بوصلهما عرس الخليل وجارة الجنب
اما الخليل فلست فاجعه والجار أوصاني به ربي
ومن لغة الطعام قولهم : حطوا على السفرة لونين أو ثلاثة أو اربعة ألوان ، وهم يريدون بذلك أنواع الطعام ، وقد جاء في الاغاني في اخبار أبي العتاهية مايلي : قال مسلم بن الوليد : كنت مستخفاً بشعراي العتاهية ، فلقيني يوماً فسألني أن اصير اليه ، فصرت اليه ، فجاءني بلون واحد فأكلنا . . .

* * *

أظن ان هذه التراكيب التي ذكرتها في هذا المقال وفي مقالات متقدمة أفصح من التركيب الآتي :

أناجت من طرق موصل أحمل قلل خمرها
أفلا نرى كل يوم دليلاً على ان دمشق حفظت من آثار لغتنا الفصيحة ما لم تحفظه غيرها من المدن .

شفيق جبيري

القضاء اللبناني^(١)

الوضع الاجتماعي

— ٣ —

مضت كلمتنا في القضاء اللبناني من الوجهة التاريخية . وهذه كلمتنا فيه من الوجهة الاجتماعية ، نوطي لها بهذا الموجز من القول :

كنت أريد ، والمؤتمر — مؤتمر المحامين — ان ينحصر البحث في أمر الاشتراع ، فلا يتعداه الى السياسة . غير ان من الخطباء من أبوا الا ان يجعلوا من السياسة تمهيداً للبحث في القانون ، كأنهم أرادوا ان يقيموا من الحدود السياسية المصنعة بين الأقطار العربية ، حدوداً اشتراعية ثابتة بين المحاكم العربية .

وقد أفاض احد الخطباء في ما يقوم في وجه الوحدة السياسية من عوائق ، افاضة مطولة مسهبه — والموضوع لم يك موضوعاً ، ولا المجال مجالاً — حتى خيل الى السامعين ان من وراء ذلك فكرة معينة ، تسترت لحمة ثم عادت فانكشفت عن حقيقتها ، فعاد معها الحديث عن الاشتراع حديثاً عن السياسة ، لأن السياسة كانت الهدف الأول في الموضوع ، لا مباحث الشريعة ولا مطالب القانون^(٢) .

قال الخطيب : « لكن المعروف أيضاً ، هو ان اختلاف الأسس بين شعب وشعب ، وبين دولة ودولة ، وبين جار وجار ، يوجد من الفوارق الأساسية ما لا يساعد على التوحيد والوحدة » .

وضرب على ذلك مثلاً : الفارق في الدستور . فقال : « ان دستوري سورية ولبنان . شكل الحكم فيها جمهوري ، وفي دساتير مصر ، والمملكة السعودية ، والعراق ، واليمن ملكي ، وفي شرق الأردن اماره » .

(١) تنمة ما هو مدرج في الجزء الحادي عشر من السنة العشرين . وهو «الخمسة المحاضرة التي أقيمت في مؤتمر المحامين ١٢/٨/١٩٢٢»

(٢) أجبنا عن ذلك في محاضرتنا ، بالكلمة التي اتسم لها المقام يومئذ ولا نرجم اليها هنا مرة ثانية .

وفي دستور لبنان فصل الدولة عن الدين ، واكتنهما جمعا في دساتير سورية ، ومصر ، والعراق ، وشرقي الأردن » .

نقول : الفارق في الدستور لا يقضي حتماً بفرق في القوانين ، ولا هو مما لا يساعد على التوحيد ، والوحدة في الاشتراع .

فكم من دولة انتقلت من ملكية الى جمهورية . ومنها ما انتقل شكل الحكم فيها من ملكية ، الى امبراطورية ، ثم الى جمهورية ، وظلت قوانينها هي ايها ، إلا ما اتصل منها مباشرة بشكل الحكم نفسه ، وهو شيء خاص ينحصر في الدستور خاصة ، بل في بعض مواده ، ولا يتعداه الى سائر القوانين . وما يتبدل من القوانين — عدا ذلك — انما يتبدل تبعاً للزمن والحاجة ؛ لا للتبدل في شكل الحكم .

بل كم من دولة أخذت قوانينها وشرائعها عن دولة أخرى ، وبين الدولتين من الفوارق الدستورية هوة سحيقة .

ولا نبعد كثيراً بل نصرب من أنفسنا مثلاً ، فلقد كانت الدولة العثمانية خلافة مطلقة « اوتوقراطية » فلم يمنعها هذا من ان تأخذ معظم قوانينها عن فرنسا وهي جمهورية شعبية (ديموقراطية) ثم انسلخ عن هذه الامبراطورية العثمانية من انسلخ من الشعوب والأقطار ، فألقوا حكومات ودولاً ، منها الملكية ، ومنها الجمهورية ، ومنها العسكرية ، ومنها الأميرية ، وكانت سورية ولبنان ، في جملة هذه الولايات المنسلخة ، وقد ظلت قوانين هذه البلدان وشرائعها واحدة ، حقبة من الزمن غير قليلة .

لا ان الفارق الدستوري ليس بالذي يحتم التفريق في التشريع ، هذه واحدة . واخرى هي ان لبنان راعى الطائفية مراعاة شديدة دقيقة ، وهو قائم كله — نقول هذا والآن لم يحز في نفوسنا — على أوضاع طائفية ، من اخص قدمه حتى قمة رأسه ، فقير لبنان ، وغير اهل لبنان ، من حقهم ان يعترضوا على الطائفية . نعم ! لقد قال الدستور السوري : « سورية جمهورية دين رئيسها الاسلام » ولم يقل الدستور اللبناني « لبنان جمهورية دين رئيسها المارونية » غير ان النصوص الفاظ جوفاء في ذات نفسها ، والقوانين والدساتير لا قيمة لها إلا على قدر تطبيقها وتنفيذها .

فلسطين الذي لم ينص دستوره على دين بعينه يدين به رئيس جمهوريته ، لا يكون رئيس جمهوريته - من حيث الواقع - الا مارونياً . ولم يقف الأمر عند الرئيس الأعلى كما هو في سورية ، بل تناول سائر الرئاسات ، بل ما هو دون الرئاسات . فاذا كانت رئيس الدولة في لبنان لا يكون إلا مارونياً ، فان رئيس الحكومة فيه لا يكون الا سنياً ، ووكيله ارثوذكسياً . ورئيس المجلس النيابي شيعياً . ولقد شهدنا من معارك التعيين والانتخابات لهذه المراكز ، ما كانت الغلبة فيها للطائفية أبداً . اما القول بأنه مع - اطلاق النص - « يمكن » و « يجوز » . فان « يمكن » و « يجوز » لا يصح الوثوق بها ، ولا الاعتماد عليها . فهي شيء موكول الى المستقبل ، وما قد يقع في المستقبل في لبنان ، قد يقع مثله وأكثر منه في سورية ، فكما ان السوابق قد تتحكم ، فان النصوص قد تتبدل . ثم اذا أبى آب ان ينزل السابقات المتبعة ، والعادات المرعية - وهي مالها حكم القانون - منزلة القانون المكتوب ، فان المادة ٦ و ٦ مكررة في الدستور اللبناني تنص نعتاً صريحاً على الحقوق الطائفية في لبنان ، - أفليس في هذا النص تحديد وتخصيص ، وتوزيع للوظائف يتناقى في كثير من حالاته - هو وعلمانية الجمهورية التي يزعمونها ، ويحجى في الذاكرة الطائفية المقسية ، بل يجعلها ابداً ماثلة للعيان ، وهو ما يشكو منه الأحرار في لبنان . فاذا كان 'يشكي من الطائفية في سورية مرة ، فانه يشكي منها في لبنان مرات .

نعود فنقول : اذا كان الدستور السوري حصر رئاسة الجمهورية في رجل دينه الاسلام . فلقد كان ذلك لأسباب دقيقة يعرفها كل من رافق الحركة السياسية في سورية من مسلمين وغير مسلمين ، على ان الدستور والتعامل السوريين اذا كانوا حصراً هذا المنصب الفرد حصراً دينياً ، فها قد اطلقا ما عداه من المناصب في الدولة اطلاقاً حراً واسعاً . فالوظائف في سورية من اكبرها حتى اصغرها مباحة - من حيث الطائفية - لكفاية السوريين . لا يفرق بينهم بين دين ودين ، حتى لتجد من اقلية الاقليات من يتبوا ارفع المناصب ، غير مدفوع منه ، ولا ممنوع عليه .

يقع هذا في سورية ، على حين يتنازعون في لبنان طائفيًا بل مذهبيًا على الوزير ، بل على الوزارة التي يجوز ان يقلدها الوزير بالنسبة الى مذهبه . بل يحصون حتى الشرطة والدرك والكتاب ، ثم يوزعونهم توزيعًا دينيًا^(١) .

ان اشتراط دين بعينه في رئاسة الدولة ، ليس له من سوء الأثر في احقاق الحق ، واقرار العدل ، ما لتوزيع الوظائف على الطوائف .

ثم هذه الولايات المتحدة التي تنادي بالحرية و « الديمقراطية » ألم يكن مذهب « اسمث » من اكبر العوامل في دفعه عن رئاسة الجمهورية في الانتخاب الأسبق . بل هذه انكثرت نفسها الذي اخذ عنها العالم التمدن في القرون المتأخرة مبدأ الحكم النيابي ، يشترط في ملكها ان يكون على مذهب معين هو دين الدولة الرسمي . وعاد الأستاذ ، وباسم العلم يبحث الفارق في الاشتراع المدني فيقول : « الشرعة المدنية أساس المجتمع ، وقد اجمعت القوانين الحديثة على تأسيس المجتمع على شرعة مدنية واحدة . . . والاحوال الشخصية في الاشتراع المدني هي القاعدة التي يتركز عليها كيان الحياة الاجتماعية ، لأن الأحوال الشخصية بما فيه الزواج وتعدد الزوجات ، والسفور والحجاب ، وحقوق المرأة ، والوصية ، والارث ؛ هي اساس العائلة ؛ والعائلة اساس المجتمع » .

وان امرأاً يسمع هذه الحجة لا يستطيع إلا ان يضحك منها بملء فيه . واضحك ما فيها انها اريدت ان تكون حجة دامغة ، تقوم على اساس من الحق والمنطق . . . ومن العلم أيضًا .

حصر الأستاذ بحثه هنا في الأحوال الشخصية واعرض عن ذكر سائر القوانين ، وكأنه يحتاج لهذا بأن « الأحوال الشخصية هي — كما قال — اساس العائلة ، والعائلة اساس المجتمع » فالقوانين في رأيه تقوم كلها على هذا الأساس . أو

(١) وفي لبنان ظاهرة انكى من هذا كله هي مداخلة الرؤساء الدينيين بشكل رسمي في الكبيرة والصغيرة من شؤون السياسة الخارجية والداخلية . وهو قل أن يعم بمثله اليوم في بلد من البلدان .

كأنه رأى في قانون الأحوال الشخصية ، وفي ذكره « الزواج والطلاق وتعدد الزوجات والوصية والارث . . » وهبة يستطيع ان يجعل من توسيعها ، الشقة التي يريد ان يقيمها بين وحدة الاشتراع في بلاد العرب .

وذكره هذه الأمور على الشكل الذي ذكره ، يوم ان في لبنان قانوناً خاصاً للأحوال الشخصية يجمع اللبنانيين كلهم تحت لوائه ، ويعملهم في وضع يختلف عن وضع اخوانهم العرب في سائر الأقطار العربية . وهذا غير الواقع ؛ فان لبنان ليس له قانون موحد للأحوال الشخصية ؛ بل له — كسائر بلاد العرب — قوانين هي في سورية وفي لبنان واحدة ؛ بل هي تكاد تكونها واحدة ، عند أبناء كل طائفة وأبناء كل مذهب ، من طوائف العرب ومذاهبهم الدينية ، في كل قطر من أقطارهم . ونوضح ذلك فنقول : ان لبنان — على ظاهر احصائه — نصفه مسلمون ونصفه مسيحيون — وفي كل طائفة من هاتين الطائفتين مذاهب . ولكل مذهب من هذه المذاهب محكمته الروحية الخاصة ، وقانونه الخاص . وكل قانون من هذه القوانين يختلف عن قوانين سائر الطوائف بل سائر المذاهب في لبنان ، ويتفق هو وقانون ابنائه في خارج لبنان . فقانون الأحوال الشخصية (وهو قانون العائلة) عند المسلم السني في لبنان ، لا علاقة له بقوانين المذاهب اللبنانية الأخرى ، ولكنه هو القانون المرعي عند المسلم السني في سورية . وما يقال عن هذا عند السنة ، بل عند المذاهب الاسلامية كافة ، يقال مثله واكثر عن المذاهب المسيحية . ذلك ان الطوائف المسيحية مرجعها الديني الأعلى في سورية ولبنان واحد ، وهذا المرجع هو صاحب السلطة الروحية والكنسية ، والولاية العامة في الأحوال الشخصية ولنا بعد ان نقول : ان الأحوال الشخصية التي جعلها المحاضر حاجزاً دون وحدة الاشتراع ، بل ارادها ان تكون عاملاً على فصم هذه الوحدة القائمة ، قد يجوز ان تكون كذلك بالنسبة الى لبنان نفسه ، أما بين سورية ولبنان فالأمر على العكس ؛ إذ الأحوال الشخصية هي العامل الأقوى ، بل العروة القانونية

الوثقي ، التي لا تزال تربط ما بين داخل الشام وساحله . فالحاكم الشرعية ، والحاكم المذهبية ، والحاكم الكنسية ، على اختلاف مذاهبها ، هي في سورية ولبنان : شكلاً وتأليفاً وموضوعاً وشريعةً وقانوناً وتعاملاً .

وبعد ، فأين هو الاشتراع المدني الذي يزعمه المحاضر ؟ هذا الاشتراع الذي ينشده فريق كبير فلا يجاب اليه ، لأن الذين يعرفهم الأستاذ ، وخاصة صاحبه الذي يعمل تحت لوائه ، لا يريد ، احتفاظاً بسلطته الدينية ونفوذ الطائفي .

نعم ! انه لو صحت حجة الرجل ، بأن الأوطان تقوم وحدتها السياسية ووحدتها الاشتراعية على شرعها المدنية وكيانها العائلي ؛ لكأن خليقاً بلبنان ان يقسم على نفسه ، وحاله حاله من اختلاف الشرائع والقوانين .

واذا كان من مغز في ذكر : « المرأة وحقوقها ، وتعدد الزوجات ، وقواعد الإرث . . » فالجواب عن هذا هين سهل . اما حقوق المرأة فلعله أصبح من الفضول ان نعود فنعدد للمرأة هذه الحقوق التي تمتعها بها الشريعة الاسلامية ، والقوانين المتبعة لها . فقد كثر فيها القول ، ووضعت لها الكتب . في العربية وفي غيرها من اللغات . والمرأة عندنا تمتع الى اليوم في كثير من الحقوق ، تمتعاً كاملاً مستقلاً عن سلطة الرجل ، بما لا تمتع به المرأة في كثير من البلدان الراقية . وأما تعدد الزوجات ، والنظر به الى انه شرعة دينية لا تسير الرأي المدني اليوم ، وان اباحته معناه رجوع الى العصور المتأخرة ، وانه لا يتوافق وحال شعب يريد النهوض والانفلات من القيود الدينية في احواله الشخصية ، فهذا شيء يقال مثله في تحريم الطلاق . فهو شرعة دينية يتقيد بها بعض اللبنانيين الى اليوم على مخالفتها للرأي العام المتمدن ؛ انا نريد أن نسأل : عما اذا كان تحريم الطلاق يقوم على الشرعة المدنية التي يزعمونها ؟

وأما الارث فان معظم اللبنانيين يجرون فيه حتى يومنا هذا على حكم الشريعة الاسلامية . حتى الفريق الأكبر من الذين وضع لهم قانون الوصية ، فقد

أهمّوه ، وظلّوا على حكم الشريعة : ذلك لأن أحكامها ولا سيما في هذه الناحية ، موافقة ليوهم وحاجاتهم ، مستمدة من طبائعهم وعاداتهم .

* * *

لا ! ليس بين الأقطار العربية عامة ، وبين سورية ولبنان خاصة ، ما يدعو . الى الاختلاف في الاشتراع ، إلاّ رغبات سياسية جامحة ، ليست من مصلحة أحد ان تكون .

وقد ذكرنا الماضي وما فيه من وشائج وصلات ، فلماذا يراد تفكيك هذه الروابط ، بل تقطيع هذه اللحمة ، وفي سبيل من تفكك وتقطع ؟ وهل يجمع من في لبنان كلهم على تقطيعها وتفكيكها ؟ أم ينقسمون فيها على أنفسهم . فيقول قوم بوصلها ، ويقول قوم بفصلها ، ونعود لا سمح الله كما كنا ، طوائف وطرائق .

عارف النصري

اسماء نباتات اعجمية

من أصل عربي

عندما كنت أجمع كلمات «معجم الألفاظ الزراعية» ، وأدقق في أصول أسماء النباتات التي اشتمل عليها ذلك المعجم ، وجدت ان بعض الأسماء الفرنسية والأسماء العلمية لعدد من النباتات الزراعية هي من أصل عربي ، اي انها مأخوذة من كلمات عربية النجار أو من كلمات عربية قديماً .

ولا يُظنُّ ان تقارب الاسمين العربي والفرنسي (او العلمي) هو ما جعلني أجزم كون الثاني ينتسب الى الأول . فتقارب الألفاظ وحده لا يكفي لبت وجود الصلات بين الاسماء . واتخاذ هذا التقارب وحده دليلاً قاطعاً على وجود صلات النسب بين الألفاظ العربية والألفاظ الأعجمية ليس من التحقيق العلمي بشيء ، بل هو تجنب على العلم .

ثم ان للتحقيق العلمي قواعد يجب على الباحثين في مثل هذا الموضوع الشائك ان يتعلموها ، قبل ان يرسلوا الكلام على عواهنه في أن الكلمة الأعجمية الفلانية هي من أصل عربي ، او ان الكلمة العربية الفلانية هي من أصل أعجمي . وإطلاق الرأي جزافاً في موضوعات مهمة كهذه الموضوعات يسيء الى لغتنا الضاربة ويدبنا في أعين العلماء ولا سيما الغربيين منهم .

فالأسماء الفرنسية والعلمية التي أتكلم عليها هي عربية النجار لا لأنها تشبه الأسماء العربية فحسب ، بل لأن الثقة من علماء النبات وعلماء أصول الكلم الفرنسية قد جزموا انها من أصل عربي . وهؤلاء العلماء لا يجزمون أموراً كهذه الا بعد مراجعة المستندات المقتعة التي تبين واضع الاسم ، وتاريخ وضعه له ، وجريان ذلك الاسم على الألسنة ، والتبدلات التي قد تكون طرأت عليه الخ . وبعد هاكم بعض هذه الأسماء مرتبة على حروف المعجم :

Abelmosch — من حبّ المسك . وهو نبات من فصيلة الخبازيات تستعمل بزوره في صناعة العطور .

Artichaut — من الحُرْشَف . بقل معروف تسميه العامة إنكنار وأرضي شوكي . وهذه الكلمة العامية الأخيرة من أرتيشو الفرنسية . فانظر كيف ترد العامة إلينا كإتينا العربية الفصيحة مشوهة ، وذلك شبيه بقول بعضهم في مصر الههرا بدلاً من الحمراء ، والكازار بدلاً من القصر .

Aubergine — محرفة عن كلمة « الباذنجان » العربية أي المعربة قايماً . وكذا الاسم العلمي الدال على النوع وهو Melongena فهو أيضاً محرف من الكلمة العربية . وقد ورد في الكتب النباتية الباحثة بإسهاب عن أصول أسماء النبات وفي المعجمات الباحثة بإسهاب عن أصول الكلم الفرنسية ما فيه كفاية عن تتابع تحريف الكلمة العربية المذكورة على كر السنين في اللغة الفرنسية .

Azerole — ثمرة الزعرور . وهي من Acerola الإسبانية . وهذه من كلمة زعرور العربية .

Caféier — من قهوة العربية . وكذا الاسم العلمي Coffea . والقهوة في اللغة الخمر . وهي بمعنى البن مولدة . وكلمة البن أيضاً مولدة .

Cakile — من القافلي . وهو غير القافلة أي الحال .

Caroubier — من الخروب . وهو شجر معروف .

Cat — من كلمة قات المعربة من الحبشية على ما يرجح .

Cheiranthus — اسم الجنس العلمي للمشور Giroflée . واسم الجنس العلمي هذا من كلمة خير ي العربية . والخييري نوع من أنواع المشور وهو المشور الأصفر .

Colocase — من القلقاس . وكذا الاسم العلمي لجنس هذا النبات .

Cotonnier — من القطن .

Cuscute — من الكشوث . وكذا الاسم العلمي . وهو النبات الطفيلي

الذي يسمى الهالوك في مصر والشام .

- Estragon — من Tarcon بلاتينية النباتيين . وهذه من طرخون
المعربة قديماً .
- Henné — من حناء العربية . وهي جنبة صبغية مشهورة من فصيلة الحنائيات
- Jasmin — من كمة ياسمين . وهذه من اصل فارسي .
- Ketmie - من الخطمي . وتطلق الكلمة الفرنسية على بضع نباتات من
فصيلة الخبازيات .
- Lablab — من اللبلاب ، والكلمة الفرنسية هذه تطلق على نوع من
اللوبيا . اما اللبلاب في العربية فكبيره يسمى Lierre والصغير Liseron .
- Limonier — من الليمون .
- Luffa — من لوف العربية . جنس نباتات معرشات للتزيين من القرعيات
- Musa — الاسم العلمي لجنس الموز . وهو من العربية .
- Nénuphar — من نيلوفر ونيثوفر العربيتين . وهما من كلمة فارسية ، وهذه
من كلمة سنسكريتية .
- Oranger — من نارنج المعربة قديماً ، وهي من أصل سنسكريتي . وقد
حوّث الفرنسيون معناها القديم ، فأصبحت تدل اليوم عندهم على البرتقال بدلاً
من النارنج اي Bigaradier .
- Pastèque — من بطيخ العربية .
- Pistachier — هذا الاسم والاسم العلمي من فستق العربية .
- Retama — من رتم العربية . وهو جنس جنبات للتزيين من القرنيات .
وتطلق كلمة الرتم أيضاً على غير هذا النبات .
- Safran — من Safranum اللاتينية . وهذه من زعفران العربية وهو جنس
نباتات بصلية صبغية من السوسنيات . ويسمى الجادي أيضاً .
- Scille — من إشقيل المعربة قديماً من اليونانية . وهو جنس العنقل من
الزنبقيات ، فيه انواع تزرع لزهرها .

- Sesbane — هذا الاسم والاسم العلمي من سَبَبَانِ العربية قديماً . وهو جنس
جنبات للتزيين من القرنيات .
- Sophora — من صُفَيْراء العربية . جنس شجر للتزيين من القرنيات الفراشية .
- Suæda fruticosa — جنبه من السرمقيات مبذولة في بقاع الشام الشرقية ،
يسمونها الفلاحون والعربان السُوَيْد بتشديد الواو . وذكر الثقاة من علماء النبات
ان اسم الجنس العلمي من اصل عربي . ولذا سميت النبات السُوَيْدَاء والسُوَيْد
وإن لم أجدهما بهذا المعنى في معجمائنا ولا في المفردات .
- Sumac — هو السُّمَّاق بالعربية . والفرنسة من العربية
- Tamarinier — من الاسم العلمي Tamarindus وهذا من التمر الهندي ، وهو
اسم هذا النبات بالعربية .
- هذه اثنتان وثلاثون كلمة أعجمية من أصول عربية لا شك فيها . وكلها تطلق على
نباتات زراعية . وعندى في هذا الموضوع بعض أسماء ربما ذكرتها في فرصة أخرى .

مصطفى السرايى

الكلمات اللغوية الطبية

وعدت القراء في مقالي السابق الذي جمعت عنوانه (حول المصطلحات الفنية) والمنشور في صفحة ١٥١ من مجلة السنة الماضية — بأن اكتب مقالاً خاصاً في تفسير الكلمات اللغوية الطبية التي سردها مردياً في ذلك المقال والتي تصلح ان تقوم في الاستعمال الطبي مقام الكلمات غير العربية . ولا يخفى ان النقاط الكلمات اللغوية الفنية من مظانها وتصنيفها ورد كل كلمة منها الى جنسها ثم التعليق عليها وعرضها على ارباب الفنون ليأخذ كل منهم ما يناسبه ويتعلق بفنه منها — صنيع اللغوي هذا هو من أخص وظائفه وأبينها أثراً في تنمية اللغة العربية وخدمة الفنون العصرية . وقد اشار الى ذلك بعض كبار الكتاب المصريين فقال :

« ان من افضل ما نخدم به اللغة العربية اليوم جمع الالفاظ الفنية المتفرقة في كتب اللغة وتدوينها في رسائل خاصة لتكون أساساً لما يوضع بعد بالاشتقاق والنحت والتعريب ومعيناً على هذا الوضع » اهـ

و كنت منذ سنين خلت اهتديت من نقسي الى مشورة هذا الكاتب الفاضل فكنت اتقصى الكلمات اللغوية التي تتعلق بالعلوم العصرية المختلفة وأدونها في دفاتر خاصة ومنها الكلمات المسرودة في المقال الآنف الذكر والتي عقدت هذا المقال من أجلها . وها هي ذي اذكرها واحدة واحدة وأعلق عليها ما قاله علماء اللغة في تفسيرها . وتحديد المعنى المراد منها . مع ما يعين لنا من الملاحظات والمقارنات .

(العلامة) فسروه بقولهم هو ما ينبعث من الوجع بعضه في إثر بعض : كالمحوم بدخل على حمّاه السعال والصداع اهـ ، فهو إذن يؤدي معنى بكّة (Complication) الطبية وقد ترجمها أساتذة الطب السوربون منذ أكثر من نصف قرن بكلمة (الاشتراك) وغيرهم بالاختلاط . وقد تقرر في مجامعنا اللغوية اخيراً انه لا ينبغي أن يصار في الاوضاع الى ترجمتها إلا بعد اليأس من وجود كلمة لغوية تؤدي

معناها . وهذه هي كلمة (العَاز) تؤدي هذا المعنى على ما يفهم من معاجم اللغة .
ويوجد في أطبائنا من يقول : ان كلمتي (الاشتراك) و (الاختلاط) شاعرتا
بيننا شيوعاً يصعب معه العدول عنها فالأولى الأبقاء عليها مادامتا عربيتين .

(العِراء) ومثله (المَعَادَة) كلاهما مصدر (عَادَ) من العَدَّ وهو الحساب .
ومعناها في اللغة ان يزول المرض - كالحُمى مثلاً - عن المحموم اياماً معدودة ثم يعود ؛
يقال : بفلان (مرضُ عَدَادٍ) بالاضافة ويقال : (أَكَلْتُ أَكَّةً خَسَارَةً
ما زالت تعادني) اي مازال المرض الناشئ عنها يفارقني اياماً ثم يعود الي وقد
وردت في كلام النبوة بهذا المعنى .

(العِرْقُ) عرق اختلفوا في تعيين موضعه من الجسد ، لكنهم لم يختلفوا
في أنه اذا انقطع مات صاحبه ، وقال بعضهم ، هو عرق منشؤه الرأس ثم
يتشعب في جميع البدن ، ولكل شعبة من شعبه اسم خاص : (وريد) (وتين)
(أَكْل) (نَسَا) (صَافِن) وهذا الأخير في الساق . أما (البائِج) فهو عرق
يطيف بالبدن أجمع ، فالأطباء وشأنهم في هذه الاسماء وفي تخصيص كل عرق
بالاسم الذي يلائمه . أما الجغرافيون فيحسن ان يستعملوا اسم (البائِج)
للأنهار الكبرى الكثيرة الشعب والفرع . وهذا كنهر الأمازون في اميركة
الجنوبية مثلاً فيصح ان يسمى (البائِج) على التشبيه بالعرق المذكور .

(أُنَاب) من مرضه و(أُنَاب) . في اللغة كلمات بهذا المعنى قد تبلغ العشرين ؛ منها
الثقيل كفعل (اطرغش) و (تقشّش) ومنها الخفيف مثل : (ابلّ) و (نقه)
ومنها ما لم يشتهر استعماله مثل (أركّ) و (أفاق) (و ثاب) . ومعناها
(اندمل) لكنهم عاديوا فخصوا الأخير بشفاء الجروح والدمامل . اما الشفاء من وعكة
خفيفة ففعله الدال عليه (خطف) من باب علم وفسروه بأن يمرض الرجل مرضاً
يسيراً ثم لا يلبث ان يشفي ، فالخطف نقه خاص . ومثله فعل (أفرق) فانه خاص
بالنقه من مرض (لا يصيب الانسان الا مرة واحدة في عمره كالجدري والحصبة)
وأهل دمشق يستعملون هذا الفعل ثلاثياً ويقولون (فرق فلان) يريدون

أنه عوفي من مرض حادّ ثقيل كالتييفوس مثلاً : فهو في اصطلاحهم على الضد من فعل (خطف) الذي قلنا ان معناه ان يشفى من مرض خفيف ، والذي تقترحه على اطبائنا ان يحيوها فيما بينهم هذين الفعلين (خطف) و (أفرق) خلفتها . ومثلها في الخفة وجدارة الاستعمال (أرك) و (أفاق) (وأثاب) . أما (أطرغش) و (تقشّش) فلا نشير بهما .

(القرهان) : المقروح اسم مفعول مشتق من القرح ومعناه الذي به قروح .
أما (القرحان) فعلى العكس إذ ان معناه الذي لم يُصب بقروح أو الخالص من القروح : فالقرحان غير مشتق من القرح وإنما اشتقاقه جاء على حدّ ماء قراح أي صاف خالص من الشوائب . وهكذا الانسان القرحان فهو خالص من شوائب القروح . وهو اسم عام يوصف به الفرد والجمع والمذكر والمؤنث يقال : صبيّ قرحان ورجال قرحان ونساء قرحان وامرأة قرحان . وجاء في حديث عمر رضي الله عنه ان الصحابة لما قدموا معه الشام وبها طاعون عمواس المشهور قالوا له : (ان معك من الصحابة قرحان فلا تدخلهم على هذا الطاعون) أي انهم خالصون من القروح لم يصابوا بها من قبل . فيفهم منه انهم لو لم يكونوا قرحاناً بل كانوا من قبل قد اصابوا بقروح الطاعون ثم دخلوا كانوا غير معرّضين أو غير مستعدين لقبول الطاعون والإصابة بقروحه . ويفهم من الحديث ايضاً ان (القرحان) غير خاص بالسليم من الجدري — وان كانت عبارة اللغويين تفيد الخصوص — فانهم يقولون في تفسيره (القرحان من الصبية من لم يجدر) أي من لم تصبه قروح الجدري . وقال بعضهم (القرحان من لم يمسه قرح ولا جدري ولا حصبة) ، وينبغي ان يزداد عليه (ولا طاعون) استنتاجاً من خبر عمر الآنف الذكر فيمكن استعمال القرحان — (ونشتق منه مصدراً فنقول القرحانية) — في من كان مستعداً لامراض خاصة . حتى اذا أُصيب بها واكتسب جسمه المناعة بسببها قيل انه غير قرحان وإن في جسمه (قرحانية) أي مناعة تقيه العدوى .

(الحِقَاءُ وَالطَّسَاءُ) أما الحِقَاءُ فهو اسم لوجع يأخذ الانسان في بطنه من أكله اللحم بحتاً ومن عوارضه الاسهال ويشتق منه فعل فيقال (حَقِيَ فلان) إذا اصابه الحِقَاءُ . فهل يكون «الحِقَاءُ» مرض (الاسقربوط) ؟ وهل يصح ان يطلق الحِقَاءُ عليه او على نوع منه ؟

قلنا ان (الحِقَاءُ) ينشأ عن أكل اللحم بحتاً ومن عوارضه الاسهال . أما (الطَّسَاءُ) فينشأ عن الاكثار من أكل الشحم والدم : فيصاب المكثر منه بالثخمة وهذه الثخمة تسمى (الطَّسَاءُ) يقال فلان أطسأ الشحم .

وخلاصة القول ان اللحم المسبب للاسهال يسمى مرضه (حِقَاءُ) والدم المسبب للثخمة يسمى مرضه (طَّسَاءُ) .

(العُثْمُ) بالناء المثلثة يكون في العظم وفي الجرح . أما عثم العظم فبان ينكسر ثم ينجر على غير استواء ، يقال عثم العظم اي ان تجبيره لم يكن محكماً . وبعضهم خص العثم بالكسر الذي يكون في اليد . وهذا عثم العظم اما عثم الجرح فهو ان تعلو عليه الجأبة وهي القشرة ولا يكون قد بري .

(الصمغ وأضوائه) الصمغ (بالحاء المعجمة) ان تصيب الشمس وجه الانسان فتترك فيه اثرأ لا يتعدى ظاهر الجسم يقال : (صمغته الشمس) اما الصمغُ بالحاء المهملة فان يتعدى أثر إصابة الشمس الى باطن البدن كالدماع يقال صمغته الشمس ومثله (دمغته) و (رعنته) و (ضربته) كلها بمعنى انها آلت دماغه فاسترخى وغشي عليه و (ضربة الشمس) معروفة بين الاطباء ويسمونها ايضاً الرعن (بسكون العين) وفتحها خطأ) ولو سميت ضربة الشمس بالصمغة (بالحاء المهملة) لكان حسناً اما (الدمغة) فقد اشتهر لها معنى آخر

(الْحُمَاوُ وَالْجُدْرِي) الجدري مرض معروف وفعله (جُدِرَ) على البناء للمجهول والوصف منه مجذور . وهناك مرض آخر سماه العرب (الحماق) وقالوا هو شبه الجدري تنقط بشوره وتنفرق في البدن . والمصاب به يسمى (محموق) . وقولهم شبه الجدري يدل على انه ليس به وانما يشور هذا تشبه يشور ذاك .

فلعل الحماق هو ما يسميه العامة (جذري المي) (الماء) وهو بثور تنفط لكنها لا تميم ولا تشوه الجسم

(الدوام واخواته) الحالة التي تعترى الانسان فتجعله يشعر كأن رأسه يدور او كأنه هو يدور — تسمى (الدوار) (بضم الدال وتخفيف الواو) ومثله (الدوام) بالميم وزنا ومعنى . وفي (الدوام) ايضا معنى الدوران ومنه التدويم : يقال دُمّت النحر شاربها اذا اخذه (الدوام) وتدويم الطائر دورانه وتحليقه في الفضاء . ومنه ايضا (الدوامة) وهي لعبة للديبان : يلقون عليها الخيط ويلقونها على الارض بشدة فتدويم اي تدور طويلاً و (الدوخة) بمعنى الدوار ليست فصيحة اما فعلها وهو (دوخ) ففصيحة يقال : دوخ الوجع رأسه اذا اداراه فاشتق العامة من هذا الفعل كلمة (دوخة) واصل معنى التدويم التذليل والاختضاع ومنه تدويم الفاتحين للبلاد . وهناك نوع من الدوام يصيب الانسان في البحر وقد سماه العرب (هُدام) قال ابن دريد الهدام [داء يصيب الانسان في البحر] ولا يريد بالداء الا هذا الدوار وربما كانت كلمة [داء] في عبارته محرفة عن [دوار] . فاذا خصصنا الهدام بدوار البحر فلنخصص [الدوام] بدوار الهواء كما اذا حصل شيء منه لركاب طائرات الجو . و [الدوخة] — اعتباراً بان لها اصلاً في اللغة العربية — نخصها بما ينتج عن مرض او وجع او رائحة خبيثة . وتبقى كلمة [الدوار] عامة لكل انواع الدوار . على ان القول الفصل في ما ذكرنا راجع الى أطبائنا الافاضل .

(الأُطْم والأُسْر) : الامساك عن النجو والبول يقال له في اللغة [أُطْم] و [ائتظام] فاذا قالوا ائتظام على فلات بالبناء للمجهول كان المعنى انه حصر بوله او نجوه . اما انحباس البول وحده فهو [الامر] وفعله [أُسر] بالبناء للمجهول ايضاً . و [أخذ الأُسْر] اذا اصيب بهذا المرض . وضد الأُسْر [السرح] وهو اتفجار البول بعد انحباسه . وماء العين الفلانية مبوله :

أي تسبب ادرار البول . و [التفسرة] هي البولة ينظر اليها الطبيب فتفسر له المرض ويستدل بها على جنسه . واذا كان [الأمر] خاصاً بالنجاس البول و [السرح] بضده فلنخص [الاطم والائتظام] بالنجاس النجوى . اما [التفسرة] فتعمم في كل نتيجة فحص طبي سواء أكان المفحوص البول او النجوى او الدم او ضغطه أو أيّاً كان .

فلان (عميدٌ وجهه معدته او عميد وجهه في معدته)

يريدون بهذا التعبير ان الغالب على فلان او ان معظم السبب في مرضه هو معدته . قال ابن الأعرابي [وكذلك كل موضع غلب عليه وجهه] . فاذا كانت في معدته قيل عميد وجهه معدته وان كان في قلبه او كبده او وركه قيل كذلك . فابن الأعرابي — أحسن الله اليه — وسّع ولم يضيق

(الثَّأْبُ وَالتَّوَصِيمُ وَالتَّقَلُّ) الثَّأْبُ بفتح التاء اشتداد المرض وفعله من حدّ علم . أما خد الخفة فمصدرها ثَقُلَ [بكسر فتح] وفعلها من باب حَسُنَ . وقد يكون المرض خفيفاً فيشعر الانسان بفتور وتكسّر واسترخاء في بدنه . وهذا الفتور يسمى في اللغة [توصيماً] و [ثأباً] وفعل ثأب [ثُئِبَ] من باب علم . ومن الثأب اشتقت كلمة [الثُّوباء] لأنها أثر من آثار ثأب الجسم وتوصيمه . على ان كلمة [التوصيم] تصلح للاستعمال في علم النفس أيضاً : فان ضعف الإرادة اذا غلب على المرء شعر بتثاقل في جسمه . وهذا التثاقل أو الكسل يصح ان نسميه [توصيماً] بدليل ما قاله ليلى احد أصحاب المعلقات :

(واعصِ ما بأمرِ توصيمِ الكسلِ)

وربما كان ليلى أول من نقل [التوصيم] من معنى فتور الأجسام مرضاً الى معنى فتور النفوس والأرواح مُخلِّقاً . ومما يكن فان كلمة [التوصيم] قد يحتاج اليها او ينتفع بها في علم النفس .

(الْخُزْرَة) على وِزَانِ خَمْزَة وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ خَزْرَة عَلَى وَزْنِ قَمَرَة
 أَي بَفَتْحٍ فَسَكُونٍ - هِيَ الدَّاءُ الَّذِي يَأْخُذُ فِي مُسْتَدَقِ الظَّهْرِ • بِفَقْرَةِ الْقَطَنِ •
 وَالْقَطَنُ آخَرُ فِقْرَاتِ الظَّهْرِ بَيْنَ الْوَرَكَيْنِ • وَتُسَمَّى الْعَجَبُوبُ وَعَجَبُ الذَّنْبِ • قَالَ الشَّاعِرُ:
 (دَاوِدُ بِهِ ظَهْرُكَ مِنْ تَوَجُّعِهِ مِنْ خُزْرَاتٍ فِيهِ وَإِنْ قَطَاعَهُ)

(الرِّزُّ وَالرِّزْيَنِي) أَصْلُ مَعْنَى [الرِّزْ] بِكَسْرِ الرَّاءِ الصَّوْتُ الْخَفِيُّ ثُمَّ
 نَقَّلُوهُ إِلَى مَعْنَى [وَجَعَ الْبَطْنُ] وَلَعَلَّ الْأَمْعَاءَ فِي بَعْضِ أَوْجَاعِ الْبَطْنِ يَكُونُ لَهَا
 مِثْلُ هَذَا الصَّوْتِ الْخَفِيِّ • وَإِنَّمَا قُلْنَا أَنَّ [الرِّزْ] بِكَسْرِ الرَّاءِ لَثَلَا يَشْتَبِهُ لَفْظُهَا بِلَفْظِ
 [الرُّزْ] وَهُوَ الْحَبُّ الْمَأْكُولُ فَإِنَّ رَاءَهُ مَضْمُومَةٌ • وَالْأَفْصَحُ فِيهِ [أَرَزْ] بِهَمْزَةٍ فِي أَوَّلِهِ
 كَتَبَ أَبُو اسْمَحٍ الصَّابِيُّ إِلَى الْبَيْغَاءِ الشَّاعِرِ الْمَعْرُوفِ أَيْبَاتًا فِي صِفَةِ طَيْرِ
 [الْبَيْغَاءِ] مِنْهَا قَوْلُهُ :

زَارْتِكَ مِنْ بِلَادِهَا الْبَعِيدَةِ وَاسْتَوَطَنْتِ عِنْدَكَ كَالْقَعِيدَةِ
 ضَيْفٌ رَقَرَاهُ الْجُوزَ وَالْأَرَزْ وَالضَّيْفُ فِي إِيْيَانِهِ يَعَزْ

فَأَجَابَهُ [الْبَيْغَاءُ] بِأَيَّاتٍ وَصَفَهَا فِيهَا أَيْضًا مِنْهَا :

ذَاتُ شَفَا تَحْسِبُهُ يَاقُوتَا لَا يَرْضِي غَيْرَ الْأَرَزْ قُوتَا
 كَأَنَّمَا الْحَبَّةُ فِي مَنْقَارِهَا حَبَابَةٌ تَطْفُو عَلَى عُقَارِهَا

وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الشَّاعِرَانِ [الْأَرَزْ] وَلَمْ يَقُولَا [الرِّزْ] مَعَ أَنَّ الْبَيْغَاءَ كَانَتْ
 يُمْكِنُهُ أَنْ يَقُولَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي [كَأَنَّمَا الرِّزْ فِي مَنْقَارِهَا] مَكَانَ [كَأَنَّمَا الْحَبَّةُ
 فِي مَنْقَارِهَا] لَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ • فَهَذَا يَشْعُرُ بِأَنَّ قَوْلَنَا الْيَوْمَ [الرِّزْ وَالرِّزْ] غَيْرُ
 فَصِيحٍ • أَمَّا كَلِمَةُ [الشَّغَا] بِالغَيْنِ الْمَعْجَمَةُ فَأَصْلُ مَعْنَاهُ عَدَمُ الثَّامِ اسْنَانِ الْإِنْسَانِ
 فَيَكُونُ بَعْضُهَا قَصِيرًا وَبَعْضُهَا طَوِيلًا وَبَعْضُهَا مُنْقَدِمًا وَبَعْضُهَا مُتَأَخِّرًا • وَالْوَصْفُ مِنْهُ شَقَى
 وَالْمُؤَنَّثُ شَفَوَاءُ : فَالْبَيْغَاءُ شَفَوَاءُ أَيِ ذَاتِ شَفَا • وَلَيْسَ لَهَا اسْنَانٌ - حَتَّى تَكُونَ ذَاتُ
 شَفَا وَإِنَّمَا هِيَ ذَاتُ مَنْقَارٍ • وَالشَّغَا فِي مَنْقَارِهَا ظَاهِرٌ أَتَمُّ الظُّهُورِ : فَانْ شَقَى الْأَعْلَى

منه أطول من الشق الأسفل . على ان استعمال الشفا في المنقار فيه تسامح أو توسع
أو ان فيه شيئاً من إلغاز .

نرجع الى ما كنا فيه من ان (الرز) بمعنى وجع البطن . ومثله (الرز يزي)
ويمكننا ان نصلح على التفرقة بينها فنسمي الوجع الخفيف بالرز والشديد
بالرز يزي اقتداءً بالعرب فان الكلمة اذا كانت قليلة الحروف دلت على
شيء يكون قليلاً أو صغيراً فاذا كان الشيء كبيراً أو كثيراً زادوا في
حروف الكلمة الدالة عليه وهذا كالشقوف وهو هودج الحجاج وفي سواد
العراق هودج اكبر من الشقوف يسمونه (شقنداف) بزيادة نون والـف
قال الزبيدي في مستدركه : سمعت بعض مشايخي يقول : مر رجل على
عراقي فقال : ماتسمون هذا عندكم ؟ قال الشقنداف ، فقال : أليس هو
الشقوف نفسه ؟ قال لا ، ألا تدري ان زيادة المني تدل على زيادة المعنى
وشقندافنا اعظم من شقوفكم واوسع جرماً اه .

(شفا . رتل) مرةً معنا آنفاً تناسباً الارز ومنقار البيغا بمعنى الشفا .
وقلنا انه في الانسان عدم استواء اسنانه طولاً وقصراً وتقدماً وتأخراً ومثل
[الشفا] او هو أشد منه [التشاخص] ، فالاسنان المتشخصة تكون
(عدا شفاها) متعوجة او متهتمة (اي منكسرة) او ساقط بعضها كما هي
الحال في الشيوخ الهرمين ، وضد الشفا والتشاخص (الرتل) وهو ان تكون
الاسنان مستوية منسقة (لا ترى فيها عوجاً ولا أمثا) وأصل معنى [الرتل]
في كل شيء ان يكون على استقامة وحسن تنضيد . والوصف منه [رتل]
ككتف يقال ثغر رتل اي لاهو أشفى ولا متشاخص . ويقال كلام رتل اذا كانت
الفاظه متناسقة منسقة لا عجلة فيها فتفهم بسهولة [ورتل . القرائن ترنيلاً]
واستعمل الكتاب المعاصرون [الرتل] اسماً لقطار السكة الحديدية من حيث
ان العربات فيه مرتبة متناسقة تتابع على استواء . واخيراً أخذ رجال التعليم

السكري كلمة الرتل فسموا بها نوعاً من تصنيف الجنود وادخلوها في جملة اصطلاحاتهم وإيعازاتهم [أو أقول مكان إيعازاتهم صوادعهم] .

(الرَّسْفَال والرَّسْفَان) احداهما باللام والاخرى بالتون وكنتاهما بالغين المعجمة جمع سفل وسفن وفسروهما بالاغذية الردية . يقال في صدد وصف القوم بالعدم وسوء الحال : انهم يتعيشون بالاسفان . واذا تمادى بهم التعيش بالاسفان ضوأت أجسامهم وأصابهم الضعف والهزال . واكثر ما يستعمل (السفل) و (السفن) في امراض الخيل : يقال فرس سفل ككثف ، واستعمل ايضاً في امراض الاطفال يقال : صبي سفل وسفن ودغل ، اذا كان ميء التغذية . وهذا بالطبع يؤدي الى الهزال وضوالة الجثة^(١)

* * *

انتهى ماليه قصدنا من شرح الكلمات اللغوية التي لها علاقة بالطب والاطباء وقد رأى القاريء اننا لم نثعد في التعليق الى ما لا نعلمه من علم الطب وانما اقتصرنا على ما رأينا علماء اللغة والادب نالوه في كتبهم . اما كيفية الانتفاع بهذه الكلمات واستعمالها وتطبيقها على ما وصلت اليه الحقائق الطبية في هذه الازمنة المتأخرة — فهو من وظائف الاطباء أنفسهم . والقول الفصل فيه لهم لاغيرهم .

المغربي

— 36004 —

(١) شرحنا الكلمات الوصود بها كلها ما عدا ما دل منها على بعض الامراض النسائية وفي المراء والضمياء والفصع الخ فائنا لم نستحسن الافاضة في التعليق عليها اكتفاء بحرم من يسم شأنها فان حرصه يجعله على مراجعة ما جاء في معاجم اللغة عنها وما قالوه في تفسيرها .

آراء وملاحظات

بشأن دروس العربية والمراقبة المدرسية

جاء في مآثور الكلام عند العرب قولهم : « لا يكذب الرائد قومه » ،
وانا احد رواد قومي بالشرق العربي في فن التدريس لاني زاولته منذ بلغت
التاسعة عشرة من عمري الى ان نيفت على الستين وان كنت قد زاولت
معه في القسم الاكبر من تلك السنين الكتابات الصحافية وغير الصحافية .
ويطيب لي اليوم ان ادلي بآراء لي في هذا السبيل احسبها صواباً ولعل التجارب
الطويلة لا تخونني في حسباتي ولعل الفائدة التي اتوخاها من ورائها لا تفوت طلابها .
ولاجل حسن الاستيعاب وتمهيد الطريق امام القاريء اقول ان مادتي به
الساعة ينحصر في خمسة اوجه هي هذه : — تدريس قواعد البيان العربي —
تاريخ الادب العربي ازاء غيره من علوم العربية — العناية بالانشاء الشفاهي
والخطابة — ادخال درس جديد مستقل — ما المعول الا كبر في مراقبة
التدريس والمدرسين . —

* * *

الوجه الاول

تدريس قواعد البيان العربي

ان علم البيان عندنا المشتمل على فنونه الثلاثة المعاني والبيانات والبديع
قوامه بسط جزئيات لطيفة دقيقة في الانشاء مثل احكام القصر والتقديم والتأخير
والتعريف والتشكيير والفصل والوصل وحمل الكلام على خلاف ما يقتضيه الظاهر
ومثل تقسيم ضرور المجاز الى تشبيه وكناية واستعارة ومجاز مفرد ومجاز مركب
يسمونه ايضاً التمثيل على سبيل الاستعارة ومثل الاشارة الى اساليب وقوالب
رشيقة سموها محسنات بديعية وفي طليعتها حسناً التورية والمشاكلة والتلميح والطباق

والمقابلة والمغايرة والادماج ومراعاة النظير والاستخدام والمبالغة والطبي والنشر والاحتباس والتهكم . فعذه الابواب كلها لا تخرج عن كونها احوالاً جزئية للجملة فهي لا تعد من اركان البلاغة الكلية الاساسية مثل تنبيه الدارس على الشروط الجوهرية الواجب عليه مراعاتها في كل موضوع من موضوعات الكلام في المقالات والمباحث والخطب والرسائل وفي طليعة تلك الشروط حسن الالتفات الى مكان القول وزمانه واحوال الناس الذين يوجه اليهم الكلام ونسبة المتكلم اليهم ومقامه لديهم ومثل المواضع الثلاثة بالاطناب او بالايجاز او بالمساواة والثلاثة برشاقة الكلام ورقته او بجزالته وفخامته والنواحي التي يجب على البليغ ان يحرص عليها ويتسلح بها في كل مقام ومن تلك المقامات الرثاء والتعزية والتهنئة والمدح والمودة والغرام والهجاء والعتاب والاعتذار والشفاعة والحماسة والخضوع والندم والتوبة والشكر والمداعبة والامل والياس والتدين الخ . . . فلا بد للمعلم ان يحرص على هذه الكليات الضرورية غير مكتف بتلك الامور الجزئية المدونة في كتب البيان عندنا . ولا ننكر ان جزءاً من هذه الضروريات ورد استطراداً في بعض كتبنا البيانية . ولكنه مبعثر غير مجتمع الشمل ولا قريب المأخذ ولا مستوفي الايفاح والفائدة ولا مدعوماً بالامثلة والتجارب . فلا بد لاستاذ البيان في مدرستنا ان يشارك جهده مواضع هذا النقص والتقصير بلسانه ومذاكراته وتذليله ربثاً ينهض جماعة من اكابر ادبائنا في هذه الايام فيؤلفون كتباً في البيان على النمط الجديد الجامع المانع مما أشرنا اليه هنا غير ناصين علاوة على ذلك ان ينهوا الدارس على وجود اشتراك عظيم في بعض اساليب الكلام بين المعاني والبيان والبديع وقد اختلفوا في تسمية بعض هذه المشتركات واتفقوا في تسمية بعضها الآخر الامر الذي اشرت اليه في احد مؤلفاتي منذ عشر سنوات . ثم في بحث نشرته لي مجلة المقتطف السنة الماضية .

ويترتب أيضاً على استاذ البيان والانشاء العربي عند كل فرصة سانحة -

اذا كان مطالعاً على إحدى اللغات الأفرنجية - ان يذكر لتلاميذه بالتدريج فوارق الانشاء العربي والانشاء الأفرنجي لكي يقيهم من السقوط في كثير من قبح وسيخافة الترجمة الى العربية الذي استفاض في اذلام معظم كتابنا وادبائنا هذه الايام الى حد شائن فظيع كاد يقلب محاسن ادبنا العربي رأساً على عقب وآخر ما وقفت عليه وغازني من ترجماتهم المختلفة السخيفة قولهم المتواتر « الوطن الام » كما يقول الفرنسيون ولفظ الوطن عندهم مؤنث وهو عندنا مذكر ، فان لم نجد مندوحة من نقل هذا التعبير المجازي عندهم بقالبه الى لساننا فلنقل على الأقل « الوطن الاب » لا « الوطن الام » والا فلعلنا غداً او بعد غد نجاريهم ايضاً في هذا السبيل فلا نقول : « ان الوطنية هي امنا » حسبما تقضي به لغتنا . ولفظ الوطنية عندنا مؤنث . بل نضطر ان نجاريهم ونقول مثلهم : « ان الوطنية هو ابونا » ولم لانسقط في هذه الهاوية الجديدة ، ولفظ الوطنية عندهم مذكر لامؤنث . وقد لا يحول علينا الحول باذن الله حتى نقول مما شاة لهم في التذكير والتأنيث : « هذا الشمس قد طلع فكان جميلاً نافعاً » وهذه القمر قد أسفرت فكانت لطيفة مؤنسة . . . » وحينئذ اسمح لنا يا شيخنا ابا العلاء الماعري ان ننشد معك :

فياموت زر ان الحياة ذميمة ويانفس جدي ان دهرك هازل

* * *

الوجه الثاني

تاريخ الادب العربي

ان مدارسنا لقريبة العهد بهذا العلم الممتع « تاريخ علم الادب » فلم يدخل في برامجها الا منذ ثلاثين سنة او نحوها . وانما تنبهنا الى تسكوبته علماً منظماً حسن الترتيب والتبويب في هذه السنوات الاخيرة . واظن المرحوم جرجي زيدان مؤسس الهلال كان أسبق المؤلفين الى هذا المفهار أو أحد السابقين منهم .

ولا تنكر ان أم أوردبا الحديثة هي أول من شق هذا الطريق في الوان العلم والأدب فخذونا حذوها وكان الدواب نصيبنا . ولم يكن مفقوداً بيننا من هذا العلم الا قالبه النفي على صورة تدريسية مجدية سهلة المثال . وأما مواده الأولى وعناصره الأصلية فكانت موجودة في أمهات كتبنا منذ عدة قرون . وبكفينا ان نذكر منها كتاب الفهرست لابن النديم . ووفيات الأعيان لابن خلكان . وبيتمة الدهر لأبي منصور الثعالبي . هذا فضلاً عن نبد عديدة نفيسة تتخلل موضوعات أخرى أدبية في كتاب الأغاني للأصمعي وكتاب العقد الفريد لابن عبد ربه . وغيرهما من الكتب القديمة القيعة . ولكن هذه العناصر الغالية من تاريخ علم الادب المبعثرة في عدة أماكن لم يكن يفتيه اليها ويحسن استخراجها والانتفاع بها الا أكابر الأدباء فيتمكنوا ان يضربوا بسهم صالح من هذا العلم على ترده بين عالم الشهادة وعالم الغيب . وأما الأدباء المتوسطو الدرجة وطلبة العلم والذين لهم شيء من العلم والثقافة من سائر الناس فلم يكونوا يحرزون من هذا العلم كثيراً ولا يسيراً . وكان الواحد منهم لا يستبعد منه ان يخلط بين عصر امريء القيس وعصر المتنبي . ولا بين عصر جرير وعصر عبد الغني النابلسي ولا بين أئمة اللغة والأدب وبين علماء الرياضيات وبين رجال المنطق والفلسفة وبين المشتغلين بأحكام الدين والشريعة او المنصرفين الى تصنيف كتب السير والمغازي والرحلات والتاريخ العام وخطط البلدان وهو علم الجغرافية . وهذا قصور يحز في الصدور فالفضيحة والعار عن يمينه ، والجهل المطبوع عن يساره .

ان أول ما يترتب علينا في دراسة تاريخ الأدب العربي توقي هذا القصور مما يطالب به التلميذ ولو لم يحز صف الشهادة الابتدائية فاذا اجتازد مسافة قصيرة أو طويلة وجب عليه أن يتقدم على هذه النسبة في ميدان هذا العلم باطلاعه على تفاصيل متفاوتة ولكن على غير امراف في الموازنة بين جماعة من مشاهير حملة الأقلام العربية مع الالفات الى فوارق المجتمع عيشة ومدينة وسياسة وإدارة مقرونة بعوامل أخرى خصوصية - اذا وجدت - وهذه الاعبارات لا بد من

اتخاذها مقياساً صحيحاً عادلاً عند الحكم على أطوار تاريخ الأدب العربي وهي طور الجاهلية والتخضرمين والطور الأموي وهو طور صدر الإسلام ثم الطور العباسي وهو أطول الأطوار أمداً واختبرها بالحوادث والكوارث ثم طور الانحطاط الذي انسلخت عنه نهضتنا الأدبية الحديثة ثم طورنا الحاضر .

قلت ينبغي لمدارسنا أن تضع بين أيدي طلابها امثال هذه المعلومات ولكن على غير اسراف . وهذا الاستدراك هو بيت القصيد ونقطة المركز مما توخينا هنا . فان معظم مدارسنا أسرفت في الاتجاه الى هذا العلم اسرافاً مستغرباً ليس تحته كبير طائل مع ما يستلزمه من زيادة عناء وإضاعة وقت بحيث يعوق الطالب عن حسن تحصيل غيره من علوم العربية كالاطلاع الكافي على أحكام الصرف والنحو والبيان وعلى طائفة كبيرة من أوضاع اللغة وعلى العروض والقافية . فقد نرى هذه العلوم لا تمنح كلها معاً من الأوقات الدراسية إلا بقدر ما يجودون به على علم تاريخ الأدب وحده وهكذا تخرج ناشئتنا المدرسية قوية في هذا العلم وحده الى حد الحشو والفضول ضعيفة في تلك العلوم كلها وما أشبه الشاب منها حينئذ بمن يكتسي حلة ملؤها الخلل وعدم الذوق اذ ترى صدرته وحدها استغرقت نصف جسمه أي من عند عنقه الى منتصف بطنه . أما معطفه فقد قصر عليه وشمر عنه الى منتصف ظهره وكذلك مراديله شمرت عنه الى ما فوق ركبتيه وبقي مع هذا الزي الغريب حامراً حافياً ليس على رأسه طربوش أو قلنسوة ولا يستر قدميه جورب ولا حذاء . فتأمل هذا المنظر الذي لا يصلح إلا للملاعب التمثيل في رواياتها الهزلية . أو ليس من مبكيات الدهر ومضحكاته أن نرى هذا الفتى من قتيات المدارس باقي عليك من محفوظه كل بادرة ونادرة من سيرة الفرزدق مثلاً ووجوه التعصب لأبي الطيب المتنبي ووجوه التعصب عليه ويسرد عليك أخبار مغامراته كلها لا يخرج منها الى ما يشبه هذه التفاصيل ثم تراه مقصراً في بقية علوم العربية تقصيراً لا يغتفره الاستاذ المخلص الخبير لمن هو دون هذا الشاب بثلاث سنوات في تحصيله العلمي . سل هذا الشاب بناء اسم المفعول

من هاب فيقول « مهيوب » او يقال « مياب » والصحيح « ميب » بفتح الميم ، ثم سله مارأيك في لفظ ثياب وتضاد - بضم الباء الاولى والدال الاولى - فلا يجد فيها مطعناً . والصحيح ان يقال تحاب وتضاد بتشديد الباء والدال . اذ لا يجوز فك الادغام في هذين اللفظين وامثالهما . ودو لا يد نكيراً ان تقول من استقل استقلنا ، ومن استمد استمدنا . والصحيح استقلنا واستمدنا . كما يستصوب ان تقول له او يقول لنا شهور الشتاء وأشهر السنة . والصحيح أشهر الشتاء وشهور السنة . باستعمال كل من جمع القلة وجمع الكثرة في الموضع اللائق به ، كما انه يستصوب قول القائل : هذا النسيج أحمر من ذاك . والصحيح اشد منه حمرة .

فاذا انتقلنا بفتاننا من هذه الشذرات الصرفية الى شذرات نحوية لم نجد فيها احسن حظاً ولا ارسخ قدماً . فهو لا يعرف موضع الخطأ في قولهم : سبعة عشرة ورقة . والصحيح « سبع عشرة ورقة » ولا في قولهم : « المتعصبون تعصباً دينياً يلامون الا الجاهلون منهم » والصحيح « الا الجاهلين منهم » ولا في قولهم : انتم ذوي الغنى والبسار يجب عليكم اسعاف الفقراء والمحتاجين والصحيح « انتم ذوي الغنى والبسار الخ » لان هذا الموضع من مواضع الاختصاص المحسوب من فروع المفعول به وحظه نصب . ثم هو لا يعلم الفرق بين قولنا سافر بكر وخالد ، باستعمال واو المصاحبة . والعبارة الاولى لاتعين ترافقها او عدم ترافقها في السفر ، واما العبارة الثانية فتعين الترافق . كما انه يجهل الفرق بين قولنا : عليك أباك . اي الزمه دارع حقه ، فعليك اسم فعل ، وبين قولنا عليك أبوك . اي انه يؤخذك او يعارضك في امر من الامور فعليك جار ومجرور . ومن هذا الباب قولنا : دونك زيداً . اي أقبل عليه . وقولنا دونك زيد . اي ان مرتبته تحت مرتبتك . يجعل دونك ظرف مكان متعلق بخبر مقدم محذوف وقد لا يخطر لهذا المسؤول علي بال وجود فرق بين قولنا « اجتزنا حقول القرية حتى

سواقيها» بفتح الياء من سواقيها ، وقولنا : « اجتزنا حقول القرية حتى سواقيها »
 بإسكان الياء ، مع ان هناك فرنا لايجوز التغاضي عنه فالعبارة الاولى تفيد اننا
 اجتزنا السواقي كما اجتزنا الحقول ، فحتى في العبارة هي حرف عطف . والعبارة
 الثانية تفيد اننا لم نجتز السواقي بل توقفنا عن السير عندما بلغناها . فحتى في
 العبارة الثانية هي حرف جر لانتهاء الغاية . ثم ان المسؤول لانظنه يحس بخطأ
 في قولنا « مها يسعى المنافق تصيبه الفضيحة » مع ان في العبارة خطأين والصواب
 ان يقال : « مها يسع المنافق تصبه الفضيحة » او ان يقال : « مها سعى
 المنافق فتصيبه الفضيحة » او : فالفضيحة تصيبه . او مصيره أو عاقبته أو عقابه
 واذا سألنا احد الفصحاء : « أما سافر اخوك » فاجابنا نعم . أو أجابنا بلى .
 فنعم في مثل هذه الحال تفيد ان اخاه لم يسافر ، وبلى تفيد انه سافر . واذا
 قلنا « ماخنت عهدك ابدأ » فهو خطأ صوابه « ماخنت عهدك قط » ومثله في
 الخطأ اذا قلنا : « لأخون عهدك قط » وصوابه « لأخون عهدك ابدأ »
 ومن الخطأ ان نقول : « لما يزورني ابن عمك اكرمه » والصحيح : حينما
 يزورني او عندما يزورني اكرمه ، ومن الخطأ الشائع في أعلام جمهور من
 كتاب هذه الايام قولهم : « سوف لاعول على فلان » والصحيح ان اعول
 على فلان » فهذه اللطائف كيف ينتظر من ناشئة مدارسنا ان يدركوها ويعرفوا
 اسبابها ، مادام درس تاريخ الادب يستغرق من اوقاتهم واوقات معلمهم ومن جهود
 الفريقين مايستغرق على غير ضرورة ولا فائدة ثقافية تستحق الذكر . ولعمر
 الحق لا أدري ماالغنيمة العلمية العظيمة التي يحرزها طالب العلم اذا اطلع على عشرة
 اخبار من اخبار للاختل مثل شاعر الدولة الاموية بحجة ان يستوعب المؤثرات
 الجوهريّة على منظوماته في بعض نواحيه مع ان هذا الغرض نفسه يمكن بلوغه
 بالاطلاع على ثلاثة أو أربعة اخبار من سيرة هذا الرجل عوض الاطلاع
 على عشرة اخبار . والامر المهم الذي لايجوز ان يبرح ذهن احد ان من اراد
 من ناشئة المدارس التوسع في تاريخ علم الادب امكنه ذلك على امدون سبيل

بعد ما يفارق طور التلمذة بمطالعات كافية في كتب هذا العلم غير محتاج مطلقاً في سبيل هذا التوسع الى اعنات ذهن ولا الى ارشاد معلم . وهيئات ان يكون الأمر كذلك اذا احس هذا الفتى بتقصير في الاطلاع على أصول الصرف والنحو والبيان والعروض ولطائفها ووقائعها فان معظم ما يفوته من هذا القبيل يعوزه فيه إرشاد أستاذ ضليع مع كد ذهن واتخاذ تمرينات حجة الأمر الذي لا يتيسر له إلا وهو بين جدران مدرسته تحت أنظار معلميه ووسط طلاب علم مثله بذاك كرم وبذا كروته حيناً بعد حين . واني لهذا المنكود الحظ اعادة فائت لم يحسن استغلال خيراته . ولماذا ؟ الجواب لكي يتفرغ تماماً لسيرة الأعراس وديك الجن الحمصي وامثالهما فلا يكاد يفوته شيء من بركات غدواتهم وروحانهم

فاذا انتقلنا بالفتى المسؤول من احكام علم النحو الى احكام علم البلاغة اي المعاني والبيان لم نجد فيه ايبر نجاحاً ولا احدى سلاحاً . ولعله يشخص اليك بصره حائراً مستنكراً اذا أخبرته ان قولنا : « اجاركم في بيتكم أم في بيته » تركيب خطأ والصحيح « افى بيتكم جاركم أم في بيته » وكذلك اذا حكنا أمامه بالخطأ في سوء استعمال القصر ويسمى أيضاً الحصر عندما يسألنا سائل « أشاعر يوسف أم لا » فنجيبه « انما شاعر يوسف » وصوابه : « انما يوسف شاعر » واما العبارة الأولى « انما شاعر يوسف » فلا يعرج عليها البليغ الا اذا أراد تعيين الشاعرية بين يوسف وغيره من الناس . . ولا نطن التلميذ المقصود جس نبضه ادبياً يدرك المعنى المراد في بيت عمرو بن كلثوم التغلبي الجاهلي من معلقته :

وتشرب ان وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطينا

فالبيت يشتمل على معنى دقيق عن طريق الكناية وهي أحد أركان فن البيان . والذي أراد به الشاعر أنه هو وقيلته بني تغلب إذا وردوا الماء ومعهم دوابهم لم يجسر غيرهم من القبائل والعشائر أن يزاحموهم عليه فيردونه ويشربون ويسقون دوابهم ومياهه لا تزال صافية فاذا صدروا عن ذلك المنهل وقد اضطربت مياهه

بأقدامهم وبجوافر خيلهم وأخفاف ماشيتهم فغشيه الطين والوحل تقدم غيرهم فوردوا وشربوا . ففي البيت رشاقة تعبير وحسن تصوير . ولكن أبا تمام من شعراء الطور العباسي لم يحرز مثل هذا التوفيق وأن كان موفقاً في كثير من شعره حين قال :
لا والذي هو عالم أن النوى صبر وان أيا الحسين كريم

فالعطف في هذا البيت منافٍ للبلاغة لعدم وجود جامع موافقة أو جامع مضادة بين المعطوف والمعطوف عليه أي بين مرات الفراق وكرم أبي الحسين فالتركيب لا يقل سماجة عن قول القائل « فلان عالم والغراب طائر » .

فهذه الطرق البيانية أجنبية عن فتانا المراد امتحانه المولع بحركات وسكنات النابغة الذبياني وأبي عبادة الجعفري . . . والمتنظر أن تكون بضاعته من العروض والقافية ومتن اللغة أقل وأحط من بضاعته في الصرف والنحو والبيان فلا نظنه يعلم جوازات البحور ولا نظنه يحسن التمييز بين الأبحر التي يشبه بعضها بعض كالرجز والكامل والهجج ومجزوء الوافر ولا شك أنه يجمل عيوب القافية كما كما يجمل احداً اراضي القطب الشمالي او القطب الجنوبي ، واما علم متن اللغة فهو علم لا يمكن حصره واستقصاؤه ، ولكن يطالب دارس العربية بحفظ نخب حسنة منه في الالفاظ المترادفة والمشتركة والاضداد والمثلثات ونخب من قيود الاصوات والاولاد والمنازل وترتيب درجات الساعات ليلاً ونهاراً ودرجات الجبال والانهار والطرق والآثار والحب والبغض والخوف والخزف والسرور والكرم والبخل والعقل والجنون واطوار العدر البشري واشياء ذلك . وليس من نبل العلم ان يفوته مثلاً في متن اللغة الفرق بين كسا وكسى فصر وبين فضل وبين رؤية ورأي ورؤيا ، وبين وجود ووجدان ووجد وجدة وموجدة . وان انتمت كلها الى وجد بفتح الجيم ووجد بكسر الجيم . وبين اب ووالد ، وعام وسنة وحجة . وبين نظرت الشيء ونظرت اليه ونظرت فيه ونظرت لفلان ، وبين كتبت الى فلان وكتبت لفلان ، وبين ما احب فلاناً الى ، وما احبه لي .

ان هذه الفرائد في متن اللغة وتلك الاحكام في الصرف والنحو والبيان

والعروض لو وعثها ناشئة مدارسنا ودربت بها اذهانهم والسنتهم لساعدتهم فضلا عن فوائدها لذاتها حسن النظر وصحة الفحص والتمييز والحكم في الآثار الادبية ثراً ونظماً مساعدةً عظيمة لا يتأتى لهم الا الشيء اليسير منها في حالتهم الحاضرة مع ما يأخذون به انفسهم من التفصيل والتطويل في تاريخ علم الادب . وهذا قدر كافٍ لتنفيذ الخطة العوجاء العرجاء التي تجري عليها بالتوسيع على تاريخ علم الادب في برامج التدريس والامتحانات مع التضيق على سائر علوم العربية . خطة ان كانت نتيجة موهو وغفلة فالامر قبيح . وان كانت نتيجة كسل وتطلب راحة — لان تاريخ علم الادب لا يتطلب من العناية ما يتطلبه درس القواعد — فالامر أقبح — . وان كان نتيجة ضعف ثقة بمقدرة الاساتذة في دروس القواعد فالامر بالغ منتهى القبح . وان كان الامر نتيجة للأسباب الثلاثة معاً فلا تخضرنى عبارة لتصوير قبحه وفظاعته .

* * *

الوجه الثالث

العناية بالانشاء الشفاهي والخطابة

لا بد من العناية تماماً بهذا المطلب وهو يقتضي تمريناً وتيقظاً وانتباهاً لاسيما في تقسيم كل موضوع الى اجزاء فرعية مع حسن ترتيب لها وفي حفظ المفردات والمركبات الممتازة بلاغة ودقة اداء حين يرى التلميذ هذه المفردات والمركبات جديدة على سمعه وهو يتلقاها من لسان استاذة او من القطعة التي عرضت على تلاميذ الصف لسكي بترووها ثم يحتذوها بغير اختصار ولا تطويل وتفصيل او بالاختصار او بالتطويل والتفصيل حسبما يرى الاستاذ ويقترح عليهم . وإحيائاً كثيرة حسبما يسمح به وقت الدراسة . والانشاء الشفاهي يتناول المواضيع الخفيفة السهلة المأخذ وهو يصلح للصفوف الابتدائية والصفوف المتوسطة من رسائل وحكايات وملاحظات . والخطابة تصلح للصفوف العالية وتتناول موضوعات

أسمى وابجائاً هم . وفي كلا الغرضين الانشاء الخطابة لابد من رسم اجزاء الموضوع المطلوب على لوح الصف الكبير الأسود فاذا رأى الاستاذ ان تأسيس الموضوع يعسر على الطلاب تولى وحده تأسيسه أي رسم اجزائه كلها على اللوح واذا أحس أن تأسيسه غير عسير على جماعة من الطلاب . تمهّل عمداً في هذا التأسيس أي في رسم الاجزاء وكلما رسم منه جزءاً سألهم ان يفكروا في جزء آخر الى منتهى العمل . فاذا قرغ من رسم الاجزاء عاد فتناولها على الترتيب واحداً واحداً مقترحاً على كل تلميذ ان يسرد ارتجالاً الجزء المطلوب او جانباً من هذا الجزء ثم يتنازل على التعاقب الاجزاء التي تليه موزعة على تلميذ ثلث فثالث فرباع طبقاً لما تقتضيه الحال . واخيراً يكلف احد المتقدمين من طلبة الصف القاء الموضوع بأسره وربما استصوب ان يعقبه هو ايضاً فيعيد سرده كله بعبارات أنصع . ولا بد ان يحرص الاستاذ في اثناء هذا الدرس بوجه خاص على استعمال اللغة الفصحى هو وطلابه في كل سؤال وجواب وشرح واعتراض .

* * *

الوجه الرابع

ادخال درس جديد

نحن اليوم في بلاد الشرق العربي نخوض طور انتقال سيامي واداري واجتماعي طور انتقال جديد عظيم الشأن ولا سيما في تكوين قوميتنا وتعزيز وطنيتنا ومكافحة كل ما يمس كس هذا المأرب الشريف او يعوق سيره من تقاليد وعادات وأوهام وادعاءات باطلة توارثناها منذ عصور . وقد حان لنا ان نبسدها قبل ان تبسدها معزتنا وراحتنا وكرامتنا وأمانتنا الذهبية . هذا الطور الجديد يتطلب درساً جديداً يتلقنه ناشئة المدارس يتعلق بهذا المأرب . وهذا الدرس الجديد يتطلب وضع كتاب بهذا الصدد عنوانه « القومية العربية » يتناول المباحث الجوهرية المتعلقة بها وفي مقدمتها موجبات هذه الوطنية ووسائلها ومحاسنها والمخاطر التي تتعرض

لها وأعظمها التعصب الديني والنعرات الطائفية . ولا بد ان يجعل الكتاب في ثلاثة مجلدات وجيز ومتوسط ومنفصل ، يعين كل منها للصفوف التي يلائمها ، ويعهد بتصنيف الكتاب في مجلداته الثلاثة الى لجنة من كبار العلماء والادباء فتتقاسم ابوابه وفصوله ؛ واذا اخرجته المطابع وجب استخدامه فوراً وارصاد ساعة لدرسته في كل صف مرة كل اسبوع او كل اسبوعين حسباً ثواتينا برامج لدروس واورقائها .

واذا قدرنا ان اخراج هذا الكتاب يتطلب انتظار وقت غير يسير أي سنتين او نحوها فالاولى ان لانضيع الوقت هدراً بانتظاره بل يتولى تدريسه في كل مدرسة الاساتذة الذين هم اجدر به من سواهم فيلقنوا الطلبة فذلكات مفيدة من صميمه وذلك ريثما يظهر الكتاب المنتظر فيكون الدرس اتم نظاماً واسهل تناولاً .

* * *

الوجه الخامس

المعول الأكبر في مراقبة الدروس والمدرسين

الغالب ان يعول مدير المدرسة في مراقبة الدروس والمدرسين على الدفاتر التي ينظمها المعلمون لأجل صفوفهم فمنها دفتر تقسيم الدروس وذكر الفصل أو الباب الذي يفرض على الطلاب يوماً فيوماً . ومنها دفتر علامات الدروس وعلامات حسن السلوك ورداءته . وثالثها دفتر الحضور والغياب . هذه هي الدفاتر الواجب اتخاذها وقد يضاف اليها رابع اذا رجا الأستاذ أو المدير من ورائه شيئاً من المدد والفائدة . ولكنه يكون دفترًا اختياريًا زائداً على مقتضيات النظام .

هذه الدفاتر هي وحدها تقريباً معول مدير المدرسة على معرفة نجاح الطلاب أو تقصيرهم واخلاص معلمهم في العمل أو عدم اخلاصهم . بلقي نظراً خفيفاً على هذه الدفاتر فاذا رآها نظيفة حسنة التنظيم فالمعلم قدير بصير أمين . والا فلا . وعلى هذه الخطة يجري المفتش حين يزور المدرسة مرة أو مرتين في السنة .

يطلع على دفاتر المعلمين وعلى دفتر مدير المدرسة وقد يفاوضه الحديث على خلوة ربع ساعة أو نصف ساعة بينهما . واستناداً الى هذه الظواهر السطحية ينظم تقريره الذي يرفعه الى رؤسائه . هكذا يظن المفتشون انهم قاموا بواجباتهم وهكذا يظن المديرون انهم أدوا مهمتهم . وشتان بين هذه الظواهر الخداعة وبين البواطن التي ملؤها الصواب والحقائق الراهنة . ان الدفاتر يجوز اتخاذها وسيلة استئناس وتنبيه الى حد محدود . وأما الباب المراقبة فيتطلب وسائل العنق وأضمن كدخول الصفوف حيناً بعد حين والاستماع الى شرح والقاء التلاميذ وتوجيه شيء من الأسئلة اليهم . والاطلاع مائلاً على دفاترهم . ومكاشفة المعلمين في سياق حديث رصين آرائهم وخططهم ومبلغ نشاطهم وتجاهلهم . هذا هو الباب وما عداه قشر أو زخارف ومن منا ياترى يحكم بالجودة أو بالرداءة على أرز مطبوخ بمجرد أن الطاشي اخبرنا عما دخله من أرز وسمين ولحم ولوز وصنوبر وحسبه صادقاً في ما قال فإن المواد التي ذكرها تتفاوت درجاتها في النفاسة فالعبرة في المذاق والاختبار لافي تنسيق الأخبار ومن لم يبالوا بموت الضمير فضماؤهم في عداد المرحومين من موتانا .

ادوار مرفه

(انلاذقية)

دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها

— ٥ —

المجاميع

٨٧ [١] مجموعة^(١) لتقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الله الكافي بن تمام بن حماد السبكي (٧٥٦ -)^(٢) تحتوي على ما يأتي :

(١) رسالة في جواب سؤال وجه اليه عن حديث « أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي »

(٢) رسالة « الأدلة في إثبات الأهلّة » وقد كتبها بيده بالمدرسة العادية

بدمشق سنة ٧٤٨

(٣) رسالة « بيان الأدلة في إثبات الأهلّة »

(٤) رسالة « في تفسير قوله تعالى « لا جناح عليكم »

(٥) رسالة موجهة للحضرة النبوية في الرد على ما انكر عليه في تقدمه « كتاب

العقل والنقل لابن تيمية » وقد كتبها بيده سنة ٧٥١

(٦) رسالة « شرح القصيدة النبوية المتضمنة الرد على الاشاعرة لابن القيم »

وقد كتبها بخطه سنة ٧٤٩

(٧) رسالة « الاعتبار ببقاء الجنة والنار » كتبها بخطه سنة ٧٤٨

(٨) بعض فتاوى وفوائد بخطه

٨٨ [٣] مجموع^(٣) للجلال محمد اسعد الدواني الصديقي (٩٠٧ -)^(٤) فيه :

(١) رسالة التعليقات على المحاكمات

(٢) رسالة « في كلمة التوحيد »^(٥)

(١) برنامج : ٧١ (٢) بروكلمان ٢ : ٨٦ والذيل ٢ : ١٠٢ (٣) برنامج : ٧٢

(٤) بروكلمان ٢ : ٧١٧ والذيل ٢ : ٣٠٦ (٥) ذكرها بروكلمان ٢ : ٢١٨ رقم [١٤]

- (٣) شرح « هياكل النور السبعة للسهروردي »^(١)
 (٤) رسالة « تعريف علم الكلام »^(٢)
 (٥) رسالة « في بعض التعليقات على كتاب طوابع الانوار »^(٣)
 (٦) شرح كتاب « التهذيب في المنطق »^(٤)
 (٧) شرح رسالة الطوسي
 (٨) شرح رسالة الزهراء وكلامهما للجلال^(٥)
 (٩) تنوير المطالع
 (١٠) حل المغالطة
 (١١) بعض تعليقات على اوائل حاشية مختصر المنتهى للسيد
 ٨٩ [٤] مجموع فيه :^(٦)

- (١) رسالة « نصرة المتأهلين » في التصوف لمحمد البركوي بن
 بير علي (٩٨١ -)^(٧)
 (٢) رسالة « نفيس المتجر بشراء الدرر » لأبي الاخلاص حسن بن
 عمار الشرنبلالي (١٠٦٩ -)^(٨)
 (٣) رسالة « الدر الثمين في أحكام اليمين » لأبي الاخلاص حسن
 ابن عمار الشرنبلالي
 (٤) رسالة « الحكم المسند بترجيح بينة غير ذي اليد » لمحمد بن ابي بكر
 ابن جماعة الكناني (٨١٩ -)^(٩) وهي مكتوبة سنة ١١٠٤
 (٥) « رسالة تحفة المجدين بنصرة خير الدين » الرمي لمحمد بن محمد الطيب
 المالكي التافلاقي مفتي القدس (١١٩١ -)^(١٠) وهي مكتوبة سنة ١١٧٨

- (١) بروكلمان ٢ : ٢١٨ رقم [٢٠] (٢) الذيل ٢ : ٢١٧ رقم [٢٣] (٣) بروكلمان
 ٢ : ٢١٨ رقم [٣٥] (٤) بروكلمان ٢ : ٢١٨ رقم [٣٣] (٥) بروكلمان ٢ : ٩٨ رقم [٢]
 (٦) برنامج ٢٣ (٧) بروكلمان ٢ : ٤٤٠ (٨) بروكلمان ٢ : ٣١٣ (٩) بروكلمان
 ٢ : ٩٤ والذيل ٢ : ١١١ (١٠) المرادي سلك الدرر ٢ : ١٢٠ - ١٠٨

- [٦] «رسالة الاسعاد بشرح تخميس بانت سعاد» لمحمد بن محمد الطيب المالكي النافلاتي
- [٧] «رسالة الارشاد في احاديث البلاد»
- [٨] «تعذيب المقامة قيم او رد في الفصد والحجامة»
- [٩] «النفح المعنوي في المولد النبوي»
- [١٠] «مقامات الصفا بمعراج المصطفى»
- [١١] «اسعاف ذوي الوفا بمولد المصطفى»
- [١٢] «حبور المهيمن في الكلام على اسمه تعالى المهيمن»
- [١٣] «الاقلام المجلدة في هواتف البسملة»
- [١٤] رسالة «حسن البيان في مدلول القرآن»
- [١٥] الصلح بين المجتهدين في كلام رب العالمين
- [١٦] «الخور العين»
- [١٧] تحذير اعيان البشر من احاديث عكرو عينها المستهمة عين البقر
- [١٨] قطع اللسان عن تحريم الدخان
- [١٩] تحرير المسطر في فروع المشتى وحكم المسحر
- [٢٠] الفتح الاكبر في تأييد توجيه الشيخ الاكبر
- [٢١] رسالة حسن الاستقصا لما صح رثبت في المسجد الاقصى
- [٢٢] القول المقدس في شأن البيت المقدس
- ٩٠ [٦] مجموع فيه ^(١) رسائل لمحي الدين بن عربي الطائي (٦٣٨ -) ^(٢)
- [١] رسالة «التقواء والابدال»
- [٢] رسالة «الحق» ^(٣)
- [٣] رسالة «الفناء والمشاهدة»
- [٤] رسالة «فيما تجوي عليه الجلالة من الأسرار»
- [٥] رسالة «مقام القرية وفك الكربة»

- [٦] كتاب الباء وهو كتاب الهو^(١)
 [٧] كتاب الأزل
 [٨] كتاب الأحذية^(٢)
 [٩] كتاب الباء وهو مفتاح دار الحقيقة^(٣)
 [١٠] الرسالة القدسية في أسرار النقطة الحسية لزي الدين أبي العباس أحمد
 الهمداني^(٤) تلميذ صدر الدين أبي المعالي محمد بن اسحق الصوفي القونوي الذي
 كان في أواخر القرن السابع^(٥)

٩١ [٧] مجموع فيه^(٦)

- [١] حاتية على شرح رسالة أبي الليث السمرقندي في الاستعارات^(٧) لمؤلف مجهول
 [٢] مسعفة الحكم في الأحكام لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد
 التمرناشي الحنفي الغزي (١٠٠٤ -)^(٨)
 [٣] وصية الحسن البصري لعبد الرحيم بن انس^(٩)
 [٤] الصحف الحديثة المنسوبة إلى سيدنا موسى عليه السلام
 [٥] رسالة «المنبهات على الاستعداد ليوم الميعاد» لأحمد بن محمد بن علي
 ابن حجر الهيتمي المكي (٩٧٣ -)^(١٠)
 [٦] رسالة «الخير التام في ذكر الأرض المقدسة وحدودها وذكر أرض
 فلسطين وحدودها وأرض الشام» لصالح بن محمد [أحمد] بن عبد الله العمري
 التمرناشي (١٠٥٥ -) وهي مكتوبة سنة ١١١٢^(١١)
 [٧] شرح القصيدة الخزرجية في العروض لعبد الله بن محمد الخزرجي (٦٢٦ -)
 والشارح مجهول وهي مكتوبة سنة ٩٩٩

- (١) بروكلمان ١: ٢٢٦ رقم [٧٦] (٢) بروكلمان ١: ٢١٩ رقم [١٠٨] (٣) بروكلمان
 ١: ٢٢٥ رقم [٧٥] (٤) بروكلمان ١: ٢٥١ (٥) بروكلمان ١: ٢٢٩ (٦) برناميج: ٢٢
 (٧) الذيل ٢: ٢٥٩ (٨) بروكلمان ٢: ٣١١ وكش ٢: ٢٢٩ (٩) الذيل ١: ١٠٣
 (١٠) بروكلمان ٢: ٣٨٧ والذيل ٢: ٥٢٩ (١١) بروكلمان ٢: ٣٠٣

٩٢ [٨] مجموع فيه ^(١)

[١] ارجوزة الحج وهي المسماة « مرشدة الناسك لأداء المناسك » لتاج الدين هبة الله عبد الوهاب بن أبي نصر أحمد بن عربشاه القرشي العثماني المؤرخ الأديب (٩١ - ٩٢) وهي نسخة بخطه كتبها سنة ٨٩٨

[٢] القصيدة البدعية وهي المسماة بشفاء الكاظم بمدح النبي الكريم لابن عربشاه بخطه ^(٢)

[٣] تخميس قصيدة نظم اسماء الله الحسنى لسعد بن عبيد الله الحضرمي (?)

خمسها ابن عربشاه وفي بخطه

[٤] تخميس قصيدة عز الدين الديري (?) لابن عربشاه بخطه

٩٣ [٩] مجموع لابن عربشاه السابق ذكره فيه ^(٣)

[١] مولد النبي ﷺ لسعد الدين الديري الخنفي (?) بخط ابن عربشاه

[٢] تحرير تنقيح التبيان في تقرير توضيح مسائل خامس الأركان (الحج)

لابن عربشاه

[٣] ترجمة الوالد وشيوخه وأبوه هو صاحب كتاب « فاكهة الخلفاء » المشهور ^(٤)

[٤] « تنزيه الموحد » لابن عربشاه وهي قصيدة لامية في التوحيد

[٥] « شرب رياض التعبد في التوحيد » وهي قصيدة نوتية

٩٤ [١٠] مجموعة فيها ^(٥)

[١] رسالة في المواعظ والنصائح المسجعة لخليل بن علي ولم اعرف شيئاً عنه

واغلب الظن انه خليل بن علي المرادي مؤلف سلك الدرر والتاريخ المسجوع

وعرف البشام فيمن ولي فتوى الشام ^(٦) وكله سجع أيضاً .

[٢] قطعة من كتاب الاشباه والنظائر للجلال السيوطي ^(٧) وهي الفن الرابع

من الاشباه والنظائر في الالغاز والحيل والفروق والحكيات .

(١) برنامج : ٧٢ (٢) بروكلمان : ٢٩ : ٢ والذيل : ١٣ : ٢ (٣) بروكلمان : ٢ : ٢٩

والذيل : ٢ : ١٣ رقم [١] (٤) برنامج : ١٣ (٥) الذيل : ٢ : ١٣ رقم [١٥]

(٦) من الكتاب نسخة بخرانة آل الشطي بدمشق وأخرى بكتبة الأستاذ خليل مردم بك .

[٣] القصيدة الموشحة بالاسماء المؤنثة للجمال أبي عمر عثمان بن عمر المشهور بابن الخاحب ٦٤٦^(١)

[٤] رسالة « دفع المطاعن عن القرآت الكريم » لمؤلف مجهول

[٥] « في » « بحور الشعر »

[٦] « في » « تجريم شرب الدخان »

[٧] « في » « الخلاف بين البصريين والكوفيين »

٩٥ [١١] مجموعة فيها^(٢)

[١] رسالة « الشهاب القابس في البيع والكنائس » لمحمد بن فخر الاسلام الخيري (؟) وهي مكتوبة ١٠٨٢ ، ولم اعتد الى صاحبها وانما ذكر الحاج خليفة رسالة اسمها « رسالة الكنائس والبيع » لأحمد بن محمد بن علي الشهير بابن الرفعة الشافعي (— ٧١٠) وهي تأليف حسن اولها « الحمد لله العلي الكبير اللطيف الخبير »^(٣)

[٢] رسالة « لعن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام » لعمر بن محمد بن خليل السكوني (— ٧٠٧)^(٤) وهي نسخة لطيفة مكتوبة ١٠٦٥

[٣] المدحش في المواعظ لابن الجوزي^(٥)

٩٦ [١٢] مجموع فيه^(٦)

[١] رسالة « في تعليق طلاق احدى المراتين على الاخرى » لمؤلف حنفي مجهول

[٢] شرح الصلوات المشيشية لعبد السلام بن مشيش الحسني الادريسي الصوفي

(— ٦٢٥)^(٧) مؤلف مجهول والنسخة مكتوبة ١٠٩٣

[٣] رسالة في التوفيق بين حديث « الصدقة ترد البلاء » وآية « اذا جاء

أجلهم ٠٠٠ » خليل بن سليم (؟) وهي مكتوبة ١١٨٢

(١) بروكلمان ١ : ٣٠٦ رقم [٦] (٢) برنامج : ٧٣ (٣) كشي ١ : ٥٦٣

(٤) بروكلمان ٢ : ٥٠٩ (٥) بروكلمان ١ : ٥٠٦ (٦) برنامج : ٧٣

(٧) الذيل ١ : ٧٨٢

- [٤] تفسير سورة « اقتربت الساعة » لحقي افندي
 [٥] رسالة في « البسمة واحكامها » للكرماني
 [٦] رسالة في « المقدمات الاربع » لصدر الشريعة عبد الله بن مسعود [٢٤٧ - ٢٤٨]^(١)
 [٧] رسائل في « فضائل آية الكرسي » لمحمد كوزل حصاري
 [٨] رسالة في « حق صدور كلمة الكفر » = = =
 [٩] رسالة في « تحقيق كلمة التوحيد لمؤلف مجهول
 [١٠] = في « شرح كلمة التوحيد » لمحمد البركوي صاحب الطريقة المحمدية
 [١١] = « ايها الولد » لابي حامد الغزالي
 [١٢] = في « البسمة » لابي سعيد محمد بن محمد الخادمي [١١٧٦ - ١١٧٧]^(٢)
 [١٣] « شرح سورة الاخلاص » لابي سعيد الخادمي
 [١٤] « شرح الرسالة البركوية في التوحيد » = =
 [١٥] « شرح ديباجة كتاب منية المعالي » = = للكرماني وبلية شروح
 لحمزة افندي [١١٢٤ -] وابن اطوى افندي واسماعيل الايوالي [١١٩٤ -]
 واحمد نوشتي .

- [١٦] رسالة الذكر لابي الحسن النقشبندي الصوفي
 [١٧] = في حكم التبليغ للمؤذن لاحمد بن محمد الحموي الحنفي [١٠٩٨ -]
 [١٨] = في « فضيلة العمامة » للعلاء محمد ابي الفضل البخاري (٨٤١)
 [١٩] = في « فضيلة القلنسوة » = = =
 [٢٠] = في « الطعام وطهارته » = = =
 [٢١] = « الاسلام » محمد الموعشي ساجقلي زاده [١١٥٠ -]^(٣)
 [٢٢] = في « نظر الذمية الى المسلمة » لمجهول
 [٢٣] = فيمن قال عند التعجب « الله الله » لمجهول

(١) بروكلمان ٢ : ٢١٢ (٢) بروكلمان ٢ : ٣٥١ والذيل ٢ : ٣٩٣ (٣) بروكلمان
 ٢ : ٣٢٠ والذيل ٢ : ٢٩٨

- [٢٤] رسالة في حياة الانبياء « لابي الحسن النقشبندي
 [٢٥] = «نشر اللطائف في قطر الطائف» لنور الدين علي المدني
 [٢٦] = في «اقتداء الحنفي بالشافعي» لمجهول
 [٢٧] = «كشف الريب عن مفاتيح الغيب» لمجهول
 [٢٨] = في «وحدة الوجود» لعطاء الله المصري [?] ومعه فتاوي لمحمد
 الكوراني [?]

٩٧ [١٣] مجموع فيه ^(١)

- [١] شرح ارجوزة في المعاني لمحي الدين بن تقي الدين (?)
 [٢] مباحث في ان الواحد نصف الاثنين لسليمان الزيات [?]
 [٣] شرح منظومة الفرائض لعمر بن المظفر بن الوردي [٧٤٩ -] الفه
 اسحق بن عمر بن سبط القلقشندي [?]
 [٤] شرح لامية الشعراني [١٠١ -] لعبد الله بن الحسين ابي البقاء
 البكري [٦١٦ -] ^(٢)

- [٥] رسالة الاستعارات لابي الليث السمرقندي
 [٦] حاشية على شرح الايساغوجي لتركيا الانصاري
 [٧] ارجوزة في المعاني لناظم مجهول
 [٨] المورد الأصفى في مولد المصطفى لناظم مجهول ولعله التافلاتي
 [٩] النفع المعنوي في المولد النبوي للشيخ محمد التافلاتي [انظر رقم ٨٩]
 [١٠] الجواب عن خمسة اسئلة سأل عنها اهل القدس الامام عبد الغني
 النابلسي [١١٤٣] ^(٣)

- [١١] رسالة في اقتداء الحنفي بالشافعي لمؤلف مجهول
 [١٢] = في الكلام فيما يثبت بالشهادة على الخط لسري الدين بن الشحنة
 الحنفي الحلبي .

(١) برنامج : ٧٣ (٢) بروكلمان ١ : ٢٢٧ رقم (٢) (٣) بروكلمان ٢ : ٣٢٠

[١٣] اصلاح الاسفار عن مخدرات الدر المختار للحسن بن ابراهيم الجبرتي
[١١٨٨ —] بخطه كتبها ١١٧٨

[١٤] رسالة في النيات للجهول

[١٥] ما يحل وما يحرم من الحيوان لنوح بن محمد السمناني

[١٦] حسن الاختصاص في تخصيص البيت الحرام بالمناسك والطواف لمحمد

التافلاتي [انظر رقم ٨٩]

٩٨ [١٤] مجموع زهر البستان وانس الندمان ^(١) لسلیمان بن عبد اللطيف

الانصاري الخزرجي [؟] بخطه كتبها سنة ١٠٦٢ ولم ائتد الى شيء من أخبار المؤلف
فما بين يدي من مصادر ولا اعرف مكتبة اخرى فيها هذا الكتاب وهو مجموعة
ادبية طريفة .

٩٩ [١٥] مجموع فيه ^(١)

[١] شرح المنظومة الدهياطية في القراءات لشمس الدين احمد بن محمد البناء

الدهياطي [١١١٧ —] ^(٢) شرحها الصالح محمد بن الحاج [؟]

[٢] رساله الاالواح لافلاطون

[٣] منازل القمر للشيخ ابن زروق المغربي شهاب الدين احمد [٨٩٩ —] ^(٣)

١٠٠ [١٦] انموذج العلوم طبقاً للمفهوم لمحمد شمس الدين شاه چلي بن محمد

الفناري [٨٣٩ —] ^(٤) وهي مجموعة بحث فيها عن مائة مسألة من مائة فن من

فنون العلم ، وقيل ان الكتاب لوالده محمد الفناري ، والصواب ان الاصل للاب

والشرح لابن كما ذكر الحاج خليفة ، وهي بطريق الالغاز الفها امتحانا لفضلاء

عصره ولم يقدروا على تعيين فنونها فضلا عن حل مسائلها ، وفرغ منها سنة ٨٢٤

ونسختنا مكتوبة ٨٢٧ .

(١) برنامج ٧٣ (٢) بروكلمان ٣٢٧ : ٢ والذيل ٢٥٢ : ٢ (٣) بروكلمان ٢ : ٢٥٣

(٤) بروكلمان ٢ : ٢٣٤ والذيل ٣ : ٣٢٩ وكش ١ : ١٩١

١٠١ [١٧] مجموعة ^(١) لابن كحل باشا زاده محمد بن احمد بن سليمان
[٩٤٠] ^(٢) فيها :

- [١] تفسير سورة النبأ
 - [٢] ثلاثة شروح للاربعين النورية
 - [٣] تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية
 - [٤] تحقيق معنى كلمة الزنديق
 - [٥] مدح السعي وذم البطالة
 - [٦] تحقيق التغليب في النشر والتركيب
 - [٧] رسالة الفرائض
 - [٨] اسلوب الحكيم
 - [٩] شرح رسالة عقد الدين الايجي في بحوث الدلالة . ومن هذه الرسائل
جميعها نسخ موجودة ذكرها بروكلمان ماعدا الرسالة الأخيرة .
- ١٠٢ (١٨) مجموعة ^(١) ثانية لابن كحل باشا زاده ^(٢) فيها :

- [١] شرح أربعة وعشرين حديثاً [٢] شرح بعض الاحاديث النبوية
- [٣] اقسام الاستعارة [٤] شهادة الزور وحكم صاحبها [٥] رسالة في الخضاب
- [٦] رسالة في التضمين [٧] رسالة في ان صاحب علم المعاني بشارك اللغوي
- [٨] رسالة تكوين الخضاب [٩] تحقيق التغليب في النشر والتركيب . وهذه
الرسائل يذكرها بروكلمان الا الرسالة الاولى والثالثة والرابعة .

١٠٣ [١٩] مجموعة فيها ^(١)

- [١] رسالة في علم الحساب لحي الدين عبد القادر الدنجاوي (?)
- [٢] في اقسام الحديث الضعيف لمحمد بن خليفة الشويري ^(٢)
- [٣] نظم مختصر المنار في الاصول الخفية للمفتي محمد التايفلاقي بخط يده
- [٤] القصيدة الشاطبية في القراءات لابن فراه الشاطبي

(١) برنامج : ٧٣ (٢) بروكلمان ٢ : ١٢٩ — ٢٥٣ (٣) لم اهتم الى ترجمته وانما ترجم
المحي ٣ : ٣٨٥ لمحمد بن احمد الشويري (— ١٠٩٦)

[٥] الواضحة في تجويد الفاتحة لبرهان الدين ابي العباس ابراهيم بن عمر ابن خليل الجعبري (سنة ٧٣٢) ^(١)

[٦] حسن الاستقصا لما صبح وثبت بالمسجد الأقصى للمفتي محمد التافلاتي ويليها بعض فتاوي وأجوبة وفوائد بخطه
١٠٤ [٢٠] مجموعة فيها ^(٢):

[١] اسئلة وأجوبة على عدة مسائل مهمة لنجم الدين محمد بن احمد بن علي الغيطي الاسكندري (٩٨١ -) ^(٣)

[٢] قطعة من ديوان علي بن مراد العمري الموالي الشافعي امام الموصل ومفتي بغداد والموصل (١١٤٧ -) ^(٤)
١٠٥ [٢١] مجموعة فيها ^(٥)

[١] شرح متن السلم المروتنق في المنطق لعبد الرحمن بن محمد الصغير الجزائري الأحمري من رجال القرن العاشر

[٢] شرح الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة ألفه أكمل الدين البايروني ^(٦)

[٣] احراز السعد بانجاز الوعد بأبحاث (أما بعد) لغنيم الجوهرى (?)

[٤] أحوال السلف وطبقاتهم لابن كمال باشا زاده

[٥] رسالة في الحكم العقلي لعبد الحليم الشافعي (?) ^(٧)

[٦] ارجوزة بغية الطلاب في علم الاسطرلاب لأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي يحيى الحباك (٨٦٧ -) ^(٨)

[٧] تبييض الصحيفة بمناقب الامام ابي حنيفة لجلال الدين السيوطي ^(٩)

[٨] أشرف المسالك في المناصك لنوح افندي الفقيه الحنفي

- (١) بروكلمان ٣ : ١٦٥ رقم [٥] (٢) برنامج : ٧٣ (٣) بروكلمان ٢ : ٣٣٨ والذيل ٢ : ٢٦٧ (٤) ملك الدرر للرازي ٣ : ٣٣١ (٥) برنامج : ٧٢ (٦) بروكلمان ١ : ١٧٠ رقم [٣] (٧) لعل الشيخ عبد الحليم بن عبد الله الشويكي الشافعي النابلسي (١١٨٥ -) الذي يترجمه المرادي ٢ : ٢٤٢ ويذكر له رسالة علم الكلام رد بها على مسامره أبي الحسن الماملي الرافضي وله إشرح على السنوية (٨) بروكلمان ٢ : ٢٥٥ (٩) بروكلمان ٢ : ١٥٧ رقم [٢٨٦]

١٠٦ [٢٢] مجموع فيه ^(١)

- [١] حل مسألة في الحساب لمحمد بن علي الحميدي (١١٧٩ -) ^(٢)
 [٢] رسالة في الطواحين وكيفيتها وأحكامها لزين العابدين بن ابراهيم
 ابن نجيم المصري (٩٧٠ -)
 [٣] رسالة في «استبدال الوقف» لعلي چايي بن أمر الله قفالي زاده (٩١٩ -) ^(٣)
 [٤] رسالة في «أحكام الأوقاف» لمولانا يوسف بن حسين كرماسني (٩٠٦ -) ^(٤)
 ١٠٧ [٢٣] مجموع فيه ^(١)

- [١] الكوكب الوقاد في الاعتقاد لأبي عمر عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم
 عن الدين بن جماعة الكناني (٧٦٧ -) ^(٥)
 [٢] تسهيل الأحمال في تحصيل الأعمال في القراءات السبع لمؤلف مجهول
 ١٠٨ [٢٥] مجموع فيه ^(٦)

- [١] برء الساعة في الطب لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (٣٢٠ -) ^(٧)
 وهي نسخة حسنة كتبها محمد بن عبد الله بن تغري ورش
 [٢] القصيدة الهائية المنسوبة للغزالي في التوحيد والتصوف
 [٣] بعض الأدعية والمدائح النبوية لمؤلف مجهول
 [٤] فضل مكارم الأخلاق لمؤلف مجهول
 [٥] جواب على ما استشكله بعضهم في حكم تطويل الركعة الأولى
 لشمس الدين الفلكي الحنفي (?)

- [٦] رسالة تبحث في بعض الفوائد الأدبية واللغوية من أمور الحيوان والفلك وكرة
 الأرض والدهر والزمان والليالي والشهور وأسماء البلاد ومسائل الطب لمؤلف مجهول

اسعد طلس

(١) برنامج: ٧٢ (٢) بروكلمان ٢: ٢٥٩ والذيل ٢: ٢٨٧ (٣) بروكلمان ٢: ٢٣٣
 (٤) بروكلمان ٢: ٢٣١ (٥) بروكلمان ٢: ٧٢ والذيل ٢: ٢٨ (٦) برنامج: ٧٢
 (٧) بروكلمان ١: ٢٣٢ رقم [٩]

مخطوطات ومطبوعات

المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري

من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

إذا أحببنا أن نطلق صفةً على عام ١٩٤٢ بالنسبة إلى الحياة الأدبية في الشام فإننا لا نجد أكمل من هذه الصفة : عام أبي العلاء المعري ، فقد استطاع مجتمعنا العلمي العربي بدمشق أن يصل في هذا العام الماضي بالخاضر أشد صلة ، فدل عمله هذا على أن وطننا الروحاني لا يعترضه شيء من العقبات المادية فلا الصحاري ولا الجبال ولا البحار وما شاكلها تعترض تقاليدنا وأفكارنا وعواطفنا الواحدة أو المتقاربة ، لقد حمل مجتمعنا العلمي العربي رجال الأدب في هذا العصر من مصر وفلسطين وشرقي الأردن ولبنان والشام والعراق على تذكر مولد أبي العلاء بعد أن مرَّ على هذا المولد ألف سنة ، فهبوا لهذا التذكر كأنهم جسم واحد وروح واحدة لم تباعد بينهم صحراء مديدة أو جبل ذاهب في السماء أو بحر لا يدرك أوله ولا آخره ، على الرغم من الحوادث السياسية التي مرَّت على هذه البلاد العربية من مولد المعري إلى يومنا هذا .

يشتمل المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري على وصف المهرجان الذي أقامه مجتمعنا في ٢٥ أيلول سنة ١٩٤٤ في دمشق وحمص وحماة ومعرة النعمان وحلب واللاذقية لذكرى مرور ألف سنة على مولد أبي العلاء وقد دام المهرجان أسبوعاً ودوّنت في هذا الكتاب القصائد والخطب التي قُبلت في المهرجانات وصدر الكتاب بمقدمة دقيقة للأستاذ خليل مردم بك .

اشترك في المهرجان أصاتيذ من الطراز الأول فمن مصر اشترك الدكتور طه حسين وأحمد أمين والدكتور عبد الوهاب عنّام وعبد الحميد العبادي وأحمد الشائب وإبراهيم مصطفى وإبراهيم عبد القادر المازني ومن فلسطين محمد اسعاف

النشاشيبي وعزمي النشاشيبي ومن شرقي الأردن محمد الشريقي وأديب وهبة ومن لبنان عارف العارف وأتيس المقدسي وفؤاد أفرام البستاني والدكتور فيليب حتي ومن العراق محمد رضا الشبيبي ومحمد مهدي الجواهري ومعروف الرصافي وطه الراوي وكاظم الدجيلي والدكتور مهدي البصير ومن فارس عباس إقبال ومن سورية نخامة رئيس الجمهورية ووزير المعارف ورئيس المجمع العلمي العربي وستة أعضاء من المجمع وهم : عبد القادر المغربي ومحمد سليم الجندي وعارف النكدي ومحمد البزم والدكتور جميل صليبا وكاتب هذه الكلمة ، ومن غير المجمع نخري البارودي والآنسة جهان الموصلية ومن حلب سامي الكيالي وعمر أبو ريشة ومن اللاذقية بدوي الجبل ومن المستشرقين ألفريد غليوم وهنري لاوست .

لا يتسع هذا المقام للافاضة في وصف ما قيل في المهرجان من القصائد والخطب وحسبي الإشارة الى ان الخطباء تعرضوا لأكثر نواحي المعري الفنية والفلسفية والاجتماعية والسياسية والتاريخية والدينية فلا يفرغ القاري من قراءة الكتاب إلا مملوء الذهن من صورة المعري في هذه النواحي نظراً الى تدقيق أصحابها فيها . وقد تتفاوت قيمة هذه الخطب كما تتفاوت قيمة القصائد فقد اختلف مقدار إلمام الشعراء بتصوير المعري فمنهم من ظن على شعره صفات صورة المعري ومنهم من لم تظهر على شعره صفات هذه الصورة إلا قليلاً وكيف كان الأمر فما قيل في المهرجان من خطب وقصائد إنما هو من أحسن ما يقال في هذا الباب .

شفيق هبزي



ذكرى أحمد تيمور باشا

في أول آذار سنة ١٩٤٥ أقيمت بدار الأوبرا الملكية في القاهرة حفلة لإحياء ذكرى العلامة أحمد تيمور باشا شملها برعايته حفرة صاحب الجلالة ملك مصر واشترك فيها جمهور كبير من العظماء ورجال السياسة والعلم والأدب في مصر

وبلاد العرب عامة وطائفة من السيدات والأوانس وشباب الجامعات ودور العلم .
أُقيمت في هذه الحفلة خطب وقصائد كثيرة منها خطب الدكتور محمد
حسين هيكل باشا والشيخ خليل ثابت بك والاساتذة محمد كرد علي بك وأحمد
امين بك ومحمد بك الشريفي وسامي بك السراج ومنها قصائد أحمد الزين وأحمد
محرم ومعروف الرصافي والامير شكيب أرسلان . . .

جل ما شتمت عليه خطب الخطباء وقصائد الشعراء إجماع اصحابها على حب
أحمد نيمور باشا للعلم وانقطاعه الى الكتب وحرصه على الدين واشتهاره
بالأخلاق القويمة . .

ونظراً الى اواصر الاخاء المتينة التي انعقدت بين احمد نيمور باشا وبين الاستاذ
العلامة محمد كرد علي بك استطاع الاستاذ الموما اليه أن يفيض في الكلام
على صديقه فصوره تصويراً كاملاً وكشف الغطاء عن نشأته وأخلاقه وغرامه
بالكتب واحتفاله بجمعها وسعة علمه التي جعلته مرجعاً وضرب مثلاً لتبذيره
وأشار الى بعده عن الظهور وإثاره العزلة وحرصه على المصلحة العامة وتكلم على تأليفه
واذا فتش الانسان عن صفة يصف بها أحمد نيمور باشا بعد أن عرف من
علمه وأخلاقه ما عرف فلا يجد الا الصفة الآتية : فقد ارتفع عن أفق البشر
وعاش في أفق أعلى ، وهذه هي الحياة السامية بعينها .

س . ج

السلوان الطائب

خير الدين الأيوبي

هذه صفحات ثر فيها الكاتب نتفاً من حياته ، يجد القاري في بعضها وصفاً
للطبيعة دون شيء من التصنع ، فالصور في هذا الوصف بسيطة وهذا ما حجبها الى
القلب ويجد في بعضها وصفاً للأهواء والعواطف يتبين له الصدق في كثير منه ،
وتتخلل هذا كله روح رقيقة الشعور .

س . ج

أبها العرب اتحدوا

منير الشريف

موضوعات هذا الكتاب مختلفة : فيه أشياء عن العرب وبلادهم وعن الوحدة وعواملها وفوائدها وعن الأخطار المحدقة ببلاد العرب وغير ذلك ، فالكتاب ينتقل من التاريخ الى الاقتصاد الى الاجتماع وكل هم في هذا الانتقال أن يحضّ العرب على الوحدة وقد بين لهم في قسم من كتابه ما الذي يجب عليهم أن يعملوه في سبيل هذه الوحدة وإذا خرج القاري من كتاب : أبها العرب اتحدوا بنتيجة فإنه يخرج بالنتيجة الآتية : وهي امتلاء قلب صاحبه من النزعة العربية التي يحاول أن يملّ كل واحد منا قلبه منها .

ش . ج

سومر

(الجزء الثاني من السنة الاولى - تموز ١٩٤٥)

هي مجلة تبحث في آثار العراق القديمة . تصدرها باللغة العربية والانكليزية مديرية الآثار القديمة العامة في بغداد ، ويجريها نخبة من موظفي مصلحة الآثار العراقية وغيرهم من العلماء الاجانب . وهذه المجلة هي الاولى من نوعها التي تبحث المواضيع الاثرية باللغة العربية . ويحق للعراق أن يفخر بها . فقد سبق في هذا المضمار غيره من الاقطار العربية . ومن يعرف حداثة عهد البلاد العربية في الدراسات الاثرية يقدر هذه البادرة الطيبة التي تبشر بمستقبل زاهر لهذه النهضة العلمية المباركة . ويجد المطالع في هذه المجلة امتع الابحاث عن آثار العراق ويقف منها على أصدق انبائها . وبدرك منها عناية ابناء بلاد الرافدين بشاريخ بلادهم العريقة بالمدنية . وحرصهم الشديد على حفظ تراث سلفهم المجيد . وقد جمعت هذه المجلة بين غزارة المادة وحسن الطباعة . ونرجو من القائمين على شؤونها زيادة العناية بطباعة صورها وتصحيح أخطائها المطبعية حتى لا تشوه

محاسنها . ومن هذه الاخطاء ما جاء في صفحة ١٥٧ خربة السفانة وصوابه خربة الصانع وفي ص ١٥٨ لآت وصوابه لآلت . ونتمنى لهذه المجلة دوام النجاح ونرجو تعدد امثال هذه المجلة في بقية الافطار العربية ونهنيء مديرية مصلحة الآثار القديمة في العراق على ماوفقت اليه من هذا العمل الجليل .

جعفر الحسني

—•••—

تاريخ الأسطول العربي

تأليف الأستاذ محمد ياسين الجموي . نشره فؤاد هاشم الكنتي بدمشق

عام ١٩٤٥ ، عدد صفحاته ١٤٢ من القطع الوسط

ما أخرج تاريخنا الى مثل هذه الابحاث القيمة التي تميظ اللثام عن صفحات مجيدة من تاريخ الحضارة العربية . وقد رغب المؤلف ان يسد ثلثة من عورات تاريخنا فأقدم على هذا البحث الجليل الذي تقدر فائدته ونذكر صعوبة مسالكه ولئن كان هذا السفر لم يحقق لنا جميع اغراضه لانه ذكر لنا اشياء كثيرة واغفل اشياء عديدة . فانه قد وفق في رسم الخطوط الرئيسية لهذا البحث القيم لتكون نواة ينسج حولها مافات ادراكه . ونرجو ان يكون ذلك من حظ المؤلف لانه احق من غيره بهذا الفضل . وقد عثرنا في هذا الكتاب على هفوات وأغلاط مطبعية يحسن الاشارة الي اهمها . منها ما ذكره في ص ٨ في تحديده البعار التي تحيط بجزيرة العرب فقال : « البحر الشامي في الشمال ٠٠٠ » مع ان هذا البحر لا يتصل بأي ناحية من جزيرة العرب . كما أنه أغفل ذكر حدها الشرقي الذي يشرف على خليج فارس . وفي ص ٣٧ شبارة داخلية وصوابه شبارة دجلة . وفي ص ٥١ bussola وصوابه bossala : compass وصوابه compass وقال في ٧٢ « ففي سنة ٩٣٥ استطاعت مراكب عبيد

م (٥)

الله المهدي الفاطمي ان تغزو جنوب فرنسا » مع ان وفاة عبيد الله هذا كانت في سنة ٣٢٢ هـ الموافقة لسنة ٩٣٤ م . وفي ص ٧٢ منورفه وصوابه منورقة وفي ص ١٤٢ و ١٤٣ الايريق . والاصح ان ترسم البريق لأن أصلها الافرنسي brick وفي الانكليزي brig .

فتشكر للامثاذ همته وتقدر جهوده فيما اتحفنا به من بحث جديد وعلم صحيح .

ع.ع



The Excavation at Dura - Europss, final report IV
Part II - the textiles - by R. Pfister and Louisa Bellinger .
Neu Haven 1954.

حفريات دورا - ارويس . القسم الثاني من التقرير الرابع النهائي . - المنسوجات -

تأليف ر . فيستر ولويزا بلنجر . طبع في نيويورك عام ١٩٥٥

عدد صفحاته ٦٤ مع ٣٣ لوحة مصورة

هذا احد تقارير بعثة جامعة يال الامريكية التي كانت تنقب عن آثار مدينة دورا - ارويس (صالحة الفرات) في بلاد الشام حيث وجد في جملة ما عثر عليه من الآثار القديمة نماذج عديدة من منسوجات حريرية وقطنية وكتان وصوف نسجت في القرنين الثاني والثالث للميلاد . وتشهد لنا هذه النماذج على ازدهار هذه الصناعة في بلاد الشام وتكشف لنا عن مهارة الشاميين في صناعة النسيج وزخرفته وتلوينه ، ومن حسن الصدق انهم عثروا على منسوجات تحاكي زخارفها ما شاهدناه على بعض اشخاص صور كنيس دورا - ارويس ، مما يستدل منها أن مصور الكنيس قد استوحى صورته من المحيط الذي عاش فيه وقتئذ . فنقل لنا صوراً صادقة لقيافة معاصريه . وهذا البحث هو خدمة جليلة لتاريخ الصناعة الشامية نشكر المؤلف عليها .

ع.ع



نظرات في الصيام

تأليف الحكيم شوكة موفق الشطي

الاستاذ في معهد الطب والمختر على اجازة في الدراسات الصحية العليا

هذه نظرات موفقة يرسلها طبيب متشبع بروح الاسلام والصيام ، واقف على فوائد الصوم الصحية والنفسية ، قسم فيها الكاتب الحكيم موضوعات رسالته إلى اثني عشر بحثاً ، عرف فيها الصوم وتاريخه ، وذكر من صام وشفي من اسقام لم يشفها الا الصيام ، وكون الصوم وسيلة الجسم الطبيعية لمقاومة بعض الامراض ، والوقاية منها ، وفسر في حكمة الصيام الطبية حديث : « صوموا تصحوا » وان الصحة هي العافية ، وهي المطلوب ، وغلط من فسرهما بالسمن ، وهو متى زاد مرهوب ، كما خطأ من فسر الشبع بالامتلاء ، وشرح الامراض الكثيرة التي تشفى بالصيام ، وبعد ان فرغ الدكتور « الموفق » من فوائد الصيام الحسية وما يعالج به من الامراض الجسمية وما يتقى به منها ، أخذ يوضح تأثيره في الامراض والآلام النفسية ، فعدد كثيراً منها .

ثم عاد يرسل نظرات فنية في تراويح رمضان ، وفي طعام الصيام ، وتأثيرهما في صحة الاجسام ، وتنظيف النفس من الآلام والآثام ، وخلص في البحث الحادي عشر تلك الفوائد والفرائد ، وختم رسالته بنصح القاريء من أي ملة ونحلة ، وتذكيره بأنه خاطبه بلغة التجارب والتاريخ وناقشه بآيات الخلقه وسنن الطبيعة ، وكلمه بحاجة البدن وخلاياه ، وردد على مسامعه بعض الحكم الدينية ومسايرتها لاحداث الآراء العلمية ، وكان أجمل شيء جوابه للمعترض القائل : « أما كفانا نبش هذه الاوراق الصفر التي تلابس أوراقها صفرة الموت ، ومداد كلماتها ظلام الجهل ، فقد أجاب بان في صفرتها لمعاناً يفوق لمعان الذهب الوهاج ، ويمكن في فحم مداد كلماتها تألق نفيس الماس ، ومظاهر دقة الاحساس ينبعث منه اشراق مباديء عظماء الشرق وضياء متلاثلة ، خالدة في جبين الدهر وتاريخ البشر » والمؤلف من بيت علم ودين ، يقول ما يعتقد ، ويعمل بما يقول ، ولو وفق

كل كاتب توفيقه ، لما سمعنا جمعجة من دون أن نرى طبعنا ، فنشكر له
تحفته النفيسة ، ولدار اليقظة العربية طبعها ، ونحت القراء على مطالعها فهي
مصدر مهم لتطهير الجسم من الأمراض ، والروح من الآلام .
ونستدرك هنا ماسها عنه قلم الدكتور ؛ أو سقط أثناء الطبع ، ففي صفحة
المقدمة : وبعد يلاحظ : فيلاحظ ، هانحن تقدم : هانحن اولاء ص ه ما لهم من
دونه ولي : « من ولي » ص ٥٩ ويذكرنا بالحديث الشريف القائل « المعدة
بيت الداء » : في المقاصد للسخاوي وغيره : لا يصح رفعه الى النبي (ص)
بل هو من كلام الخارث بن كعدة طبيب العرب ، أو غيره .

محمد برهمة البطار



مسالك الى قلب آسيا

تأليف جورج ر . روريخ

مطبعة جامعة ييل الاميركية ١٩٣١ عدد الصفحات ٥٠٦

Trails to inmost Asia

قامت في عام ١٩٢٥ بعثة علمية برئاسة الفنان الرومي نيقولا روريخ Rœrich
موفدة من قبل ادارة متحف روريخ في نيويورك لاستكشاف بلاد آسيا
الوسطى التي كان قد ساهم في استكشافها علماء من روسية واليابان وانكلترا
وفرنسا والمانيا ، واستمرت هذه البعثة في عملها مدة خمس سنوات تنقل
وتستكشف مختلف المناطق في قلب القارة الاسيوية ، وقد ارتادت اماكن
قلما سلكها الغربيون من قبل ، واتحفت دنيا العلم بمعلومات عن تلك البقاع لها
قيمة عظيمة من الوجهة الجغرافية والاجتماعية .

وكان جورج روريخ مؤلف هذا الكتاب يرافق والده رئيس البعثة ، وهو
مستشرق درس وتثقف في جامعات روسية وانكلترا وفرنسة قبل ان يتم دراسته
في جامعة هارفرد الاميركية ، وقد كانت معرفته للغات الفارسية والسانسكريتية
والثيبية والصينية مفتاحاً لتفهم امرار تلك البلاد الغامضة ، ومساعداً لدخول

بعض المناطق والمباني والاديرة المحرمة ، والواقع ان آسيا الوسطى بجبالها المرتفعة وفيافيها الواسعة ، واوديتها وكنوز الحضارات القديمة فيها كانت قبلة لانظار المستكشفين ، ولم تنجح بعثة في كشف اسرار هذه الاراضي المحرمة نجاح البعثة التي ترأسها رورينج ، وقد ادى افراد هذه البعثة خدمة جليلة للعلم والفن بفضل جهودهم وتضحياتهم ورباطة جأشهم امام الخطر الذي كثيراً ما كان يهددهم وبفضل شجاعتهم تجاه الهجمات التي استهدفوا لها .

وفي هذا المجلد الضخم يصف لنا جورج رورينج سير اعمال البعثة وتنقلاتها حسب الترتيب الزمني ، ويعطينا صورة واضحة عن حياة تلك الهضاب المرتفعة وحضارتها وعن الاكتشافات التي تربط القبائل الرحل في تلك المناطق بحضارات اخرى ، ويخبرنا عن الممالك التي تعرضت لها البعثة ، وما يزيد في قيمة هذا السجل الممتع الرسوم الفوتوغرافية الكثيرة التي اخذت من قبل البعثة فضلاً عن بعض الرسوم اليدوية التي رسمها رئيس البعثة . وقد اراد نيقولا رورينج بلوحاته الخمسة التي رسمها ان يضع مجلداً مصوراً لتلك المناطق وحياة سكانها ، وهذه اللوحات معروضة في متحف رورينج في مدينة نيويورك .

بدأت البعثة رحلتها من موقع « دار جيلينج » في شرقي جبال الهيمالايا بين منطقتي بوتان ونيبال ، ومنها اتجهت نحو الغرب حتى كشمير ثم اتجهت شمالاً واختارت تركستان الصينية وبلدائها مثل خوتان وكاشغر ، واستمرت نحو الشمال في اراضي زوزكاريا حتى وصات سيبيريا وعادت الى الشرق فالجنوب حتى دخلت أورغا في منغوليا ، ثم اختارت قسماً من صحراء غوبي ، وتوغلت في اراضي التبت حتى عادت الى حيث بدأت . وقد كانت تنقلات البعثة اما عن طريق القوافل أو بواسطة السكك الحديدية والزوارق . ومن المناطق الجبلية التي ارتادتها ، عدا منطقة الهيمالايا ، جبال كركورام وتيانشان وألتاي وناشان وهضاب التبت المرتفعة .

وانك لتقرأ الشيء الكثير في هذا الكتاب عن الاحوال الجغرافية في بلاد
أواسط آسيا، كما أنك تفهم الشيء الكثير عن السلطات الحاكمة، وعن الشعب
وحياته وعاداته، وعن حضارات تلك الأمم، فضلاً عن أخبار المغامرات التي قام
بها أفراد البعثة في بلاد محرمة صعبة مثل تلك البلاد .

ومما يجدر قوله ان هذا المجلد طبع على نفقة المؤسسة التذكارية التي أقامتها
أرملة فيليب مكيلاان في عام ١٩٢٢ لإحياء ذكرى زوجها وهو أحد خريجي
جامعة بيل . وكانت قيمة المنحة التي وقفت لهذه المؤسسة مائة ألف دولار
وهذا الكتاب هو المجلد الرابع عشر الذي يطبع على نفقتها . جورج هراد



كتاب التبصر في الدين

وتمييز الفرق الناجية عن الفرق الخالكة

تأليف أبي المظفر شاهفور بن طاهر الاسفرايني الشافعي المتوفى سنة (٤٧١)
والكتاب في ١٢٢ ص بحجم كبير عدا مقدمته التي تبلغ ١١ ص وفهارسه التي
في آخره ١٣ ص وخاتمه بصفحة واحدة .

عني بنشره وراجع أصله ووقف على طبعه السيد عزة العطار، وعرف بالكتاب
وترجم المؤلف وخرج أحاديث الكتاب وعلق حواشيه الأستاذ محمد زاهد الكوثري
وبلي مقدمة الأستاذ الكوثري كلمة قيمة عن الصلة بين علم الفرق وغيره من
العلوم بقلم الدكتور محمود محمد الخضير . ويقول ناشر الكتاب في خاتمه : ان
الأستاذ مصطفى عبد الرازق بك وزير الأوقاف سابقاً للمملكة المصرية ذكره
في تقريره المقدم الى مؤتمر الأديان في أوروبا حينما كان معاليه ممثلاً للجامعة
الأزهرية بالمؤتمر المذكور .

* * *

لمؤلف هذا الكتاب منزلة سامية عند الفقهاء والشافعية والمتكلمين الأشاعرة
وله اتصال مصاهرة وتلمذة بمؤلف كتاب الفرق بين الفرق الأستاذ عبد القاهر

البغدادي المتوفى سنة (٢٢٩) وأشار اليه مؤلف التبصر في ص (١٢٠) فأطنب في مدحه وبيان فضله وقيمة مؤلفاته اذن فمؤلف (التبصر في الدين) اطلع على كتاب الفرق بين الفرق وتأثره فيه ظاهر واضح . ونشير على سبيل المثال الى الى بحث الباطنية في كتاب التبصر ص (٨٣) وفي كتاب الفرق بين الفرق ص (٢٦٥) نجد أن صاحب التبصر اتقى أثر كتاب الفرق فأخذ أبحاثه بعد أن حذف كثيراً من الجمل التي يحسن الاستغناء عنها وأضاف إضافات أخرى قيمة . وبالمبارنة بين الطبعتين تظهر لنا أغلاط كثيرة فاحشة في طبعة كتاب الفرق بين الفرق يمكن تصحيح كثير منها بالمقابلة مع كتاب التبصر . فنشكر من عمل على تحقيقه وضبطه وآزر على نشره لنعم الفائدة منه .

محمد احمد رهمان

معالم الوحي

أو الرحلة الحجازية المقدسة

كتاب لطيف الحجم في ١٢٠ صفحة حسن الترتيب والتبويب ضمنه مؤلفه الأستاذ الشيخ محمد احمد عساف من علماء بيروت وصفاً لرحلته الى الحجاز لأداء فريضة الحج الشريف وذلك سنة ١٣٦٣ هـ وقد زينه بمختلف الرسوم التي تصف تلك المعالم الشريفة وضمنه طائفة كثيرة من النوائد والملاحظات المتعلقة بمناسك الحج . المطوفين وغيرهم وبهذا كان الكتاب موفياً حاجة كل زائر لتلك البقاع المباركة فالشكر للمؤلف الفاضل على هديته لأمته .

مجموعة ادبيات عن سورية ولبنان

المجلس الأعلى للمصالح المشتركة

هذه المجموعة قد جمعت الشيء الكثير من الاحصاء عن بلادنا ، مما نحن في حاجة الى معرفته ، ومع أن أكثر ما جاء في هذه المجموعة من الاحصاء

هو تقديري لاجتبي فمرفتد مفيدة . إن العالم قد تقدم ككثيراً في امور الاحياء . فأحصت كل امة ماعليها ومالها ، وكل مايجب احصاؤه ، وهذا ماافادها ، لانها أصبحت تعمل على نور الحقيقة ، أما في بلادنا فالاحياء متأخر جداً ، وإذا أخصى انقائون على الحكم بعض الاشياء ، فانهم يبقون في طيات اضبارات دوائرهم ، لاتعلم الامة عنه شيئاً .

إن هذه المجموعة قد ظهرت عامة باللغة العربية لأول مرة . وقد دون فيها حالة المناخ في سورية ولبنان في سنتي ١٩٤٢ و ١٩٤٣ : درجة الحرارة ، مقادير الامطار التي هطلت ، نسبة الرطوبة ، ودون فيها مساحة الاراضي ، وعدد السكان بحسب المذاهب ، والمواليذ والوفيات ، وقد ظهر ان مساحة اراضي سورية في (سنة ١٩٤٣) ١٧١٠٤١٠٤ كيلو مترات ، ونفوسها بحسب قيود الاحصاء ٢٦٨٦٠٦٤١١ نسمة ، أي ١٧ نسمة في كل كيلو متر ، ومساحة لبنان ١٠٦١٧٠ كيلو متراً ، ونفوسه ١٦٠٤٧٦٤٥ نسمة ، أي ١٠٣ نسمة في كل كيلو متر .

وجاء فيها احصاء العرب البدو الرحل في سوريا وهواشيهم ، فكانت عدد خيمهم ٣١٦٣ ونفوسهم ١٥١٦١٨٥ نسمة ، ومع ان كل ذلك تقديري ، ولكن يبين لنا ان اخواننا في هذه البادية في ضنك من العيش .

وذكر فيها حالة المدارس ، فظهر ان عدد التلاميذ في سوريا سنة ١٩٤٣ في المدارس الرسمية « لم تدخل تلاميذ اللاذقية وجبل الدروز في هذه الارقام » ٦٤١٥٤ وانخاصة ٣٨٥٤٦٣ والاجنبية ٢٣٥٩١٣ تلميذاً ، وفي لبنان : في المدارس الرسمية سنة ١٩٤٣ ٢٢٨٥٤ ، وفي المدارس الخاصة سنة ١٩٤٢ ٧٣٦٦٠٨ ، وفي المدارس الاجنبية سنة ١٩٤٣ ٤٦٥٧٤٩ تلميذاً ، وهذا مايدلنا على ان عدد التلاميذ في سوريا ولبنان متقارب ، مع ان سوريا أكثر عدداً ، إن سوريا قد اتفقت على التعليم سنة ١٩٤٣ ، ١٧٩٠٣٢ و٦٠٣٢ ليرة سورية ، أما في لبنان فقد بلغت النفقات في تلك السنة ١٦٤٨٦٢٥٢ و١٠٦٤ ليرة فقط ، لان المدارس الحكومية هناك قليلة .

وجاء عن الحالة الصحية ان الاعتمادات المخصصة لحفظ الصحة والاسعاف العام سنة ١٩٤٣ في سورية ٨٨٤ و١٦٥٤ ليرة ، وفي لبنان ١٢٥١٧٩٦٥١٢ ومن هذا يتبين ان لبنان يهتم بأمر الصحة أكثر من سورية ، أما الوفيات فقد بلغت في تلك السنة في سورية ١٨٥٧٩٣ نسمة ، وفي لبنان ٨٦٦٦٠ نسمة ، وهذا ما يظهر ان الوفيات الكثيرة في سورية ، لم تسجل كلها في قيود الاحصاء . وجاء في احصاء القضاء عدد الدعاوي التي قدمت ، والتي فصلت ، والتي أجلت ، ومراجعة تفصيل ذلك يفيد في درامة الناحية الخلقية في البلدين ، ونشاط المحاكم . وقد ورد احصاء عن الحالة الزراعية في سورية ولبنان ، ومنه يتبين ان المساحات المزروعة : حبوباً ، ومزروعات صناعية ، وبقولاً ، وخضاراً ، وأشجاراً في سورية ١٤٤٨٦٥٨٠٣ هكتارات . وفي لبنان ١٦٨٦٧٤٣ هكتاراً ، أي تسعة في المائة من مساحة البلدين ، وهذا ما أبقى الانتاج قليلاً ، لا يسد خصائصنا ، ولا يكفي لغذائنا إلا إذا قترنا على أنفسنا .

وجاء ذكر المواشي في سورية ولبنان ، فتبين ان مالدى سورية منها في سنة ١٩٤٣ ، ٢٠٠ و ٥٨٠ رأس ، وفي لبنان ٤٨٦ ألف رأس ، وهذا قليل جداً ، في ارض مساحتها ومراعيتها واسعة ، وهذا ما جعل أسعار الماشية وانتاجها مرتفعاً في البلاد . وفي بحث الانتاج الصناعي ظهر ان بعض أنواع الانتاج قد قل سنة ١٩٤٣ عما كان سنة ١٩٤٠ ، لان المواد الأولية قد نفدت ، وبعضه قد زاد نظراً للحاجة ، ان من المحقق ان منتجات حديثة قد ظهرت الى الوجود في سني الحرب فمن الضروري حمايتها وتزويدها ، وادخال التحسين عليها بالحماية الجمركية ، وإلا فإن المزاومة الخارجية ستقضي عليها ، أو تبقىها طفلاً في المهد .

وجاء بحث الطرقات ، فظهر ان في سورية في غاية سنة ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ و ٦٠ كيلو متراً طرقاً متنوعة ، وفي لبنان ٣٠٢٩ كيلو متراً ، وهو رقم لا يأس به ، انما نحن في حاجة الى أكثر . نعم ان السيارات في البلدين في غاية تلك السنة لم تكن سوى ٨٠١٠٧ سيارات ، ولكنها كانت ضعف ذلك قبل الحرب .

أما المخطوط الحديدية فهي جلد قليلة ، إذ ليس في سورية إلا ما طوله ٨٥٤ كيلو متراً ، وفي لبنان ٢٠٩ كيلو مترات ، وقد كان من المستحسن تدخل الحكومتين لتزويد هذه المخطوط .

وجاء بحث الحالة التجارية في البلدين ، فظهر أن ما استوردناه في سني ١٩٣٦ — ١٩٤٣ قيمته ٥٠٣٦٧٢١٦٠٠٠ ليرة سورية ، وما صدرناه في تلك السنين قيمته ١٩٤٦٣٠٢٦٠٠٠ ليرة سورية ، أي أننا خسرنا ١٩٦٠٠٠ و ٣٠٩ ليرة سورية ، وهذا ما يدل أن العمل الاقتصادي عندنا كان أبطر .

ثم جاء بحث الأسعار بالجملة ، والفرق ، للمواد الضرورية ، ولا بأس من معرفة هذه النسبة ، التي تبين أن الأسعار كانت في ارتفاع متواصل في سني الحرب ، لعدم وجود نظام للتقنين ، ولتحديد الأسعار ، وعدم الاهتمام في تزييد الانتاج ، وشراء المواد الأولية الضرورية من الخارج ، وهذا ما جعل ثلاثة في المائة من شرفي التجار المحتكرين يجمعون ثروة ٩٧ في المائة في خزائهم .

وجاء بحث قيحة النقد ، والأسهم المالية وأسعارها ، وهذا يفيد حاملها . وبحث عن حالة المصرف السوري فجاء فيها أن الأوراق المتداولة في سوريا ولبنان في غاية سنة ١٩٤٣ ، ٢٧٢ و ٥ مليون ليرة سورية ، وأن قيمتها من الاسترليني والدولارات الحقيقية والاحتياطية ٣١٣ مليون و ٢٠٠ ألف ليرة سورية وبحث حالة موازنة الحكومتين السورية واللبنانية .

وصفوة القول أن هذا الإحصاء حسن مفيد .

صنير الشريف

الجزء الثالث والرابع من ربيع الأبرار للشيخ شري

وصفها : من مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، يبلغ عدد صفحاتها ٩٠٨ صفحات ، بأبعاد ٢٤ × ١٧ سنتيمتراً ، حاليها حسنة ، خطها مقروء ، ويبلغ عدد أسطر صفحاتها ١٥ سطراً .

موضوعها : قال ملا كاتب چلي في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : ربيع الأبرار ونصوص الأخبار في المحاضرات لابي القاسم محمود بن عمر جار الله

العلامة الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ أوله الحمد لله الذي استحمد الى عبادته موجبات المحامد مما أصبح عليهم الخ ٠٠ قال : هذا الكتاب قصدت به احكام خواطر الناظرين في الانكشاف عن حقائق التنزيل وترويح قلوبهم المتعبة ، ورتبه بعضهم الى اثنين وتسعين باباً وقد انتخبه محيي الدين محمد بن خطيب قاسم المتوفى سنة ٩٤٠ هـ قال : لما كان علم المحاضرات علماً نافعاً من العلوم لا تدرك غايته استخرجت من بحث فوائده على وجه الاختصار والحقت به ما عثرت عليه في كتب الادباء وسميته بروض الأخبار المنتخب من ربيع الابرار ، انتهى ورتبه على خمسين روضة ٠٠٠ واختصره رجل آخر أيضاً وسماه أنوار الريع ٠ هـ

يحتوي الجزء الثالث من نسختنا المخطوطة على الأبواب الآتية : العلم والحكمة والأدب والكتاب والقلم وما يناسب ذلك ، الغزو والقتل والشهادة وذكر الحرب والأسلحة والهزيمة والسبي والغارة والشجاعة والجبن وما أشبه ذلك ، الغدر والخيانة والغش والفتك والسرقة والوشايات والنائم وإفشاء السر ، الغموم والمكاره والشدائد والبلايا والخوف والجزع والبكاء ، الفخر والكبر والصلف واعجاب المرء بنفسه وذكر الخيلاء وجر الأزار ، النال والزجر والطيرة والعيافة والكهانة والرقى والسحر والشعوذة والعين واللاغز والأحاجي ونحوها ، التفاضل والتفاوت والاختلاف والاشتباه وما قارب ذلك وما دانه وضرب في طريقه ، الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر والسرور والتهاني والبشائر وما أشبه ذلك ، القرابات والانساب وذكر خقوق الآباء والامهات وصلة الرحم والعقوق وحب الأولاد وما يجب لهم وعليهم ، انقصاص وما ورد من حكاياتهم وملحهم والمتصوفة وما جاء في أكلمهم وصعقهم ، القضاء وذكر القضاة والشهود والديون والايمان والخصومات وما يليق بذلك ، الكذب والزور والبهتان والرياء والباطل والارجاف والقتب وما أشبه ذلك ، الكرم والجوع واصطناع الاحرار وذكر الكرام والاجواد واولي المروآت ، اللؤم والشح وذكر اللثام وما جاء في ذمهم ، الالوان والنقوش والوشم والتصابير وذكر الخضاب وما أشبه ذلك ، اللباس والحلي من القلائد والاسورة والخللاخيل والخواتيم وذكر البسط والمفارش والوسائد وما جانس ذلك ،

اللهو واللذات والقصف واللعب وذكر النبذ وما يتصل به واتباع الشهوات
 والأمراض والعلل والعاهات والطب والدواء والعيادة ونحو ذلك .
 وأما أبواب الجزء الرابع فهي : المال والكسب والتجارة والنفاق والكساد
 والغلاء والغبن وذكر الغنى والفقر وما اتصل بذلك ، المدح والثناء وطيب الذكر
 والحث على اكتسابه وما مدح به من المساعي الكريمة والخصال الحميدة . الملح
 والمداعبات والمضاحك وما جاء من النهي عن المزاح والترخيص فيه ونحو ذلك ،
 الموت وما يتصل به من ذكر القبر والتعزية والمرثية والنعي وغير ذلك ، الملك
 والسلطان والامارة والسياسة والبيعة والخلافة وذكر الولاة وما يتصل به من الحجاب
 وغير ذلك ، الشطى وذكر الخطب والشعر والفصاحة والبلاغة والعي والافحام
 والايجاز والاستعارة وما اتصل بذلك ، باب النساء ونكاحهن وطلاقهن وخطبتهن
 والاعراس بهن ومما شرتهن وما يحمدهن وينمهن وما اتصل بذلك ، النصيحة
 والموعظة والزجر عن القبيح والشفقة والرحمة وما يجري مجراها ، النعمة وشكرها
 والاشادة بذكرها وغمطها وكفرانها والامتنان بها وما اتصل بذلك ، النوم
 والاحتلام والسهر والرؤيا وما جاء من عجائب التأويلات وما يتعلق بذلك ، الوفاء
 وحسن العهد ورعاية الذمم والامانة والثقة وكتبات الاسرار وما أشبه ذلك ،
 الوقاحة والسفاهة والجسارة وقلة المبالاة وذكر الغوغاء ونحو ذلك ، الهدية
 والرشوة وما جاء في الاهداء والاستهداء وذكر من ارتشى في الحكم وغيره ،
 اليأس والقناعة والرضا بما قسم الله ورزق والتوكل عليه والتفويض اليه والنزاهة
 عن المطامع ، الخيل والبغال والحمير وذكر الفروسية وما اتصل بذلك ، الابل
 والبقر والغنم وما يتصل بها وينسب اليها ، الوحوش من السباع وغيرها وذكر
 احوالها وما يصطاد منها ويتألف وما أشبه ذلك ، دباب البحر من السمك
 وسائر الحيوان يختلف فيه وما وضع الله فيها من العجائب ، الطير وما اوتيت
 من أعاجيب الالهام في حضنها وزقها ورفرفتها على فراخها وتدير امرها ،
 البعوض والذباب والفراش والزناير والجراد واجنادب وما أشبه ذلك ، والحشرات
 والهُوام ونحوها من دواب الارض وما اتصل بها وذكر معها . **عمر رضا كحانه**

آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٦٥ هـ ١٩٤٦ م

٢٤ الشيخ محمد زين العابدين حلب	١ السيد محمد كرد علي (رئيس المجمع) دمشق
٢٥ السيد سويريوس افرايم حمص	٢ الدكتور أسعد الحكيم
٢٦ الشيخ سعيد العرفي دير الزور	٣ الأمير جعفر الحسيني
٢٧ = ابراهيم منذر بيروت	٤ الدكتور جميل الخاني
٢٨ السيد أنيس المقدسي	٥ = جميل صليبا
٢٩ = بشارة الخوري	٦ السيد خليل مردم بك (أمين السر العام)
٣٠ = بولس الخولي	٧ = سليم الجندي
٣١ = عمر الفاخوري	٨ = شفيق جبوري
٣٢ الشيخ فؤاد الخطيب	٩ = عارف النكدي
٣٣ الفيكونت فيليب دي طرازي	١٠ الشيخ عبد القادر المنري (نائب الرئيس)
٣٤ الدكتور نقولا فياض	١١ السيد عز الدين التنوخي
٣٥ السيد عيسى اسكندر النملوف زحلة	١٢ = فارس الخوري
٣٦ الشيخ احمد رضا جبل عامل	١٣ = محسن الامين
٣٧ = سليمان ظاهر	١٤ = محمد البزم
٣٨ السيد ادوار مرقص اللاذقية	١٥ الشيخ محمد بهجة البيطار
٣٩ = محمد سليمان الاثم (بدوي الجبل)	١٦ الدكتور مرشد خاطر
٤٠ = عبد الله مخلص القدس	١٧ الأمير مصطفى الشهابي
٤١ = محمد اسمعاف النشاشيبي	١٨ السيد معروف الارناؤوط
٤٢ = محمد الشريقي عمان	١٩ = هنري لاوست
٤٣ الاب انتاس ماري الكرملي بغداد	٢٠ الشيخ راغب الطباخ حلب
٤٤ الشيخ رضا الشبيبي	٢١ = عبد الحميد الجابري
٤٥ السيد طه الراوي	٢٢ = عبد الحميد الكيالي
٤٦ طه باشا الهاشمي	٢٣ الدكتور عبد الرحمن الكيالي

٧٤ السيد ماسه	الجزائر	٤٧ السيد عباس الغزاوي	بغداد
٧٥ محمد الجبوي	مراكش	٤٨ الشيخ كاظم الدجيلي	=
٧٦ كي	بوليفيا	٤٩ محمد بهجة الاثري	=
٧٧ بوقا	باريز	٥٠ الدكتور داود الجلي	الموصل
٧٨ دوسو	=	٥١ السيد ابراهيم عبدالقادر المازني القاشر	=
٧٩ كولان	=	٥٢ احمد أمين بك	=
٨٠ ماسينيون	=	٥٣ السيد احمد حسن الزيات	=
٨١ آسين بلاسيوس (مخربط) اسبانية	=	٥٤ الدكتور احمد عيسى بك	=
٨٢ لويس (لشونة) البرتغال	=	٥٥ أحمد لطفي السيد باشا	=
٨٣ هيس	سويسرا	٥٦ السيد انطون الجليل	=
٨٤ أراندونك	هولاندة	٥٧ خليل ثابت	=
٨٥ هوتسما	=	٥٨ خليل مطران بك	=
٨٦ كرينكو	انكلترا	٥٩ السيد خير الدين الزركلي	=
٨٧ جيب (١٠٥ ر)	=	٦٠ الدكتور طه حسين بك	=
٨٨ بروكان	المانية	٦١ السيد عباس محمود العقاد	=
٨٩ هارتمان (ريشار)	=	٦٢ الدكتور عبد الوهاب عزام	=
٩٠ مترستين	السويد	٦٣ الشيخ محمد الخضر حسين	=
٩١ استروب	الدانمارك	٦٤ السيد محمد لطفي جمعة	=
٩٢ موجيك	فيينا	٦٥ الشيخ مصطفى عبدالرازق باشا	=
٩٣ ماكلر	بودابست	٦٦ الامير يوسف كمال	=
٩٤ موزل	تشيكوسلوفاكية	٦٧ السيد عبد الحميد العبادي اسكندرية	=
٩٥ كوفالسكي	بولونية	٦٨ حسن حسني عبد الوهاب تونس	=
٩٦ كراتشكوفسكي	ليننغراد	٦٩ عبد الحى الكثاني فاس	=
٩٧ كرسيكو	فنلاندة	٧٠ الامير شكيب ارسلان لوزان	=
٩٨ فيليب حتي	اميركة	٧١ السيد عبدالعزيز الميعني الراجبي الهند	=
٩٩ هرزفلد	=	٧٢ عباس إقبال طهران	=
١٠٠ سعيد ابو حمرة	البرازيل	٧٣ = مارمه تونس	=

أعضاء المجمع العلمي الراحلون

٢٤ الأب جرجس شلحت حلب	١ الشيخ طاهر الجزائري دمشق
٢٥ جرجس منش	٢ سليم البخاري
٢٦ السيد قسطنطين الحمصي	٣ السيد مسعود الكواكبي
٢٧ الشيخ كامل الغزي	٤ مالتجو
٢٨ السيد ميخائيل الصقال	٥ الياس قدسي
٢٩ الشيخ بدر الدين النعساني	٦ أنيس سلام
٣ السيد نخلة زريق القدس	٧ جميل العظم
٣١ الشيخ خليل الخالدي	٨ سليم عنخوري
٣٢ سعيد الكرمي طولكرم	٩ عبد الله رعد
٣٣ السيد محمود شكري الآلوسي بغداد	١٠ رشيد بقدونس
٣٤ جميل صدقي الزهاوي	١١ الشيخ عبد القادر المبارك
٣٥ معروف الرصافي	١٢ السيد أديب التقي
٣٦ أحمد الاسكندري القاهرة	١٣ حسن بيهم بيروت
٣٧ أحمد زكي باشا	١٤ الأب لويس شيخو
٣٨ أحمد شوقي بك	١٥ الشيخ عبد الله البستاني
٣٩ السيد أسعد خليل داغر	١٦ السيد جبر ضومط
٤٠ حافظ إبراهيم بك	١٧ عبد الباسط فتح الله
٤١ السيد محمد رشيد رضا	١٨ الشيخ عبد الرحمن سلام
٤٢ مصطفى صادق الرافعي	١٩ السيد أمين الريحاني
٤٣ أحمد كمال باشا	٢٠ الشيخ مصطفى الغلاييني
٤٤ أحمد تيمور باشا	٢١ السيد جرجي بني طرابلس الشام
٤٥ السيد مصطفى لطفي المنفلوطي	٢٢ الشيخ سليمان أحمد اللاذقية
٤٦ الدكتور يعقوب صروف	٢٣ الدكتور صالح قنبار حماة

أعضاء المجمع العلمي الراحلون

٨٠

٤٧ السيد اوجينيو غريفيقي	القاهرة	٦٢ السيد هومل	المانيا
٤٨ = رفيق العظم	=	٦٣ = ساخاو	=
٤٩ = داود بركات	=	٦٤ = هوروفيتز	=
٥٠ الدكتور أمين المعلوف	=	٦٥ = مارتين هارتمان	=
٥١ الشيخ عبد العزيز البشري	=	٦٦ = ميتفوخ	=
٥٢ الأمير عمر طوسون	الاسكندرية	٦٧ = مونت	سويسرا
٥٣ الشيخ محمد بن أبي شنب	الجزائر	٦٨ = سنوك هوغرنيه	هولاندا
٥٤ السيد رينه باسه	=	٦٩ = مرجليوث	انكترا
٥٥ = ميشو بالير	طنجة	٧٠ = بفت	=
٥٦ = زكي مغامر	الاستانة	٧١ = براون	=
٥٧ الحكيم محمد أجمل خان	الهند	٧٢ = بوهل	الدانمارك
٥٨ السيد فرات	باريز	٧٣ = بدرسن	=
٥٩ = كليم ان هوار	=	٧٤ = أغناطيوس غولدسمير	بودابست
٦٠ = جوبدي	إيطاليا	٧٥ = الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	زنجان
٦١ = نالينو	=	٧٦ = السيد ماكدونالد	أميركا



الأستاذ الشيخ عبد القادر المبارك

ولد سنة ١٨٧٨ وتوفي في ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٩٤٥

فجع المجتمع العلمي العربي بوفاته الأستاذ المبارك من أجل أعضائه وأقدمهم ،
رافق المجتمع منذ تأسيسه وساعده بعلمه وعمله وفيما يلي موجز ترجمته :

أصله وأسرته : ولد الأستاذ السيد عبد القادر المبارك من أسرة معروفة
من أشرف الجزائر هاجر جده منها الى دمشق حوالي سنة ١٨٤٠ اثر استقرار
الافرنسيين في بعض أجزاء الساحل الجزائري وكان والده الشيخ محمد المبارك
عالماً أدبياً وصوفياً ومرشداً له تلاميذ وأتباع كثيرون وكانت له في اللغة
والأدب مشاركة جيدة وقد قرأ عليه كثير من أدياء الشام المشهورين وله عدة
رسائل أدبية ثرية وشعرية مطبوعة أشهرها بهجة الراح والغادي في أحاسن
محاسن الوادي .

م (٦)

دراسة ومهنيته : في هذا البيت المعروف بالعلم والفضل نشأ الأستاذ السيد عبد القادر حضر مجالس والده الأديبة والوعظية وتلقى عنه كثيراً من المعارف اللغوية والأدبية ودرس مدة قليلة في المدرسة الرشدية العسكرية ثم أتم دراسته على الطريقة القديمة فقرأ على شيوخ العصر كالشيخ أمين سويلم والشيخ بدر الدين والشيخ عطا الكسم وغيرهم ثم عكف على دراسة اللغة بنفسه وصرف في ذلك وقتاً طويلاً من شبابه .

أعماله ووظائفه : وحوالي سنة ١٩٠٥ افتتح مدرسة خاصة في زقاق النقيب في حي العمارة وفي سنة ١٩١٠ جرت مسابقة لتعيين أستاذ للغة العربية للمدرسة السلطانية الأولى بدمشق (مدرسة التجهيز الآن) فكان الفائز فيها وبقي أستاذاً في هذه المدرسة يعلم اللغة العربية ثم كلف تدريس الدين أيضاً وتخرج على يده عدد ضخم من المثقفين في الديار الشامية وفي عهد الحكومة العربية الفيصلية انشئت المدرسة الحربية فعين فيها أستاذاً للغة والدين والتاريخ العربي كما عين عضواً في لجنة التعريب التي كان لها أثر جليل في تعريب كثير من المصطلحات الإدارية والعسكرية وغيرها إلى العربية ثم عاد إلى المدرسة السلطانية (مدرسة التجهيز) بعد أن أغلقت المدرسة الحربية بانتضاء العهد الفيصلي وكلف تدريس اللغة في مدرسة الأدب العليا التي أنشئت سنة ١٩٣٠ وفي سنة ١٩٣٨ بلغ الستين فمدت خدمته سنتين ثم أُحيل على المعاش (التقاعد) ١٩٤٠ وعهد إليه ثانية تدريس اللغة في دار المعلمين العليا التي أحدثت سنة ١٩٤٢

في المجمع العلمي العربي : أما صلته بالمجمع فقد كان من الأعضاء العاملين منذ تأسيس المجمع وقد شارك في أعماله فاشترك في كثير من لجان التصحيح والتعريب وكان إلى ما قبل وفاته عضواً في اللجنة التي ألقت لترجمة المصطلحات العسكرية وألقى في قاعة المجمع عدة محاضرات منها محاضرتان عن ابن خلكان وقصصه في تاريخه ومحاضرة عنونها الشعر الخالد وأخرى في المشجر في اللغة وغيرها .

علمه وثقافته : أبرز نواحي الشيخ (اللغة) فقد شغف بدراستها منذ حداثة واشتهر باطلاعه الواسع عليها وتفوقه فيها حتى عرف بالقاموس السيار وكان له ولوع خاص بالشعر الجاهلي والغريب من اللغة وقد عنى في شبابه بشرح القصيدة اللغوية المشهورة بالمقصورة الدريدية وهو شرح كبير منسق ولا يزال محفوظاً غير مطبوع وكانت معرفته باللغة معرفة تحقيق وتدقيق فقد يستدرك على كتب اللغة والمؤلفين وأصحاب المعاجم فكان حجة في هذا الباب فلا تكاد تسأله عن لفظة حتى يذكر لك معناها وما ورد فيها من الشواهد من كلام العرب وما يدور حولها وبمناسبتها من النوادر والأخبار (*) .

ومن نواحيه التي اشتهر بها أيضاً (السيرة وتراجم الرجال) فكان راوية حافظاً للأخبار والتراجم كثير الولوع بمطالعة كتب التاريخ والتراجم حتى يكاد يعرف ما ورد في ثناياها من الطرف والأخبار أمثال وفيات الأعيان ومروج الذهب وابن عساكر . وأما ثقافته الدينية فلا تبلغ حد الاختصاص وإنما هي من قبيل المشاركة . وأما الثقافة الحديثة فلم يتلقفها عن المدارس النظامية إذ لم يمكث فيها إلا مدة وجيزة وإنما هي نتاج المطالعة الخاصة والمجالسة لأهل العصر من الأدباء وقد أعانه على ذلك صحة في الطبع وقوة في الإدراك .

آثاره : ليس للأستاذ آثار مكتوبة كثيرة فإن أبلغ أثر تركه إنما يظهر فبين تخرجوا على يده من التلاميذ ممن نبغوا في الأدب والشعر وكان له الفضل في تشجيعهم وتسديد خطاهم وله في التدريس طريقة خاصة به تجلّى فيها الحيوية والذئاط يعرفها طلابه ويذكرون آثارها البارزة في أنفسهم .

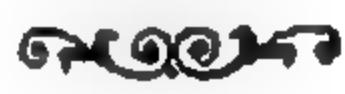
وأما آثاره المكتوبة فقليلة والمطبوع أقل من ذلك فمنها : شرح المقصورة الدريدية في اللغة وهو مخطوط ، وفرائد الأدبيات العربية وهو مجموع نصوص أدبية مشروحة ، وكتاب المعلومات المدنية المنقول من التركية وهما مطبوعان .

(*) ولعل ميله للنوي بوجه عام هو الذي حفزه الى تعلم اللغات فقد كان يحسن التركية ويلم بالانكليزية قراءةً وفهماً وله إلمام قليل بلغات أخرى شرقية وغربية درسها ولم يتم دراستها .

وله قصائد كثيرة هي على الغالب أقرب الى شعر العلماء الا في القليل النادر مما ظهرت فيه الروح الشعرية .

ومما نظمه قصيدة في اللغة العربية وتاريخها ومطالعها :

شغفت بتذكر الشعوب الأوائل وما خلفوه في الديار الحوائل
ومنها قصيدة قافية مطبوعة عنواها (احدى العبر بين البشر) وموضوعها النهضة
الجديدة وأخرى عنواها (بكر الشرق) في الحرية والدستور في العهد العثماني .
في المجتمع : وكان للاستاذ رحمه الله منزلة شعبية كبيرة ونفوذ في مختلف
طبقات الأمة وكانت مفزعا للناس في أمورهم ومشكلاتهم وكثيرا ما انتدب
لإصلاح ذات البين أو للخير العام وكان قوي النفوذ الى نفوس مجالسيه وكان
محدثا بارعا حاضر البديهة متوقد الذهن بادي النشاط جهوري الصوت قوي
الذبرات فصيح اللسان جريئا - رحمه الله - .



أول لفظ العربية

في شعر أبي فراس الحمداني

منها لفظة (العنقير) بالعين المهملة المفتوحة والنون الساكنة والقاف المفتوحة
والفاء المكسورة والمثناة التحتية الساكنة والراء آخر الحروف فقد وردت في
قصيدة له من الروميات يقول فيها من الشعر القصصي :

ومراة بكر بعد ضيق فوقوا جمع الأعاجم عن أنوشروان
أبقت لبكر مفخرا وسما لها (بها) من دوت قومها يزيد وهاني
المانعين العنقير بطعنهم والثائرين بمقتل النعمان

في القاموس في باب الراء فصل العين في مادة عقفر : العنقير كزنجيل الداهية
والمرأة السليطة اه ويفهم من شرح ابن خالويه لديوان أبي فراس ان المراد بالعنقير
هنا ابنة النعمان بن المنذر وليس يدري أن ذلك اسم لها أو لقب لقت به تشبيها

لها بالداهية أو لكونها امرأة سليطة فان المعروف أن ابنة النعمان اسمها الحرقعة كهمة وهي التي بقيت الى الفتح الإسلامي وقصتها مع خالد بن الوليد مشهورة واحتمال أن يكون أبو فراس سماها بذلك بعيد . قال ابن خالويه في شرح ديوان أبي فراس : لما قتل كسرى النعمان بن المنذر طلبت ابنته العنقير الجوار من كل العرب فأبوا أن يجيروها حتى دخلت بيت هانيء بن قبيصة بن مسعود ابن عامر بن عمرو بن ربيعة بن ذحل بن شيبان فأجارها فقعدت عنه قبائل بكر ابن وائل الا يزيد بن اصرم بن مسهر وأصرم بن ثعلبة بن سعد بن همام بن سعد ابن عجل فانها قاما بنصره ومعونته فاجتمعا معه بذى قار فانتصروا على كسرى حتى قال صلى الله عليه وآله وسلم : هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم اه وهذا يدل على تبحر ابن خالويه وسعة اطلاعه فصاحب القاموس الذي بلغ الغاية في الاطلاع على اللغة لم يزد في تفسير العنقير على ما سمعت ولو اطلع على ما اطلع عليه ابن خالويه لما أهمله فقد قيل عن كتابه إنه ليس كتاب لغة فقط بل هو أيضاً كتاب جغرافيا وطب ورجال وغيرها وكذلك صاحب تاج العروس الذي دأبه الاستدراك عليه لم يذكر ذلك وتسمية الداهية بالعنقير ربما يرشد الى قول من يقول بوجود المناسبة بين الألفاظ والمعاني والله أعلم .

محسن الرحمن الحسيني

بقية ما ترك الأجداد

المنشورة في الجزء الثالث : من المجلد العشرين

قال الأستاذ الرئيس ما خلاصته : « ومن المكثرين في التأليف والنحودين فيه إمام أساء اليه المجتمع بقدر ما أحسن هو اليه . وهذا الإمام هو ابو حاتم محمد بن حبان البستي (المتوفى سنة ٣٥٤) الذي ألف تأليف لم يسبق اليها . هذا الامام لم يترجم له المحدثون ولا الفقهاء ولا المتكلمون ولا الأدباء ولا اللغويون ولا الأطباء ولا المنجمون ولو لا ما ترجم له يافوت في مادة بست من معجم البلدان

لما عرفنا عنه شيئاً يذكر من الكتب ولا يعد أن يكون أصحاب التراجم قد وفوه حقه ولكن الكتب التي وصلت إلينا لم تشر إلى ذلك» .

أقول سبق ياقوت في ترجمة الحافظ الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ في كتابه (الكفاية في معرفة أصول الرواية) وهو من مخطوطات المكتبة العثمانية بحلب وقديماً تصفحته وقرأت الكثير منه وتقلت عنه في تعليقي على كتاب علوم الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح وشرحه (التقييد والايضاح) لشيخ الاسلام الحافظ العراقي وقد طبعتهما معاً سنة ١٣٥٠ هـ وسنة ١٩٣١ م وذيلتهما بهذه التعليقات التي دعوتها (المصباح على مقدمة ابن الصلاح) .

وهذا الكتاب العظيم نقلت فهرس أبوابه وهو نحو ٣٨٠ صفحة قال في أواخره في (ص ٣٦٢) ذكر الرجال الذين يجمع حديثهم ثم جمع التراجم ثم جمع الأبواب ثم الأحاديث المسلسلة . وقال في (ص ٣٦٥) وهذه تسمية كتب سبق المتقدمون إليها ويستحب لصاحب الحديث أن يخرج عليها . وهنا يذكر مؤلفات الحافظ علي بن المديني . وقال في هذه الصفحة : ومن الكتب التي يكثر منافعها ان كانت على قدر ما ترجمها به واضعها . وهنا يذكر مؤلفات أبي حاتم محمد بن حبان البستي ويطيل الكلام في ترجمته .

وفي الظاهرية بدمشق نسخة نفيسة من هذا الكتاب رقمها ٣٩٣ وكنت قابلت الفهرس على نسخة الظاهرية فوجدت أن نسخة العثمانية تنقص أبواباً عن الظاهرية فحررت ذلك في هوامش الفهرس .

وهناك نسخ أخرى مخطوطة في مصر وغيرها لا أرى حاجة لذكرها بعد أن طبع الكتاب في الهند . وعن الكفاية هذا ينقل لنا ياقوت صفحتين بالحرف في كتابه في الكلام على بست حيث يقول في ص (١٧٤) أخبرنا أبو اليمن زيد ابن الحسن الكندي شفاهاً قال أخبرنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي اذننا عن أبي بكر أحمد بن ثابت (وهو الخطيب البغدادي) كتابة . قال ومن الكتب التي يكثر منافعها ان كانت على قدر ما ترجمها به واضعها مصنفات محمد بن حبان

البستي الى قوله في الصفحة التي بعدها والله أعلم . وترجم البستي أيضاً الحافظ الذهبي في كتابه ميزان الاعتدال (ج ٣ ص ٣٩) وما قاله في ترجمته وقال الامام أبو عمرو ابن الصلاح وذكره في طبقات الشافعية (وربما ^(١) غلط الغلط الفاحش في تصرفه وصدق أبو عمرو الخ ودافع عنه دفاعاً مجيداً) .

وترجمه الحافظ الذهبي أيضاً في تذكرة الحفاظ (ج ٣ ص ١٢٥) وما قاله . قال الحاكم كان بن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال قدم نيسابور فسمع من عبد الله بن شيرويه وغيره ورحل الى بخارى فلقى عمر بن محمد بن 'بجير ثم ورد نيسابور سنة اربع وثلاثين وسار الى قضاء نسا ثم انصرف اليها سنة سبع فأقام بنيسابور وبني اخاتقاه وقرئ عليه جملة من مصنفاته ثم خرج من نيسابور الى وطنه سجستان عام اربعين وكانت الرحلة اليه لسماع كتبه . ثم ساق بأسانيدته نحو ما ذكره في ميزانه ودافع عنه نحو دفاعه ثمة .

وترجمه الامام السبكي في طبقات الشافعية (ج ٢ ص ١٤١) وما قاله فيه وقال الحاكم : كان ثقة نبيلاً ودافع عنه دفاعاً حسناً وطعن في الطاعن فيه .

وآخر من ترجمه على ما رأيت العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩ في شذرات الذهب (ج ٣ ص ١٦) وما قاله : ان له ترجمة في طبقات الشافعية للأسنوي . وهو من مخطوطات الأحمديية بحلب والظاهرية بدمشق وذكره ابن الصلاح في المقدمة (ص ١٢٢) . من طبعتي التي أشرت اليها فقال : وقال أبو حاتم بن حبان البستي أحد المصنفين من أئمة الحديث الخ ويقصد العلماء بقولهم أحد المصنفين المكثرون من التأليف . واذا جمعت هذه التراجم جميعها يكون منها كتيب قيم جداً يعم نفعه ويعرف به هذا الامام العظيم وبمناسبة ذكر كتاب الكفاية للخطيب البغدادي أحببت ان أذكر له كتاباً آخر هو من هذا النوع وهو من (بقية ما ترك الأجداد) وهو كتاب (الجامع لأدب الراوي والسامع) قال الجلال السيوطي في أوائل كتابه التدريب : عمل الخطيب في قوانين الرواية كتاباً سماه

(١) التصحيح من ترجمته في تذكرة الحفاظ .

الكفاية وفي آدابها كتاباً سماه (الجامع لآداب الشيخ والسامع) قل من فنون الحديث الا وقد صنف فيه كتاباً مفرداً فكان كما قال الحافظ ابوبكر بن نقطة كل من انصف علم ان المحدثين بعده عيال على كتبه وهذا الكتاب موجود الآن في مكتبة المجلس البلدي بالاسكندرية .

قال في فهرس هذه المكتبة : هي محررة بقلم نسخ صحيح سنة ٥٠٠ ومعارضة على النسخة المنقولة عنها وعلى كل جزء منها مباح لأبي الحسن سعد الخير محمد ابن سهل الأنصاري وبناته فاطمة وزينب بخضرة السيدة ليلي ورابعة وفتاة نافع وكان ذلك على الشيخ ابي القاسم الشيرازي بحق إجازته عن المصنف في سنة ٥٢٩ وهي جلد ١ رقم ٣٧١١

وفي الظاهرية بدمشق أوراق ضمن مجموع يظهر لي منها ومن مقدمة ابن الصلاح التي تجد فيها نقولاً كثيرة عنه ما فيه دروس في كيفية التعليم والتعلم وآداب ذلك فيكون منطبقاً على اسمه (الجامع لآداب الشيخ والسامع) ويكون مانسبه الآن الطريقة الجديدة في التعليم قد سبقنا اليه المتقدمون بأحسن بيان .

(حلب) محمد راجب الطباط

الأصفقانية

قرأت في النهاية لابن الأثير ، هذا الحديث : (٢٦٧ : ١) :

(س . وفي كتاب معاوية) الى ملك الروم : « لأتزعنك من الملك تزع الأصفقانية . — ثم انحول ، بلغة اليمن . يقال : صفقهم من بلد الى بلد أخرجه من قهراً وذلاً . وصفقهم عن كذا ، أي صرفهم » . ٥١ .

فتعجبت من ان معاوية هذا العربي الصميم يكتب هذه الكتابة ، أي ان يكتب الى ملك انه ينزعه من الملك تزع انحول . ومعاوية يعلم — وهو السياسي الداهية في النهاية ، انه يستطيع تزع ملك من ملكه تزع انحول . وليس تزع انحول أمراً هيناً ، لأنهم كثيراً ما يقادمون مولاهم إذ ربما تزعوه من ملكه ، قبل أن يطردوا من ملكه .

ولهذا لم أرجح رواية هذا الحديث ، وقلت : ان في الحديث تصحيين : تصحيف في المبني ، وتصحيف في المعنى . وما زلتُ اتقِر عن صحيح الرواية . حتى أصبت في الكتاب نفسه في مادة (ا ص ط ف ل) ما يأتي :

« (س . في كتاب معاوية) الى ملك الروم : ولأترعنك من الملك تزع الاصطقلينة ، أي الجزرة . لغة شامية . أوردوها بعضهم في حرف الهمزة على أنها أصلية ، وبعضهم في الصاد على أنها زائدة . » ا هـ .

قلنا . وجدنا عدة حقائق في وقت واحد : الأولى أن الهمزة هنا زائدة ، لأنها جلبت لعدم الابتداء بالساكن في لغتنا . الثانية ان الكلمة شامية ، لكنها يونانية ومعناها الجزرة البرية وتكتب في هذا اللسان هكذا : Staphulinos بالمعنى الذي أشير اليه . الثالثة : ان رواية معاوية الصحيحة في هذه ، لأن الجزرة تنزع نزعاً هيناً من مكانها . الرابعة : يجب أن تكون الكلمة في الرواية الأولى دالة على نبت يسمل نزعاً ليصح قول معاوية . الخامسة : الأصقانية لم ترد في كتاب إلا في التاج وهي منقولة عن النهاية على ما يبدو لي . ولم أجدها في أي كتاب آخر في متن اللغة . السادسة : الكلمة يونانية الأصل أيضاً . وهي مخففة من اليونانية (أصفرقانية) ومعناها الهليون . وهذه النبتة تنزع نزعاً هيناً ، كما تنزع الاصطقلينة . وقد سقطت الراء من الكلمة الأعجمية ، لأن الراء كثيراً ما تزداد أو تسقط في الفاظنا كما في الألفاظ المستعارة من الأغراب . فقد قال الأقدمون : العبرَب والعربَرَب وهو السباق . وتبعص وتبرص : اضطرب والخنوص والخنوص . وصرحت بقدمية وقدحمة الى آخر ما عندهم ، وكفى بهذا القدر . ومن كان له رأي مخالف فليده ، ونحن نشكره عليه سلفاً .

(بغداد) الرب أنتاس ماري الكرملی

الطَّرْح ومترادفاتهما

في التجارة العالمية ، كلمة كثيرة الاستعمال ، شائعة في كل قطر ومصر ، هي Tare في الفرنسية والانكليزية ، و Tara في الپروقفسية والاسبانية ، والایطالية ، والبرتغالية ، و Atara في الأندلسية ، و Tara في اللاتينية المولدة .

وكل لغوي غربي بحث في أصلها قال : انها من العربية (طَرَح) اي بطاء مفتوحة ، وراء ساكنة وفي الآخر طاء ويراد بها ما يَبْذ من وزن الإِثَاء أو الظرف ، الذي تكون فيه البضاعة قبل أن تباع . مثل إخراج وزن البراميل عند بيع الخمر أو الزيت ، وثقل البستوقة من وزن السمن ، والخبش من بيع الحرائر . وأنت اذا بحث عنها في دواويننا ، لا ترى شرحاً (للطرح) ، ولا تجد هذه الكلمة في المعاجم الافرنجية العربية . وهذا في متعنى الغرابة !

أما أهل العراق فيسمون (الطرح) : (الترك) بقاء مشتاة مفتوحة ، يليها راء ساكنة ، فكاف في الآخر . وهي من ترك الشيء : طَرَحَهُ ويحتمل أن يكون الترك تخفيف الطرح . إذ كثيراً ما تخفف الطاء بصورة تاء ، وهو أشهر من ان يذكر ، وتخفف الحاء كافاً ، كما قالوا في الحشحت والحابي والسلك : الكشكت والكابي والسلح .

وقد ذكر لنا المستشرقون مترادفاً آخر للطرح : (المَرْمِي) وهو اسم مفعول من رمى ، لأن هذا العرض يَبْذ من الوزن عند تعبير المادة الأصلية . أما الأقدمون الفصحاء من السلف ، فانهم كانوا يسمونه (القسر) . قال في تاج العروس : « القشر ، بالكسر ، غشاء الشيء ، خاقه أو عَرَضاً . . . وكل ملبوس : قشر » اهـ . فدخل في هذا ، غشاء أو غلاف التجارات بأنواعها ، من من سائلة وجامدة فاجتمع عندنا عدة أحرف للافرنجية Tare فيجب أن يكتب بإزائها ما يأتي : طَرَح ، مَرْمِي ، تَرَك ، قِشَر .

فمضى أنت . تصلح بعد هذا ، المعاجم الاجنبية والعربية ، ولا تبقى في غابة

التقصير والتأخير .



أ. م. ك

فرقد الغرباء وسراج الأدباء

لجمال الدين الحسن الحائني

ورد اسم هذه الرسالة الأدبية في مقال كتبه الأستاذ عبد الله مخلص في الجزئين ٣ و ٤ من المجلد ١٨ من هذه المجلة في التعريف بما حوته مكتبة آل المغربي من المخطوطات التي هي اليوم في حيازة الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي وهذا ما جاء في التعريف بهذه الرسالة في مقال الأستاذ المخلص :

« فرقد الغرباء وسراج الأدباء لجمال الدين الحسن الشهير بالحائني المتوفى سنة ١٠٣٥ هـ ١٦٢٥ م وهي مقامة على طراز مقامات الحريري لكنها أطول وأجمع للنكت العلمية والأدبية . كتبها علي بن أحمد الأكرم بالقدس سنة ١٠٨٠ هـ ١٦٦٩ م » وقد رأيت من المفيد التعريف بصاحب هذه الرسالة وهو كما في كتاب أمل الآمل في تواجهم علماء جبل عامل : الحسن بن علي بن أحمد العاملي الحائني كان فاضلاً عالماً ماهراً شاعراً أديباً منشئاً فقيهاً محدثاً صدوقاً معتمداً جليل القدر . قرأ على أبيه وعلى جماعة من العلماء العاملين . منهم الشيخ نعمة الله بن أحمد بن خاتون . والشيخ مفلح الكونيني . والشيخ إبراهيم الميمني . والشيخ أحمد ابن سليمان . واستجاز من الشيخ حسن بن الشهيد الثاني . ومن السيد محمد بن أبي الحسن الموسوي بعد ما قرأ عليها فأجازها .

له كتب : منها كتاب حقيية الأخبار وجهينة الأخبار في التاريخ ، وكتاب نظم الحبران في تاريخ الأكابر والأعيان ، ورسالة سماها فرقد الغرباء وسراج الأدباء ، ورسالة في الشفاعة ، ورسالة في النحو ، وديوان شعر يقارب سبعين ألف بيت بخطه وغير ذلك . ورأيت بخطه فرقد الغرباء . وعلى ظهره انشاء لطيف بخط الشيخ حسن يتضمن مدحه ومدح كتابه وترجمه المحي في خلاصة الأثر فقال : « حسن بن علي بن حسن بن أحمد بن محمود العاملي الكونيني الشهير بالحائني من من أهل الفضل والأدب جم الفائدة كان شاعراً مطبوعاً كثير النظم له فيه

الباع الطويل وكان مقيماً ببلدة (بيت حانين) من ضواحي صفد، وأفتى مرة في حياة الشهاب أحمد انخالدي . وقد وقفت له على أشعار كثيرة في مجموع جمع صاحبه فيه المدائح التي مدح بها الأمير نخر الدين بن معن » .

هذا مجمل ما ترجم له المحب في خلاصته والحر العاملي في أمله . أما الكتب التي سرد أمماها له الثاني وديوان شعره الضخم ورسائله هذه فرقد الغرباء فمن المؤسف حقاً أنها مفقودة من البقية الباقية من المكتبة العاملية كما فقد ما لا يحصى من مؤلفات العلماء العامليين وتكاد تكون هذه الرسالة التي احتفظت بها مكتبة آل المغربي هي كل ما خلف من أثر وسلم من الغير . ومن التكببات التي كانت تنتاب جيل عامل وهو بين فكئها ونائبها ولهااتها . ووقود نارها المضطربة في العهد الاقطاعي وهو بموقعه من الساحل الشامي وقربه من صيداء قاعدة ولاية ذلك العصر المضطرب بالفتن والحرب عرضة لكل ما تحمله من تدمير وما اليه من اصابة في الأرواح والأموال والنفوس والتفاس ومنها كتب العلم ومن يعلم أن الجزائر في أواخر القرن الثاني عشر الهجري أوقد أفران عكاء سبعة أيام من كتب العامليين انتقاماً منهم ومن حكاهم الاقطاعيين لا يستغرب كيف ذهبت مؤلفات علمائهم الكثير عديدها والحروب ما زالت ولن تزال آفة العلم والعلماء ولا سيما إذا كانت من نوع تلك الحروب وفي مثل تلك العصور التي كانت يغمر موقدي جذاها الجهل المطبق .

أما تقرّظ الشيخ حسن ابن الشيخ زين الدين الشهيد الثاني أستاذ المترجم له لرسالته فرقد الغرباء فقد عثر عليه في كتاب مخطوط لبعض علماء العجم وهذا نصه كما جاء في كتاب شهداء الفضيلة للأستاذ الشيخ عبد الحسين الآميني التبريزي : « الحمد لله وحده . وقفت على مودعات هذه الأوراق التي لا يعرف حقيقتها إلا الخذاق . فوجدت جداول عباراتها تتدفق بمحاسن الآداب . ورياض معانيها تتضوع بنشر الفضل العجائب . وكنوز فوائدها تتعهد بإعطاء الاثراء لمن أملتق في منها من أولي الألباب . ورموز مقاصدها تشهد بالارتقاء في صنعها الى اعلا .

درجات الأدباء والكاتب فآله يبي بعض منشأ ما مات من آثار الفضل .
ويمده من جوده الواقف وكرمه الواسع بيبات الانعام» .

(مدينة بعلبك تنظم عقراً من أدباء عصر الحانيني هرواسطه)

عثر على مجموعة منذ سنين بخط محمد صادق بن ابراهيم بن محمد الحريري الحرفوشي فرغ من كتابتها في غرة جمادى الآخرة من شهر سنة ١١٠١ نقل في مجموعته هذه من خط السيد نور الدين بن علي بن ابي الحسن ما يلي :
« انه مما اتفق من ثلثات الزمان . وفريدات هذا الأوان . بعد أن ساعدت المقادير . وارتفعت على خلاف العادة المحاذير . ان جمعنا جوامع الالتزام وألفتنا أسلاك الانسجام . في رواب قد رق بليها . وراق أصيلها . وطابت بها النفوس وتولعت بكل مأنوس . فتجارينا بذكر الشعر والأدب وما اتفق في مطاويه من الطوائف والنخب . حتى أعد بعضه من الاعجاز . أو السحر المجاز . فانبعث عليه الخواطر والفكر . ودعت اليه دواعي الفكاهة والسمر . حتى أت كلاً من الحاضرين وأجلاء الأدباء والمثامين . صار ينظم ارتجالاً . ويحيد مقالاً . وكان رئيسهم الذي هو فريد الفنون . وفي هذا الشأن غاية ما يكون . مولى الشعر والآداب . وجليل الفضلاء والأفاجاب . ذو الجمال والمجد الرباني مولانا الشيخ حسن الحانيني . متعنا الله بطول أيامه . ولطائف الفاظه وأقلامه . فابتدأهم بنظم اول هذه القصيدة . ولهذا جاءت بالبراعة فريدة . وسلك الجماعة على منواله . واقتفوا أثر اسجاله . وذلك يلبه بعلبك العلية . التي لها بخصال الفضل أهلية » .
أما القصيدة التي اشترك هذا الرهط الأدبي في نظمها ارتجالاً على بحر واحد وروي واحد فيبلغ عدد أبياتها ستة وعشرين بيتاً .

وهذه اسماؤهم ومنهم المعروف والمترجم له في أمل الآمل وخلاصة الاثر وغيرهما من معاجم الرجال ومنهم من لم يترجم لهم ولم نعثر لهم على ترجمة .

(١) الشيخ حسن الحانيني (٢) الشيخ محمد الحريري الدمشقي (٣) الشيخ بهاء الدين العقيقي (٤) الشيخ حسن الظهيري العالمي (٥) السيد محمد العباسي

(٦) الشيخ عبد الرضا (٧) السيد احمد الحسيني الحسيني (٨) الشيخ علي الحلبي (٩) السيد نور الدين الحسيني (١٠) محمد بن حماد .
أما قرية حانين المنسوب اليها صاحب الرسالة وقرية كونين فهما من قرى
جبل عامل الجنوبية على مقربة من (بنت جبيل) من حواضر جبل عامل وعلى
مسافة زهاء [١٥ كم] من صفد . (النبطية) سليمان ظاهر

أبو هاتم البستي

قرأت في مفتاح العدد الثالث من المجلد العشرين من مجلة المجمع العلمي العربي
قول الأستاذ الرئيس بصدد ترجمة الامام ابي حاتم محمد بن حبان البستي :
« هذا الإمام الذي ألف تأليف لم يسبق اليها ورواها عنه الثقات الأثبات ،
وانتظمت له الامامة في الدين فعُدَّ صحيحه في الحديث أصح من سنن ابن ماجه
وعرف الى ذلك الطب والتجوم ، هذا الامام لم يترجم له المحدثون ولا الفقهاء
ولا المتكلمون ولا الأدباء ولا اللغويون ولا الأطباء ولا المنجمون . ولولا
ما ترجم له ياقوت في مادة (بست) من معجم البلدان لما عرفنا عنه شيئاً يذكر
في الكتب ، ولا يبعد أن يكون أصحاب التراجم قد وقفوه حقه ولكن الكتب
التي وصلت إلينا لم تشر الى ذلك » .

قرأت هذا فحفزني إلى الرجوع إلى ما لدي من كتب التراجم فوجدت ترجمته
في جمهرة منها - وجميعها مما طال عهد الأستاذ الرئيس بمطالعة - وها أنذا
أذكرها على سبيل التذكير :

شذرات الذهب ٣ : ١٦	أنساب السمعاني الورقة ٨٠
الأعلام للزركلي ٨٨٠	طبقات الشافعية ٢ : ١٤١
قاموس الأعلام (تركي) ٦١٦	الرسالة المستطرفة ١٦
ميزان الاعتدال ٣ : ٣٩	تذكرة الحفاظ ٣ : ١٢٥
ابن عساكر (مخطوط)	لسان الميزان ٥ : ١١٢

7

نصیح واستدراك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٥	٩	بالبقاء	بالبقاء
١٥٧	٢٣	حمض	حمض
١٥٩	٩	لحم	لحم
١٦٠	١٤	٦٨ سر الآن ! سر ! سر !	٦٨ سر الآن ! سر ! سر !
١٦١	١٤	فر الآن ! فر ! فر !	فر الآن ! فر ! فر !
		يوضع خط أفقي بين كلمتي	يوضع خط أفقي بين كلمتي
		الدفاف والنقل	الدفاف والنقل
١٦٢	٩	تجمع	أنجمع
٢٥٣	١٤	من	من من

(الموصل)

الصفحة فهرس الجزء الأول والثاني من المجلد الحادى والعشرين

- ٣ أغلاط الافرنج للأستاذ محمد كرد علي .
- ١٢ بقايا الفصاح شفيق جبري .
- ١٦ القضاء اللبثاني (٣) عارف النكدي .
- ٢٣ أسماء نباتات أعجمية من أصل عربي للأستاذ مصطفى الشهابي .
- ٢٧ الكلمات اللغوية الطيبة للأستاذ عبد القادر المغربي .
- ٣٦ آراء وملاحظات بشأن دروس العربية ادوار مرقص .
- ٤٩ دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها (٥) للدكتور أسعد طلس .
- (مخطوطات ومطبوعات)

- ٦١ المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري للأستاذ شفيق جبري .
- ٦٢ ذكرى أحمد تيمورباشا ٦٣ السلوان الكاذب
- ٦٤ أيها العرب اتحدوا
- ٦٤ سوسر ٦٥ تاريخ الأسطول العربي للأستاذ جعفر الحسني .
- ٦٦ حفريات دورا - اروبس . القسم الثاني من التقرير الرابع
- ٦٧ نظرات في الصيام للأستاذ محمد بهجة البيطار .
- ٦٨ مسالك إلى قلب آسيا جورج حداد .
- ٧٠ كتاب التبصر في الدين وتمييز الفرقة الناجية محمد أحمد دهمان .
- ٧١ معالم الوحي عبد القادر المغربي .
- ٧١ مجموعة احصاءات عن سورية ولبنان منير الشريف .
- ٧٤ ربيع الأبرار للزمخشري عمر رضا كحالة .
- (آراء وأبناء)

- ٧٧ أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٦٥ ١٩٤٦ م
- ٧٩ الراحلون
- ٨١ ترجمة الأستاذ الشيخ عبد القادر المبارك
- ٨٤ الألفاظ القرية في شعر أبي فراس للسيد محسن الأبن الحسيني .
- ٨٥ بقية ما ترك الأجداد للأستاذ محمد راغب الطباخ .
- ٨٨ الأصفقانية ٩٠ الطرح ومتراذفاتهما للأستاذ أنستاس ماري الكرملي .
- ٩١ فرقد الغزباء وسراج الأدباء للأستاذ سليمان ظاهر .
- ٩٤ أبو حاتم البستي أحمد عبيد .
- ٩٥ هديتان إلى دار الكتب الظاهرية . تصحيح واستدراك للدكتور داود الجلي

مجلة المجمع العلمي العربي

آذار ونيسان سنة ١٩٤٦ شهر ربيع الثاني وجمادى الأولى سنة ١٣٦٥

القول في اتكالنا^(١)

كان عرب الجاهلية أشل الأعلى في الاعتداد على النفس، اشتهروا بمغامراتهم ورحلاتهم لغرض التجارة، وكانوا اذا شئت عليهم مساوهم وأقحطت أرضهم تنهت فيهم غريزة حفظ النوع فلا يروفت غير الاعتداء على جيرانهم، يستلبون منهم ما يسد جوعتهم.

ولما جاء الاسلام وبطل الغزو والتعادي أصبحوا يتكلمون على خالقهم كما كانوا يتكلمون على أنفسهم، وعرضوا عن القنوب بما أنتم به الحدث الجديد من المغام، وكانوا اذا فتحوا بلدًا حبوا لاستعمار غوره ونجده، فسادوا المدن، وأحيوا الموات، وفجروا الأنهار، وأقاموا السدود، وعمروا الرياض والغياض، وبفرض العطاء أي الرواتب لأشرافهم ومن تبعهم، وبقرع الربا والبيع الفاسدة، وزعت الثروة فزادوا توسعًا في معاشهم أكثر من يوم كانوا فيه ولا قوة تحميهم في السفر والحضر. شرع العرب موجز ومريع التنفيذ، وتدابيرهم معقولة مقبولة حتى في الجاهلية، وكانوا اذا صح عزيمتهم على أمر فيه صلاح معادهم أو معاشهم تجلي حزمهم وجدتهم، وهذه الصفات تقوى وتضعف فيهم بحسب العصور والأعمار. ومنذ فجر الاسلام أنشأوا يبنون جوامعهم ومساجدهم بأنفسهم، وينصبون لها الخطباء والأئمة، ويقومون

(١) من كتابنا الجديد «أقوالنا وأفعالنا» وهو الى الآن مخطوطة.

يشؤوننا لا يرزأون بيت المال شيئاً، كانوا يعرفون عالمهم وتقييمهم وداخيتهم كما عرفوا في جاهليتهم شاعرهم وخطيبهم وكاهنهم، وما كان العارف فيهم — وعلى كل واحد زاجر من نفسه — يتعدى لما ليس له بأهل، فلا يقضي ولا يفتي ولا يعظ ويخطب إلا إذا شهد له الثقات بالفضل حتى لا يضل به المهتدي ويزل المسترشد .

ولما نزع العرب في العصور التالية لاقامة رباطاتهم ومدارسهم ودور مرضاهم وضيائهم وسائر مصانعهم حبسوا عليها من الأحباس ما يقوم بها على الأيام، طيبة نفوسهم بما بذلوا، وإلى هذا كانوا يعاونون حكوماتهم فيما بقي المرابطين من مؤنة وخيل وسلاح، لعلمهم بأن عزهم مناط عزة حكومتهم، وسلامة أعراضهم وعروضهم في دفع أذى أعدائهم عن ديارهم، وكان يندر فيهم من من يجيد عن سنن الفضيلة، يرون الأمانة أمراً طبيعياً، والصدق فرض عين، والبعد عن المأثم نبلاً ومروءة، ولذلك خلا بعض أمصارهم في القرن الأول من السجون لندرة الجناة والعجربين .

وقلت ثروة العرب، وضعفت مقومات حياتهم، وغدا وعاظهم وحكاؤهم من الفريق الذي عزَّ عليه تحصيل رزقه من أبواب المعاش المعروفة، فلجأ إلى دعوى خدمة الدين يبيع بضاعته من الراعي والرعية، وأصبح قضائهم يصانعون في قضائهم، ويصادرون كما يتحادر لصوص العمال، فزال جلال القضاء لعدم الثقة بالأمناء عليه، وما وصف الإمام أبو يوسف في رسالته إلى الرشيد قضاة عصره إلا وصف عارف بما هنالك إذ قال: « وما أظن كثيراً من القضاة والله أعلم بيالي بما صنع وكيفما عمل ولا يبالى أكثر من معهم أن يفقرُوا اليتيم ويهلكوا الوارث » ثم أخذ القضاة يتناعون مناصبهم ممن كانوا يدعون ملوكاً فيجمعون أموال السحت وناسيك بها من مئة .

ومع أن الفردية تغلب على العربي أكثر من الجماعية، كان من العرب من يشتركون في مسائل تجارية كبرى، ويقسمون الأرباح بينهم، ويرضى كل واحد بما قسم له، وقل أن يرجعوا في اختلاف ينشُب بينهم إلى صاحب اللطان،

يفضون خلافتهم بمعرفة أهل الرأي والتجربة منهم ، وإلى اليوم نرى في نجد مع
بعدها عن العمران شركات تجارية جمعت رؤوس أموالها من الأغنياء والفقراء واشترك
بها الأقوياء والضعفاء ، على مثال شركات الغريبين ، وفيها الأمانة ماثلة كثيراً .
كانت أعمال الأفراد في معظم العصور أكثر نسباً وأوفر عائداً مما تتولاه
الدول ، ذلك لأن عمل الفرد تظهر فيه المسؤولية فينتج إلى التدقيق ، وفي
عمل الدولة تختفي التبعات ، ويزيد الاسراف في النفقات ، ويتهاون بالجزئيات
وأحياناً بالكليات ، ولذا رأينا السكك الحديدية والمعامل والمدارس وكل ما تديره
الحكومات في الغرب والشرق من المشاريع أقل ربحاً وأكثر نفقة مما يديره الأهليون .
ومتى ضعفت ثقة الناس بعضهم ببعض ، تفتح للحكومات منافذ التدخل في
أمر الرعية ، فتستبج بعض طبقاتهم على ما تهوى ، ويقوى بذلك سلطانها ، وتنشعب
فروع أعمالها ، وتتضاءل سلطة الفرد ، وينفى في المجموع . وإذا قل اعتماد الناس
بعضهم على بعض يَكِينون إلى ولائهم أمورهم ، ويطلبون إليها العناية بما ليس
من واجبها معاناته ، ويطالبونها أن تتولى منهم ما يتولاه الوصي من أمر القيام
بجعلوا تحت وصايته .

كما عوّل الناس على أنفسهم وتركوا الحكومات وشأنها اغتروا وسعدوا ،
وقد يكون غير المسلمين من سكان هذا الشرق القريب هنا عيشاً من الكثرة
الغامرة ، ومنهم من لم يتكوا على الدولة في كل شيء ، يرحلون ويقامرون
ويفتنون وينعمون ، وشهدنا من مارسوا حرفهم من الحاميين والأطباء والمهندسين ،
مستقلين عن الحكومات ، أوفر غنى وحناء ممن تقلدوا القضاء ومسائل الصحة
والعماير ، واتكوا على الدولة مكتفين بالرواتب المحددة . نعم كما عظمت سلطة
الدولة ينشأ في أبنائها الاتكال ويخفى الاستقلال ، وتوشك أن تظهر عليها
أعراض الانحلال ، وإن كثرت سكانها واتسعت رقعة بلدانها .

القوة للرعية في الشعوب الانكلوسكسونية وللدولة في الشعوب اللاتينية ، وأثر
الترتين الاستقلالية والاتكالية محسوس في أرض الفريجين وفي الأقطار التي

استعمرها . قال أحد وزراء الانكليز : لنا لأقول ان الحكومات أبداً شؤم
على الشعوب بل أقول ويل لأمة تترك انجال للحكومة مُنظَّم لها اليوم بعد
اليوم من الطفولة الى الشيخوخة حركة أفكارها وما ينهض بها الى العلاء ، وقالت
احدى انجلات الانكليزية مما خُصَّت به أرضنا من الميزات ميزة تعد في مناخنا ،
وهي تتنا ندير أمورنا بأنفسنا بدون تدخل الدولة . ومن أعظم البراهين على ما يعمل
الاستئلال في الفكر والارادة ، وما ينبج عن الاتكالك من انحلال وضعف ،
ما حدث في تأسيس الولايات المتحدة الأميركية وكندا واستراليا ، فان جماعات
من الانكليز غضبت عليهم ديارهم لشقاوتهم فنفتهم ، أو غضبواهم على الدولة لاضطهادهم
في مذاهبهم ، أو تعذر العيش عليهم في مساقط رؤوسهم فنزلوا تلك الأقطار
البعيدة ، وما عتوا أن أمسوا معتمدين على انفسهم بمالك عظيمة جاءت في بعض
مظاهرها أرقى من مواطنهم الأصلية .

وهذه طائفة المورمون في الولايات المتحدة ، وهي تقول بتعدد الزوجات الى
ما لاحد له ، قد حاربتها حكومة تلك الديار في أول ظهورها حرب إبادة ، فجلا
بقية السيوف من أبنائها الى صقع قاحل ، فما هي إلا اعوام قليلة حتى عمروه
فأصبح كسائر الولايات المتحدة بمدنيته وصناعاته ورخائه ، ولو كان المورمون شعباً
لاتينياً أو سامياً لانقرضوا لما لقوا من شدة ، أو لماشوا عيش تنبئت في انتظار
نجدة من دولة ، أو منحة من جمعية ، أو نفحة من غني جواد .

ستون ألف جندي وثلاثة آلاف موظف انكليزي اخضعوا بفضل اخلاقهم
لسلطان بريطانيا العظمى نحو اربعمائة مليون من الهنود يساؤونهم بذكائهم ،
وامتوى الاسبان على الولايات اللاتينية التي صارت بعد جمهوريات اميركا الجنوبية
وما عهد فيها الا الفوضى ، والسبب في ذلك اخلاق الفاتحين . وحكت اسبانيا
جزيرة كوبا ثلاثمائة سنة فما كان فيها الا الشقاء والظلم فلما آل حكمها الى الولايات
المتحدة أصبحت في ثلاثين سنة من اسعد الممالك .

يطلب الشرقي كل شيء من حكومته ، ولذلك يقل ابداعه ، ولا يطرد سير

حياته ، ولا تنمو ثروته ، ولا تديم نعمته . الشرقي عبء ثقیل علی ایه وأمه ،
وعلى أخيه وأخته ، وعلى مورثه وأمرته ، وعلى من يعتقد فيهم القدرة من أهل
حیه وبلده ودولته ، وعلى من يحبه ويعطف عليه ، وفيه شيء من النقص لا يجد
مثله في صاحب الترية المستقلة وهذا لا ينتظر ارث ایه ولا أمه ولا مورثه أباً
كان ، ولا البائنة التي تأتيه بها زوجته ، ولا نصيبها من إرث أبيها ، يجمع ثروته
بكنهه وجده ، ولا يتوقع محيطها عفواً صفوياً .

روى اصحاب الاخبار ان احد ابناء رؤساء جمهورية الولايات المتحدة شوهد
غداة انتخاب والده للرياسة مبكراً الى معمله على عادته ، فقیل له : كُن عليك ان تجعل
من هذا اليوم عيداً لك ، وتنقطع عن العمل ، وقد غدا أبوك رئيس الامة
فقال الرئيس أبي وأنا هنا عامل اشتغل مستقبلي .

وهذه مصر ولا نثل بغيرها حل تم لما الاستقلال في الترية مثممة الاستقلال
السياسي ام هو الاتكال لاشيء غيره ؟ الحق ان الترية الانكالية بادية في
مصر والاستقلال الشخصي كهلال الشك لا يكاد يرى . كأن الترية اللاتينية
التي لفتها مصر لاول نهضتها قد امرضتها فلم تسلم الى اليوم من تأثيراتها على
ما عولجت به من طرق حديثة في الترية . ولو كُن هناك خالق استقلال
ماشهدنا القوم يتهافون على التوظف في الحكومة هذا التهاف المبكي .

ان أمة يتهالك المتعلمون من بنينا ليجعلوا منهم آلات تتحرك بمركات
غيرهم ، ويعيشون كالحلمة الطفيلية بانتصاص خزانة الدولة ، والأعمال الحرة
الرابجة كثيرة أمامهم ينزكونها للنازل عليهم هي امة محكوم عليها بأسوأ ما يحكم
به على مصاب بمرض عضال ، وأي مرض افلك في النفوس من مرض الاتكال
الذي يقضي على فضائل جمّة في الانسان ، ومنها عزة النفس والافدام .

يقول الدكتور حافظ عفيفي باشا في كتابه على هامش السياسة : أما هذا
التعليم الذي يحول جميع شبان البلاد الى موظفين ، يعملون دائماً ساعات محددة
في النهار تحت اشراف رؤسائهم ، ويتناولون أجراً محدوداً يزيد في فترات معينة

بقدر معلوم ، ويمضون حياتهم على هذا النظام الميكانيكي الذي لا أثر فيه للمجبود الشخصي ، ولا ينتج باباً للمجازفة والمغامرة او تحمل التبعات ، فهو تعليم محدود الغرض لا يفيد الا في تخريج العدد اللازم من الشبان ملء وظائف الحكومة ، ولكنه مضر من جهات اخرى لأنه يفسد الغرائز الطبيعية في جميع الشبان الذين يزيدون عن هذه الحاجة .

وإذا اعتقد ان هذا التعليم يفسد غرائز المستخدمين وغير المستخدمين من الشبان ، ويقتل فيهم روح الاستقلال ، فيصبح الاتكال فيهم طبيعة ثانية ، وقد شاهدت اذكيا أقروا دراساتهم الثانوية او العالية ورجعت عليهم بعد سنين وقد اخلهم الاستخدام فصاروا الى خنوع وميمنة ، واستولى عليهم القنوط والتشاؤم ، وامسوا لا يفكرون إلا في تحطى الدرجات والحصول على العلاوات . قال لي صديق أنه كان في بعض العشايا في مقهى سان استيفانو بالاسكندرية ، فجاءه الغلام الرومي يقول له : ياميدي الدكتور اجلس هنا فانه مكان ارواح لنفسك ، وأشار الى مكان آخر لا تضربه الشمس ، فتعجب صاحبي من مناداة غلام المقهى له مناداة من يعرفه ، فسأله وهل عرفتني من قبل ؟ فقال له : وكيف لا أعرفك وأنت الذي خدمت مصر بما املته عليك وطنيتك وكنت كيت وذيت . ثم اذا انما لم اعرفك فمن الواجب ان يعرفك ؟ أنا ياميدي خريج مدرسة التجارة العليا في اثبنته ، وتساألني لم امتبهن هذه المهنة فأجيبك لاني اتربح منها وأنا في اول العمر اكثر مما اربح من غيرها . ولما روى له محدثي هذا وهو يعجب من حال اخادم قلت له : لاتعجب يا اخي فان القوم من اندر الامم على الكسب ولو أحرز احد مواطنيك شهادة من مدرسة التجارة العليا ما كان هدفه الا ان يتقلد وظيفة صغيرة في المدرسة التي تخرج باساتذتها ، أو ان يعين في احدى دواوين الحكومة ، أو يقنع بشيء يتقنه اكثر منه من لا يحمل مثل شهادته ، أو يبقى متعطلا خاملاً حتى يهبأ له رزق هين من عمل يمتد هو انه شريف ، وهذا هو الفرق بين تعليمنا وتعليمهم

وتربيتنا وتربيتهم ، فلاعجب والأمر على ما ذكر ان يترك الواحد منكم عشرات
الآلاف من الدنانير لأولاده فينفقونها في امرح ما يمكن ، ويموت الرومي مومراً
وكان في بدء امره فقيراً معسراً .

كثيراً ما كنت أسأل بعض الآباء عن أولادهم وما اختاروا لهم أو ما اختاروا
هم لأنفسهم من مسالك لتحصيل رزقهم ، فكان معظمهم في جانب الاتكاليين
لا الاستقلاليين ، أي انهم يؤثرون الاعمال الهينة المضمونة ، ولا ترتفع
بهم همهم الى بذل النشاط اللازم أول دخولهم معتزك العالم ، ولو انك قرأت
باب الرفيات في صحيفة يومية مصرية تذكر اسم المتوفى كما تبلغها أسرة الفقيد
مشفوعاً باسماء انسابه وأولاده ووظائفهم لخليل اليك ان كل متعلم في هذا القطر
موظف ، وكل مشهور ليس في ذوي ترباه إلا خدمة حكومة غالباً ، وقد
يرزق الرجل بضعة بنين فلا يكون فيهم إلا عامل في الحكومة أو أخ له
يستعد في المدارس ليقفز الى الدواوين . وأخذ البنات في العهد الأخير يقتدين
في هذا الشأن بالبنين . ولا يسع من يشهد هذا إلا ان يأسف للذكاء يثلم
حده فيما تقل فائدته ، وللمواهب تضع على غير طائل ، في فطر حوى جميع أسباب
الراحة ، ولا ينعم فيه على الأكثر إلا المستخدمون أو من خلف لهم أهلهم
الأطيان والمقارن والاموال المجموعة في المصارف ، وفيه كل شروط الغنى
ولا يفتني فيه إلا الغريب او من يتصل بالحكومة بسبب .

ما عهدت أمة كالأمة المصرية تنفق معظم جبايتها على ترفيه موظفيها ، وهم
فائضون عن حاجتها يكفيها نصفهم لو تديرت ، ولو لم يكن الغرام بالتوظيف
مما عم الطبقات المستنيرة لوجئت الدولة شعبياً ورجية أخرى على حين نرى أكثر
ما تنصرف اليه همته من يأتون الى الحكم تعيين اعظم عدد ممكن في الادارة
من حزبيهم ، تخلق لهم اعمالاً ترضيهم بها ، ولو كانوا غير صالحين للاشتغال .
ويختلف نواب الامة الى ابواب الوزارات يشفعون في توظيف ابناء اقاليمهم
وادخال السرور على ذويهم بالعمل على ترقيةهم وترفيهم . وهل بعد هذا

يرهان على انتشار الاتكلا في مصر اصدق من هذا المثال ؟ ولو كان لتربية
الاستقلالية السلطان الاكبر على نفوس المصريين لرأينا من تضيق بهم اسباب
العيش يهاجرون اني بلد سحيق لكب رزقهم كئشاميين والحضارة تحلو لهم
المجرة ولو اني القطب الشمالي وخط الاستواء .

تمركزت كل قوة في وادي النيل بالحكومة ، فربطت رعاياها برباط
أضعف فيهم حرية التفكير الشخصي والعمل المستقل ، واصبح المصري على
الأيام غريباً في اخلاقه ، لا يرى الشرف الا ما جاء من طريق الحكومة ،
ولا يسعد في رأيه الا من أسعده الحكومة ، وعبدنا بالمدارس المصرية تخرج الالوف
من الطلاب ، وما عهدنا انه انصرف منهم الى الاعمال الحرة الا من لم تكفر
شهادتهم للاستخدام بمراتب مقبولة ، والباقون وهم الصفوة تروى اليهم اعمال
أصبت بالاشباع والتضخم لكثرة ما ينهل عليها من الطالبين ، فكان المدارس
في القطر المصري أنشئت لتخريج مستخدمين ، والراسب في فحوصها أو من لم
يتمكن من اتمام دراسته لسبب من الاسباب تسوقه الحال الى اتحال مذهب من
مذاهب المعاش ، يعمل فيه متكرراً ويكون وسطاً او دون الوسط ، ولو نزع
القائمون بالامر في مصر ايديهم من معاونة رعاياهم في كل شيء وتركوا الوطني
والغريب يتنافسان برأسيهما في ميدان الأعمال ، شهدت الدخيل يلقي بالأصيل جانباً
فيتجلى للبصير آتئذ الفرق محسوساً بين تربية وتربية .

وليس بعجيب بعد هذا ان يصبح معظم ماتم من المشاريع الحميدة في مصر من
منع الحكومة قام بايدي رجالها ، وكلف اضعاف ما يساوي لانه عمل حكومي .
ولو قدر ان تخلت حكومة مصر عن معاونة بعض الشركات الوطنية ، لأصلها
تتور في حركتها ، ذلك لان السكان ما اعتادوا ان يمشوا بدون دليل ، ولا غنية
لهم عن يمين عليهم من قريب او من بعيد .

وأصدق شاهد على هذا ان تخلى للحكومة الجمعيتان اللتان قامتا احسن قيام باتشاء
الجامعة القديمة وتأسيس مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية فأثبتتا عجزهما وانكلاهما

بعد ان أثبت المؤسسون الأول كفاءة عظيمة وفرح كل عاقل باستقلالهم المحمود .
وما أصدق ما قاله الامتاز احمد فتحي زغلول باشا في مقدمة كتاب سر تقدم
الانكليز السكسونيين : «ضعفنا حتى أصبحنا نرجو كل شيء من الحكومة فهي التي
نطالبها بحفظ حياتنا ، وخصب أرضنا ، وترويج تجارتنا ، وتحسين صناعتنا ، هي التي
نطلب منها ان تربي الأبناء ، وتطعم الفقراء وترزق العجزة ، وتنتقي اسباب البطالة
وتحفظ الاخلاق ، وتلم شعث العائلات ، وتجمع اشتات القلوب ، هي التي نطالبها
بتعويض ما نقص من ارادتنا ، وتقويم ما أعوج من سيرتنا وسيرتنا ، ورد هجمات
الزاحمين عنا ، والسهر على مصالح كل واحد منا ، فاذا تأخرنا في عمل من تلك
الاعمال باهمالنا ، زمينها بسوء الادارة ، وأتهمناها بحجب الأثرة ، والقينا عليها
تبعة خمولنا كلها .

«لأرب أننا بهذا الزعم قد ضللتنا السبيل ، فانما الحكومة وازع لا يكلف الا
ما تقتضيه طبيعته ، وشأن الحكومات في الأمم تأييد النظام ، وحفظ الامن وإقامة
العدل وتسهيل سبل الزراعة ومعاودة بعضهم بعضاً على ما يضمن حرية التجارة ،
وإشجيع أهل الصناعات والحرف ، كما تقتضيه المصالح المشتركة ، وعلى قدر
ما تسمح به امکانات ، وبالجمله فالحكومة وازع عام لا واجب عليه الا الأمر
العام ، مما يدخل تحت جميع الناس ، ولا ينفرد بالاستفادة منه واحد بخصوصه ،
وعلى الأمة بعد ذلك ان تستفيد من هذا النظام ، وتنتهز فرصة الامن والطمانينة
لتسعى وراء منافعها ، وتطلب الكمال في زراعتها وصناعتها وتجاريتها ، وفي نشر
المعارف وحياء العلوم ، وفي اداء الواجب والمحافظة على الحقوق .»

وبعد فقد نزع داء التوظيف من كيان المصري صفات صالحة كان يشارك
بها أرقى الأمم في حضارتها لو قيض له من يعالجه ، وما دام أصحاب الخدمة
هنا من أكثر عمال الاسم رزقا ورفاهية وأفلهم تعباً وتبعة ، فالتعلموت من
اذ كياء المصريين لن يكون لهم مأرب في غير الاستخدام ، ولو في نطاق
ضيق لا يعود عليهم بكبير فائدة . ذكر الامتاز محمد علي عليه باشا في

كتاب مبادئ في السياسة المصرية انه اذا بحثت أمر كل وزارة ومصلحة هالك لأول نظرة ما عليه الإدارة من كثرة الموظفين كثرة هائلة حتى أنك لتجد بعضهم يعترف لك اعترافاً صريحاً بأن كثرة هؤلاء الموظفين عديمة الجدوى ، وأنها في أحايين كثيرة تعوق العمل عرقلة مزرية ، ولطالما لوحظ من بعض الموظفين أنهم لا يأتون الا عملاً ثانياً ، ويقتلون اوقات عملهم في قراءة الصحف وفي الحديث مع زملائهم او مع زائريهم مع استمرار الشكوى من عدم ترقيةهم او رفع علاواتهم . وبعد ان وصف المؤلف ذلك الجيش العاطل من الفراشين والسعاة والجنود على أبواب الدواوين وأقلامها وفي طرقاتها ومنافذها ممن لا عمل لهم الا تقديم القهوة والمرطبات وحمل بعض الأوراق من حجرة الى اخرى قال : : ولقد عمت الفوضى وساد التواكل والتكاسل من هذا النظام الذي يجب ان يزول اذ هو أثر من آثار الماضي يجب ان نتحرز من مساوئه ، ولا يمكن ان نصف مصر في وقتنا الحاضر إلا بأنها بلد الموظفين وملجأ التوظف اه .

محمد كرد علي

ابو الهذيل العلاف

حياته وفلسفته

١ - تمهيد

كان من أثر اتصال العرب بالفرس والروم في العصر العباسي الأول أن انتشرت في الدولة الإسلامية ثقافات مختلفة للأمم مختلفة . وكان هناك كتاب وشعراء وفلاسفة وعلماء يدعون الى هذه الثقافات ويحييونها الى الناس . وكان هناك ديانات ومذاهب مختلفة تحاول أن تثبت دعوتها ، حتي اضطر الخلفاء العباسيون الى التدخل في المسائل الدينية ، وحث العلماء على وضع الكتب في الرد على المجوس والدرزية . وعمل المتكلمون ، وعلى رأسهم المعتزلة ، على نشر الدعوة الدينية ، والذب عن حياض الاسلام ، عن طريق العقل ، فاستعانوا بالمنطق اليوناني وصاغوا مسائلهم في قوالبه ، وعرفوا طرق الجدل والمناظرة ، ووضعوا لها قوانين وقواعد تقيدها بها . ولقد بلغ من قوة العلماء في ذلك العصر أن أنفذ واصل بن عطاء اصحابه الى الآفاق ، وبث دعوته في البلاد ، فأجابهم الى ذلك خلق كثير . وكانت مدينة البصرة باصحة هذه الحركة الفكرية العظيمة ، يجتمع فيها واصل بن عطاء بمعرو بن عبيد ، وعثمان الطويل ، فينازعون الثنوية والدرزية في أمور التوحيد ، ويناضون المجبرة في الجبر والاختيار ، والثواب والعقاب ، ويردون على المشبهة في صفات الله والتجسيم . وشجع الخلفاء العباسيون هذه الحركة الفكرية لرد على الملحدين فاختر المهدي رجلاً وكل اليه أمرهم سماه صاحب الزنادقة ، وأنفذ الهادي وصية أبيه المهدي فاشتد في طلبهم والتكيل بهم ، وسلك هارون الرشيد ضيل من قبله من الخلفاء في تعقيبهم ، وأمر المأمون بقتل من حمل اليه من زنادقة البصرة .

٢ - نسأه أبي الرزديل : مولده ونسبه وحياته

ففي هذا العصر المقم بالحياة الدينية والفكرية نشأ أبو الهذيل العلاف وهو أبو الهذيل محمد بن عبد الله بن مكحول العبدي . ولد سنة خمس وثلاثين ومائة في مدينة البصرة في خلافة انساح . كان مولى لعبد القيس . ولقب بالعلاف لأن داره كانت بالعلافين . ثم أخذ العلم عن عثمان الطويل وطبقته . وعثمان الطويل أخذه عن واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد . وقيل ان أبا الهذيل تزوج اخت عمرو بن عبيد . فدفعته اليه فمطرين من الكتب ، فأخذ عنها كثيراً من كلامه حتى بلغ فيه غابة ليس وراءها زيادة لمزيد . يظهر أن نبوغ أبي الهذيل ، لا يرجع الى ما قبله من هذه الكتب ، ولا الى ما أخذه عن أستاذه عثمان الطويل فحسب ، بل يعود الى استعداده الفطري وذكاؤه الخاد . فقد اتفقت الروايات على ان نبوغه كان مبكراً ، وانه كان له أقل من خمس عشرة سنة أول ما تكلم قال أبو الهذيل :

« كنت أختلف الى عثمان الطويل ، صاحب واصل بن عطاء ، فبلغني أن رجلاً يهودياً قدم البصرة ، وقد قطع عامة المتكلمين فيها ، فقلت لعبي ، يا عم ، امض بي الى هذا اليهودي أكله ، فقال لي : يا بني ، هذا الرجل قد غلب جماعة متكلمي أهل البصرة ، فمن أخذك أن تكلم من لا طاقة لك بكلامه ؟ فقلت له : لا بد من أن تمضي بي اليه . وما عليك مني غلبي أو غلبته ، فأخذ بيدي ، ودخلنا على اليهودي فوجدته يقرر الناس الذين يكلمونه على نبوة موسى ، ثم يجحدهم نبوة نبينا . فيقول : نحن على ما اتفقنا عليه من صحة نبوة موسى الى ان نتفق على غيره فنقربه . قال فدخلت عليه ، فقلت له : أسألك أو تسألني ، فقال لي يا بني ، أو ما ترى ما أفعله بشأنيك ؟ فقلت له دع عنك هذا واختر ، اما أن تسألني ، أو أسألك . قال بل أسألك . خبرني . أليس موسى نبياً من أنبياء الله قد صححت نبوته ، وثبت دليله . تقر بهذا أو تجحده فتخالف صاحبك . فقلت له : ان الذي سألتني عنه من أمر موسى هو عندي على أمرين . أحدهما اني أقر بنبوة موسى الذي

أخبر بصحة نبوة نبينا ، وأمر باتباعه ، وبشر به وبنبوته . فان كنت عن هذا تسألني فأنا مقر بنبوته . وان كان موسى الذي تسألني عنه لا يقر بنبوته نبينا محمد (ﷺ) ولم يأمر باتباعه ولا بشر به ، فلست أعرفه ولا أقر بنبوته ، بل هو عندي شيطان يحرق . فتخبر لما ورد عليه ما قلته له . وقال لي : فما تقول في التوراة ، قلت امر التوراة أيضاً على وجهين ، ان كنت التوراة انني أنزلت على موسى النبي الذي أقر بنبوته نبي محمد فهي التوراة الحق ، وان كنت أنزلت على الذي تدعيه فهي باطل غير حق ، وأنا غير مصدق بها . فقال لي احتاج الى ان اقول لك شيئاً بيني وبينك فظننت انه يقول شيئاً من الخير فتقدمت اليه ، فإزني فقال امك كذا وكذا ، وام من علمك . لا يكفى . وقدر اني اثب به فيقول وثبوا بي وشغبوا علي فأقبلت علي من كان بالجلس فقلت اعزكم الله . اليس قد وقفتم على مسأله اياي وعلى جوابي قالوا لي نعم . فقلت أليس عليه واجب ان يرد علي جوابي . فقالوا نعم . قلت لم فانه لما سارني شتمني بالثم الذي يوجب الحد وشم من علمي . وانما قدر ان اثب به فيدعي انا واثبناه وشغبنا عليه . وقد عرفتم شأنه بعد انقطاعه . فأخذته الأيدي بالنعال . فخرج هارباً من البصرة وقد كان له بها دين كثير فتركه ^(١) .

لم تنقض حياة ابي الهذيل كلها في البصرة ، بل رحل منها الى مكة وبغداد وسراً من رأى . فقد جاء في أحد كتب ابي الهذيل ، انه لقي هشام بن الحكم في مكة عند جبل ابي قيس . وذكر الخطيب البغدادي ، ان أبا الهذيل قدم بغداد سنة ثلاث ومائتين وقد نيف على المائة . وذكر المسعودي ان ابا الهذيل اتصل هناك بالمأمون . وكان المأمون في اول امره ، لما غلب عليه الفضل بن سهل وغيره ،

(١) الحافظ ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي . تاريخ بغداد او مدينة السلام . المجلد الثالث ص ٣٦٦ - ٣٧٠ راجع ايضاً . امالي السيد المرتضى : ص ١٢٢ . نكت المبيان في شكت الصبيان ، لصالح الدين خليل بن ابيك الصفدي ، مصر . المطبعة الخيرية سنة ١٩١١ ص ٢٧٢ - ٢٧٩ . هيون التواريخ . لمحمد بن شاكر الكنتي . الجزء السادس ، مخطوط في المكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٢٧ ص ١٢٠ .

يستعمل النظر في أحكام النجوم وقضاياها ، وينقاد الى موجباتها ، ويذهب مذاهب من سلف من ملوك ساسان . فلما كان من الفضل بن السيل ذي الرياستين ما اشتهر ، وقدم المأمون العراق انصرف عن ذلك كله ، واظهر القول بالتوحيد والوحد والوعيد وجالس المتكلمين وقرب اليه كثيراً من الجدليين والمناظرين كأبي الهذيل والنظام . وانزج مجلده الفقهاء وأهل المعرفة من الأدباء . وكان يشاركهم في مناظراتهم ، ويردهم الى جادة الصواب عند خروجهم منها . ويروي ان المأمون قال لحاجبه يوماً : من في الباب من اصحاب الكلام . فخرج وعاد اليه فقال بالباب ابو الهذيل العلاف وهو معتزلي ، وعبد الله بن اياض الخارجي . وهشام بن الكبي الراضي ، فقال المأمون : ما بقي من اعلام جهنم احد الا وقد حضر .

واتصل ابو الهذيل في بغداد يحيى بن خالد البرمكي وسهل بن هارون صاحب بيت الحكمة . فكان سهل بن هارون يظهر له الصداقة ويكن له العداوة . فقد استنفع ابو الهذيل به مرة على رجل في حاجة له فكتب سهل الى الرجل :

ان الضمير اذا سألتك حاجة لأبي الهذيل خلاف ما ابدي
فاذا اناك حاجة فامدد له حبل الرجاء بمخلف الوعد .
والن له كنفاً ليحسن خلقه من غير منفعة ولا رقد
حتى اذا طالت شقاوة جده ورجا الفنى فأجبه بالزد
وان استطعت له المضرة فاجتهد فيما يضر بأبلغ الجهد

واتصل ابو الهذيل في بغداد ايضاً بالحسن بن سهل وناظر بمحضرة اصحاب النجوم ، دخل يوماً على الحسن بن سهل وعنده فتى قد رفع الحسن بن سهل مجلده ، فقال ابو الهذيل من هذا الفتى الذي قد رفعه الأمير ، لتوفيه بمعرفة حقه . قال رجل من أهل النجوم ، قال من اهل صناعة الحساب ام الاحكام . قال الاحكام . قال ذلك عمل باطل . أفسأله قال : صل . فأخذ ابو الهذيل تفاحة من بين يديه . وقال آكل هذه التفاحة أم لا : قال تأكلها . فوضعها ابو الهذيل وقال : لست آكلها . قال فعيدها الى يدك ، وأعيد النظر . فوضعها وأخذ غيرها

فقال له الحسن : لم اخذت غيرها قال لئلا يقول لي لا تأكلها ، فأكلها خلافاً عليه فيقول : قد اصببت في المسألة الأولى .

ثم ان ابا الهذيل انتقل من بغداد الى سر من رأى ونزل في غرفة بسيطة الى ان يطلب داراً تصلح له : قال سليمان الرقي فمرت به فقلت له يا ابا الهذيل انزل في هذا المنزل فأثدني :

يقولون زين المرء يامي رحله الا ان زين الرجل يامي راكبه وفي سر من رأى مات ابو الهذيل . واختلف في تاريخ موته . فزعم الخطيب البغدادي وابو المحاسن انه مات سنة ست وعشرين ومائتين في أواخر أيام المعتصم . قال المسعودي مات ابو الهذيل سنة سبع وعشرين ومائتين . وقال صاحب كتاب المصاييح لما مات ابو الهذيل بسر من رأى جلس الواثق في مجلس التعزية . وهذا يدل انه مات في أيام الواثق . وقال آخرون انه ادرك خلافة المتوكل . ومات سنة خمس وثلاثين ومائتين . ونحن نميل الى ترجيح هذا القول الأخير استناداً الى سائر اخباره .

هذه لمحة قصيرة من حياة ابي الهذيل العلاف جمعتها مما نبعث من اخباره في كتب التراجم والتاريخ والفلسفة . وفي كتب الأدب اخبار كثيرة عن ابي الهذيل تصور لنا اخلاقه خير تصوير وتبين لنا مثله احسن تبين .

٣ - أضواء أبي الهذيل

لم تكن اخلاق ابي الهذيل مما يورث الحمد والثناء دائماً . فقد قال الجاحظ ان ابا الهذيل كان ابخل الناس . مثال ذلك انه احدى الى موبس دجاجة ، وكانت دجاجته التي أهداها دون ما كان يتخذ لموبس ، ولكنه بكرمه وبحسن خلقه ، اظهر التعجب من سمنها وطيب لحمها . فقال وكيف رأيت يا ابا عمران تلك الدجاجة . قال كانت عجباً من العجب ، فيقول وتدرى ما جنسها ، وتدرى ما سمنها . فان الدجاجة انما تطيب بالجنس والنس . وتدرى بأي شيء كنا نسمنها ، فلا يزال في هذا ، والآخر يضحك ضحكاً نعرفه نحن ولا يعرفه

ابو الهذيل . فان ذكروا دجاجة قال : اين كانت يا ابا عمران من تلك الدجاجة .
وان ذكروا بطة او جزوراً او بقرة . قال فأتين كنت هذه الجزور في الجزر ،
من تلك الدجاجة في الدجاج . وان ذكروا عذوبة السمك قال عذوبة السمك في
البقر والبطة وبطون السمك والدجاج . وان ذكروا ميلاد شيء او قدوم انسان ،
قال ذلك بعد ان اهديتها لك بسنة . وما كان بين قدوم فلان وبين البعثة بتلك
الدجاجة الا يوم . فكانت مثلاً في كل شيء ، وتاريخاً في كل شيء (١) .

ولعل الخيل هو النصف الجامعة لائر صفات ابي الهذيل التبيحة ، لان حرصه
الشديد قد صيره عند بعضهم كذاباً . ولا بد للخيال من ان ينافق ويصانع في
التكسب والانتفاع وان يدعي ما ليس فيه . قال الجاحظ :

« قال ابو الهذيل لمحمد بن الجهم وانا عنده يا ابا جعفر : اني رجل مخرق الكف
لا ابقى درهما . ويدي هذه صناع في الكسب ، ولكنها في الاتفاق خرقاء .
كم من مائة الف درهم قسمتها على الاخوان في مجلس ، وابو عثمان يعلم ذلك .
أسألك بالله يا ابا عثمان ، هل تعلم ذلك ؟ قال يا ابا الهذيل ما أشك فيما تقول .
قال فلم يرض ان حضرت حتى استشيدني . ولم يرض باستشادي حتى استخفني (٢) » .
ولم يكن بخلاف الشديد الاصفة متممة لطعمه ، وحببه للظهور ، واهتمامه برأي
الناس فيه . حتى قال بشر بن المعتمر : « لان يكون ابو الهذيل لا يعلم وهو عند
الناس يعلم أحب اليه من ان يعلم وهو عند الناس لا يعلم : ولان يكون من
السفلة وهو عند الناس من العلية ، أحب اليه من ان يكون من العلية ، وهو
عند الناس من السفلة . ولان يكون نبيل المنظر مخيف المخبر ، أحب اليه من
ان يكون نبيل المخبر ، مخيف المنظر . وهو بالنفاق اشد عجياً منه بالإخلاص .
ولباطل مقول أحب اليه من حق مدفوع » (٣) .

ويظهر ان الجاحظ كان شديداً على ابي الهذيل . فهو الذي وصفه بالخيل الشديد ،

(١) الجاحظ ، البغلاء ، ص ٦٣ — ٦٤ (٢) الجاحظ ، كتاب البغلاء ، ص ٦٤ .

(٣) الجاحظ ، البيان والتبيين ، جزء ٢١ ص ١٠٤ في الهامش .

وقال عنه مع ذلك انه كان اسلم الناس صدراً ، واوسعهم خلقاً واسبيلهم سهوة .
ولعل هذه الصفات كانت تشفع لأبي الهذيل في شيء من بخله . فقد رأيتاه
يصف الدجاجة التي احداها الى موسى ويضحك الناس من كلامه ولا يعرف ابو الهذيل
معنى ضحكهم وسخرتهم لسلامة صدره وسهولة اخلاقه . وقد رأيتاه ينزل بسر
من رأى في غرفة حقيرة ويتعجب اصحابه من ذلك فيقول لهم ان ضواهر البر
لا تدل على قيمته الحقيقية .

ونزل ميله الى الشهرة وضموحه واهتمامه برأي الناس فيه هو الذي دفعه الى
مناظرة اليهودي في البصرة وهو لا يزال في الخامسة عشرة من سنه . وحب
الظهور اذا اجتمع مع البخل في رجل واحد ، قد يدفعه في بعض الاوقات الى
التظاهر بالتقشف والكرم في دائرة ضيقة . وقد يكون التظاهر بالكرم واسطة
من وسائل الاصلاح والاقتصاد ، او وسيلة من وسائل دوام النعمة والثروة .
حتى لقد ذكر صاحب المنية والامل ان ابا الهذيل كان يأخذ من السلطان
ستين الف درهم في السنة ويفرقها في بعض الأحيان على اصحابه .
ويبدو لنا من قراءة اخبار ابي الهذيل ان شخصيته كانت عجيبة ، لا بل متناقضة ،
فقد كان بخيلاً ، سليم الصدر ، سهل الأخلاق ، محباً للظهور ، متقشفاً ، متظاهراً
بالكرم ، موضعاً للاعجاب والسخرية معاً .

٤ - كنب أبي الرزديل

ولست هذه الصفات بقادحة في علم ابي الهذيل وقيمته الفكرية والفلسفية ،
فقد كان شيخ المتكلمين في زمانه . ولم يتفق لأحد من شيوخ المعتزلة ما اتفق
له من قوة الحجة ، ولطيف الكلام ، وقطع المخالفين له في المناظرة . فقد ألف
ستين كتاباً في الرد على المخالفين في رقيق الكلام وجليله . ولم يبق من هذه
الكتب بين أيدينا الا مخطوط واحد محفوظ في المتحف البريطاني تحت رقم ١٢٣٨
عنوانه هذه مناظرة ابي الهذيل لمجنون الدين . ومجنون الدين هذا هو شخصية وهمية
تصورها ابو الهذيل للبحث في إمامة علي . أما أشهر كتبه الأخرى فهي :

- ١ - كتاب مشابه القرآن ذكره ابن انديم في الفهرس
- ٢ - كتاب ميلاس ، وكان ميلاس هذا رجلاً مجوسياً أسلم على يد ابي الهذيل .
وكان سبب اسلامه انه جمع بين ابي الهذيل وجماعة من الثنوية
فقطعهم ابو الهذيل فأسلم ميلاس عند ذلك .
- ٣ - كتاب القوالب في الرد على النهرية
- ٤ - كتاب انرد على النظام
- ٥ - كتاب الحجج
- ٦ - كتاب الاعراض والانسان والجزء الذي لا يتجزأ .
وغير هذه الكتب كثير لم يبق الآن منها شيء . ولولا ما حفظ من فلسفة
ابي الهذيل في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ، والفرق بين الفرق للبغدادى ،
والموافق للابيجي ، ومقالات الاسلاميين للأشعري ، والانتصار للخياط لكنا
اليوم لا نعرف شيئاً عن فلسفة هذا الرجل العظيم .

٥ - مبرة أبي الهذيل

لم تقتصر حياة هذا الفيلسوف الفكرية على علم الكلام والجدل ، بل اشتملت
ايضاً على علوم اخرى كعلم الحديث ، وعلم الأدب . فقد روى الحديث عن سليمان
ابن مريم وروى عنه محمد الكاتب وابو يعقوب الشحام وابو العيناء وغيرهم . وانتقده
أهل الحديث لخبر قوله وكذبه ومفارقة اجماع المسلمين . حتى قال الامام ابن قتيبة
ان ابا الهذيل كان كذاباً أفاكاً . وشارك ابو الهذيل ايضاً في الأدب فحفظ
كثيراً من أخبار العرب وأشعارهم . قال ابو حيان في المقابسات :
دخل ابو الهذيل مرة على الواثق . فقال له الواثق لمن تعرف هذا الشعر :

سباك من هاشم سبيل ليس الى وصله سبيل
للحسن في وجهه هلال لأعين الخلق لا يزول
وطرة ما يزال فيها لنور بدر الدجى مقل
فان يقف فالعيون نصب وان تولى فهن حول

فقال ابو الهذيل يا أمير المؤمنين . هذا الرجل من أهل البصرة يعرف بأبي حيان الدارمي وكان يقول بامامة المفضل . ومن كلمة يقول فيها :

أفضله والله قدمه على صحابته بعد النبي المكرم
بلا بغضة والله مني لغيره ولكنه أولام بالتقدم

وقال النظام : ما أشفت على أبي الهذيل قط في استشهاد شعر الا يوم قال له الملقب ببرغوث أسألك عن مسألة فرفع ابو الهذيل نفسه عن مكانه فقال ببرغوث :

وما بقيت علي تركتاني ولكن خفتما صرد النبال

ولم اعرف في نقيضه بيتاً يمثله . فبرز ابو الهذيل وقال لا بل كما قال الشاعر :

وارفع نفسي عن بجملة اني اذل بها عند الكلام وتشرف

وكان القوم يجلونه ويمضونه لسعة علمه وكثرة حفظه ومعرفة خاطره .

قال ثمامة وصفت ابا الهذيل للمأمون فلما دخل عليه جعل المأمون يقول لي

يا ابا معن و ابو الهذيل يقول لي يا ثمامة . فكنت اتقد غيظاً . فلما احتفل المجلس

استشهد ابو الهذيل في عرض كلامه بسبع مائة بيت فنلت له ان شئت فكنتي ،

وان شئت نسني . وذكر ابن النديم في ترجمة ثمامة بن اشرس انه بلغ المأمون

ان ثمامة لا يقوم لطاهر بن الحسين ويقوم لأبي الهذيل ويأخذ ركبه حتى ينزل

فسأله عن ذلك فقال ابو الهذيل أستاذي منذ ثلاثين سنة .

وفي وفيات الأعيان كلام لأبي الهذيل في العشق يدل على فصاحته وبلاغته .

قال اجتمع عند يحيى بن خالد البرمكي جماعة من أرباب الكلام فسألهم عن حقيقة

العشق فتكلم كل واحد بشيء وكان ابو الهذيل في جملتهم فقال : « أيها الوزير ،

العشق يختم على النواظر ، ويطبع على الأنفذة ، مرتعه في الأجسام ، ومشرعه في

الأكباد ، وصاحبه متصرف الظنون ، متفنن الأوهام ، لا يصفو له مرجو ،

ولا يسلم له مدعو ، تسرع اليه النوايب ، وهو جرة من بقيع الموت ، وبقعة

من حياض الشكل ، غير انه من اريحية تكون في الطبع ، وطلاوة توجد في

الشمالك ، وصاحبه جواد لا يصغي الى داعية النع ، ولا يصيغ لنزع العذل » .

ومعرفة ابي الهذيل بجيد الكلام ، جعلت المبرد يقول فيه : ما رأيت أفصح من أبي الهذيل والجاحظ ، ولئن كان الجاحظ أقدر على فنون الكتابة من أبي الهذيل لقد كان أبو الهذيل أحسن مناظرة منه . وقال الخياط في كتاب الانتصار ، كان أبو الهذيل نسيج وحده ، وواحد دهره ، في البيان ، ومعرفة جيد الكلام . وجميع المتكلمين الذين عاصروا أبا الهذيل كانوا يقرّون له بالتقدم عليهم ، في حسن الجدل وقوة الحجة ، حتى لقد قال ابن النديم كان أبو الهذيل شيخ البصريين ومن أكبر علمائهم ، وقال ابن خلكان كان أبو الهذيل حسن الجدل ، قوي الحجة ، كثير الاستعمال للأدلة والالزامات . وذكرنا ان النظام كان قد نظر في شيء من كتب الفلاسفة فلما ورد البصرة ، كان يرى انه قد اورد من لطيف الكلام ، ما لم يسبق علمه الى أبي الهذيل العلاف ، قال فناظرت أبا الهذيل في ذلك ، فخيّل لي انه لم يكن متشاعلاً قط إلا به ، لتصرفه فيه ، وحذقه في المناظرة فيه . وكثيراً ما كان أبو الهذيل يناظر النظام ويقطعه ، ناظر النظام أبا الهذيل مرة في الجزء الذي لا يتجزأ فألزمه أبو الهذيل مسألة الذرة والنعل ، وهو أول من استنبطه فتخير النظام في ذلك فلما جنّ الليل نظر اليه أبو الهذيل ، وإذا النظام قائم ، ورجله في الماء يتفكر ، فقال يا ابراهيم هذا حال من يناطح الكباش . وكان أبو الهذيل يقطع خصمه بأقل كلام ، حكى انه لقي صالح بن عبد القدوس ، وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه . فقال له أبو الهذيل لا أعرف لجزعك عليه وجهاً ، إذ كان الانسان عندك كالزراع ، قال صالح : يا أبا الهذيل انما اجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك ، فقال له وما هذا الكتاب يا صالح ، قال هو كتاب ، قد وضعته ، من قراء ، يشك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن ، ويشك فيما لم يكن ، حتى يتوهم أنه قد كان . فقال له أبو الهذيل فشك أنت ، في موت ابنك ، واعمل على انه لم يميت ، وان كان قد مات ، وشك أيضاً في قراءته كتاب الشكوك ، وان كان لم يقرأ .

وقال أبو الهذيل قلت لجهمي ما تقول في النار قال بنت الله ، قلت فالبقر

قال ملائكة الله ، قصّ اجتمعا وحطّها الى الأرض ، يبحرث عليها ، فقلت فإلما ،
قال نور الله ، قلت فما الجوع والعطش قال فقر الشيطان وفاقته ، قلت من يحمل
الأرض قال بهمن الملك قلت فما في الدنيا شرّ من الجحوس اخذوا ملائكة الله ،
فذبجوها ، ثم غسلوها بنور الله ، ثم شوّوها بينت الله ، ثم دفعوها الى فقر الشيطان ،
وفاقته ثم سلخوها على رأس بهمن أعز ملائكة الله ، فانقطع الجحومي ونجل .
وكان أقدر على اقناع العلّاء منه على اقناع العامة . قيل له مرة إنك لتناظر النظام
وتدور بينكما نوبات . واحسن احوالنا اذا حضرنا ان ننصرف شاكين في القاطع
منكما والمنقطع ، ونراك مع هذا يناظر ك زنجويه الجمال فيقطعك في ساعة ، فقال
يا قوم ان النظام معي على جادة واحدة ، لا ينحرف أحدنا عنها الا بقدر ما يراه
صاحبه ، فيذكره انحرافه ، ويحمّله على سننه ، فأمرنا قريب ، وليس هكذا زنجويه
الجمال ، فانه يتندي معي بشيء ثم يطفرّ الى شيء آخر بلا واصله ولا فاصله ،
وابقى ، فيحكم علي بالانقطاع ، وذاك لعجزني عن رده الى سنن الطريق الذي
فارقني فيه آنفا .

وفي هذا القول اشارة الى شروط الجدل ، وضرورة التقيد بموضوع البحث ،
وتحديد المعاني في السؤال والجواب ، والاقناع والبرهان . والجدل هو الطريقة التي
سلكتها ابو البذيل ، واصحابه من المعتزلة في عرض فلسفتهم ، والدفاع عن آرائهم ،
فتولد من هذه المناظرات فلسفة عامة مشتملة على نظريات مختلفة ، في حقيقة الاله
والكون والانسان .

(يتبع)

جميل ضليبا

أقرب الموارد

اطلعت بنظرة جملة على كتاب أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد لما رأيته أكثر الكتب اللغوية الحديثة تداولاً بين الأيدي لسهولة مأخذه وحسن ترتيبه .

نظرت إليه هذه النظرة في بابي المحزنة والباء منه قرأت فيه بعض مخالفات لما عرفت من كتب الأئمة السالفين الأثبات فأحييت عرضها على التواريخ ليحصوها فإذا صح نظري فيها تجنبها الآخذون عنه .

١ - في مادة (ا ب ب) الآب الكلا الذي تعلفه الماشية ج الأوب هذا جمع غريب ونعله جمعه على أفعل ثم اعلّ وأبدل ولكنه لم ينص عليه صاحب التاج ولا صاحب اللسان مع جمعهما لكل شاردة ولا ذكره صاحب المختار ولا الأساس .

٢ - في (ا ب و) ابا . . . آباوة

هكذا أوردتها بالفتح ونص القاموس إباوة بالكسر .

٣ - في (اذن) المؤذنة . . . طائر في القاموس بفتح الذال .

٤ - في (ارق) آرق . . . ذهب نومه بالليل فهو آرق وآرق وأرق

الأخير لمن عادته الآرق .

وفي اللسان فهو ارق وآرق وأرق وأرق ، وضع ارق موضع ارق كندس كما وزنها في مستدرك التاج وأما ارق بالتسكين فلم أرها في مالدي من كتب الأثبات

٥ - في (ازي) آزي ل يأزي آزيا آناه من وجهه ليختله .

في اللسان آزيت لفلان آزي آزيا إذا ابتغى من وجهه مأمنه ليختله وهذه عبارة الليث فهي إذا من باب رمى ثم لم حذف مأمنه والمراد لا يتم إلا بها .

٦ - في (اش ر) أشر الخشبة بالمنشار . ض . أشراً : نشرها أي من باب ضرب

عبارة القاموس اشر اخشب بالمنشار : شقه واذا أطلق صاحب القاموس الفعل الثلاثي كان من باب نصر ونص المصباح على انه من باب نصر وكذلك المختار ولم يقل احد فيما أعلم انه من باب ضرب .

۷- (اش ف) الأشف : صمغ نبات

صوابه الأشق بالقاف قال في التاج وهو المعروف في مصر بقناوشق .

۸- (ام ر) ۰۰ وأمر آخر أيام العجوز

أمر هو السادس منها . وآخرها مؤثر قال في اللسان وكان الأول منها

بأمر الناس بالخذر والآخر يشاورهم في الظعن ۰ ۱۰ .

واذا احرزنا الترتيب من شعر ابي شبل الاعرابي كان أمر رابعاً فليتأمل ولو قال

صاحب اقرب الموارد كما قال صاحب القاموس وأمر ومؤثر آخر أيام العجوز كان أسلم

۹- (ان ح) الأنج ۰۰۰ المتحنج بخلاً اذا سئل

هكذا ذكرها على وزن قرح وصوابه آنج على وزن راكع كما وزنه صاحب القاموس

۱۰- (ان ف) انقه ۰ ض ۰ ل ۰ أنقا ضرب انقه اي من باب ضرب وعلم

صرغ القاموس وشرحه انه من حد ضرب ونصر .

۱۱- (ان ن) أن المريض ۰۰۰ وأنانا

هكذا والصواب أنانا بالضم كما هو منصوص عليه وهو من الاصوات كالصراخ والجوار والنعاق

۱۲- البانورنج [كسر النون] والصواب فتحها

۱۳- (ب ب ر) البئر وزان قلب وكبد الأسد الهندي دخیل

صوابه البير بياين . وهذا غلط مطبعي اما انه بوزان كبد فلم أره لغيره

وقد جاءت فيه لغة ثانية بكسر فسكون كما في الألفاظ الفارسية الممرّبة .

۱۴- (ب ت ر) ۰۰۰ والبّتار ۰۰۰ السيف القاطع

هكذا بوزن سحاب وانما هو البّتار بضم ففتح فان فتحت الباء شددت التاء

فتحت البّشار ككتّان .

۱۵- (ب ب ح ث) انبث لعب بالبعانة أي التراب

تبع في هذا صاحب القاموس وصوّبه صاحب التاج بالبحث .

١٦- [ب ذ ء] . بذأت الرجل بَذْءًا رأيت منه حالاً كرهتها (ض)

جعلها من باب خرب ونص التاج والقاموس أنه من باب منع والقاعدة فيما كان عينه أو لامه حرف حلقى ان يكون منه عند عدم النص على خلافه ولا أظن ان هناك نصاً والا لذكره صاحب التاج

١٧- [ب ذ ق] البأذق بفتح الذال

الصواب ترك الحز والذال تفتح وتكسر كما في القاموس

١٨- [ب ذ م] فلان ذو بَذْمٍ أي له رأي وحزم قال :

[كریم عروق النبتين مظفر ويفض بما منه ذو البَذْمِ يفض]

الصواب في معنى الرأي والحزم البَذْمُ بالغم قال في اللسان قال الأصمعي اذا لم يكن للرجل رأي قيل ماله بَذْمٌ . واما البَذْمُ فهو مصدر البذيم وهو العاقل الغيب من الرجال اي انه يعلم ما يأتيه عند الغيب كذا حكاه أهل اللغة وقيل يعلم ما يفض له قال الشاعر :

كریم عروق النبتين مظفر . ويفض بما منه ذو البَذْمِ يفض

وجاء في الشاهد مظفر مكان مظفر . وأنشد صاحب اللسان للمرار :

قد طال ما عشت بغير بَذْمٍ

وقسره صاحب التاج بغير مروءة وقد بَذْمٌ بذامة . ١٩٠

١٩- [ب ر د] . برّد الجراد والجندب جناحه كقولہ :

اذا تجاوب من يرّديه ترنيم

هكذا ضبط بالشكل يرّديه بفتح الباء والصواب ضمها والبيت لذي الرمة .

٢٠- [ب ر ص] . برص سام برص ج سوام برص وان شئت قلت برصة

هكذا أورد برصة باسكان الراء والصواب برصة كغنية وأورد سوام برص

بفتح الميم المشددة على نحو فتحها في المفرد وقد اوردما صاحب اللسان بضمها أكثر من مرة .

٢١- [ب ز ل] امرأة يَزْلَاءُ الرأي : جَيِّدَتُهُ

صحة العبارة ان يقول امرأة ذات يَزْلَاءُ اي جيدة الرأي لأن يَزْلَاءُ هنا اسم لا صفة وفي اللسان البزْلَاءُ الرأي الجيد وانه لذو يَزْلَاءُ اي رأي جيد وعقل وأنشد للراعي :

من أمر ذي بدوات لا تزال له يَزْلَاءُ بعيا بها الجشامة اللبد

٢٢- [ب ش ك] ابتشك سلاه : انقطع

وفي القاموس ابتشك سلمك : انقطع والأمر في ذلك سهل

٢٣- بَطَلٌ في حديثه بطالة

جعله من باب نصر كما هو سياق صاحب القاموس ولكن صاحب التاج قال والصواب انه من حد علم كما في الجمهرة .

٢٤- [ب ع د] البَعِد : البعيد المالك يستوي فيه الواحد والجمع يقال

ما أنت منا يَبْعِد وما أنتم منا يَبْعِد .

هكذا جاء يبعِد على وزن حَذِر والصواب يَبْعِد يفتح العين وهو الذي يستوي الواحد والجمع لانه جاء على صيغة المصدر وفي اللسان وغيره ما أنت منا يَبْعِد وما أنتم منا يَبْعِد أي يبعِد .

٢٥- [ب ع ر] بَعِرَ الجمل بَعْرًا القى يعره

صریح المختار والقاموس انه كنع وهو ظاهر اللسان ولم أجد من نص على انه من باب فرح . وإنما بَعِرَ الجمل بَعْرًا اذا صار بَعِيرًا .

٢٦- [ب ع ر] البَعْرُ والبَعْرُ : رجميع ذوات الخف والظلف

كان عليه ان يقول الا البقر لأن رجميعه ليس يبر وقد استثناء الأئمة .

٢٧- [ب ع ص] البَعْصُوصُ والبَعْصُوصُ

هكذا جاء به مفتوح الباء وصوابه ضمها اذا اسكنت العين .

٢٨- [ب ق ع] الأَبْقَعُ الغراب ج يَفْعَات

هكذا جاء بها بكسر الباء والصواب ضمها كما نصوا عليه وفعلان يكاد

يطرد فبا كان منه وصفًا كاحمر وجران واسود وسودات .

٢٩ [ب ق ل] ارض بقالة : كثيرة البقل

تبع صاحب القاموس بالتشديد وصوب صاحب التاج انه كسحابة

٣٠ - ب ق ي ٠٠ وبقي ض بقاء : دام وثبت

أي انه كضرب [لغة فيه] وليس كذلك وانما اللغة الثانية بقي يبق وهي لغة
طبي وقد وقع بهذا الهم الشيخ أبو عبد الله الغامي المتوفى سنة ١١١٠ هـ
ورده صاحب التاج بأنه لا قائل به .

٣١ - [ب ك ء] در عيني قل دمعها فعي بكئي وبكئة بالهمز والتشديد

التشديد لا يكون مع الهمز وانما يكون بدونه ففي عبارته تسمع .

٣٢ - [ب ل ت] البآيت : الفصيح

هكذا وزان فصيح والمعروف عند النحارير البآيت كسكيت .

٣٣ - [ب ل ل] بلال من اعلامهم .

هكذا ضبطه بالفتح والصواب بالكسر ككتاب كما هو صريح القاموس

٣٤ - [ب ه ر] بهراً له أي تعاً

هكذا ضبطه بالضم والصواب الفتح كما في لسان العرب ونصه « وبهراً له

أي تعاً وغلبه » قال ابن ميادة :

تفاقد قومي إذ يبعون مهجتي بجملة بهراً لم بعدها بهراً

وقال عمر بن أبي ربيعة :

ثم قالوا تحبها قلت بهراً عدد الرمل والحصى والتراب

هكذا كلها جاءت بالفتح .

٣٥ - [ب ه ز] هم أبناء بهزة أي أولاد غلبة

صوابه أبناء غلة يقول الزمخشري وهم أبناء بهزة أي أولاد غلة الواحد

ابن بهزة ٠ هـ وهم الأخوة لأهات شتى من أب واحد .

٣٦ - [ب ه ز] تبهزت أشياء : عملتها

صوابه علمتها من العلم لا من العمل وتقل الصاغاتي «ولو علمت ان الظلم ينمى لتبهرزت اشياء كثيرة» اي علمتها .

٣٧ - [ب و ق] البوقنة بالفتح دفعة من المطر شديدة أو منكرة يقال أصابتنا بوقنة ج بوق

هكذا ضبط البوقنة بالفتح وصوابه البوقنة بالضم وهي الدفعة من المطر كما في الصحاح زاد غيره شديدة أو منكرة ج بوق كصرد كذا جاء في التاج وعبارة صاحب اقرب الموارد هي بينها هذه العبارة فلماذا نص عليها بالفتح والمنصوص عليها هنا الضم وفي اللسان والبوق والبوق والبوقنة الدفعة المنكرة من المطر وقد انباقت .

٣٨ - [ب ي ض] يياض الأظافر: أصولها

في مستدرك التاج ويياض الكبد والقلب والظفر ما احاط بها وقد نسرهما بأصولها فحرفها أو انه اراد ان يقول ماحولها فحرفها الناصخ .

تعقيب

أنا معجب بمجهود المؤلف وسهره لتجويد تأليفه ولا أواخذه بما رأيت من أغلاط لأنه لا يسلم من أمثاله كثير من النحارير والعصمة لله تعالى .
وإنما الذي أواخذه عليه انه لا يراعي الحرمة في سرده الشاهد من القرآن والحديث وربما غير لفظ الحديث الذي يستشهد به . مثال ذلك بقول في مادة ث ق ل « ومنه اني تارك فيكم القرآن وعترتي » مع ان نص الحديث المستشهد به « اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي » ويقول في اللسان كما في النهاية جعلها ثقلين اعظاماً لقدرهما وتفخيماً لما تحذف الثقلين وغير كتاب الله . وما هو الا ناقل وليس ما استشهد به من كلامه ليكون اعترافاً منه او حجة عليه ولو كان من كلامه لم يصح له الاستشهاد به وليس هو نص الحديث ليصح الاستشهاد به وإنما الشاهد لا يغير ولا يبدل

وجاء فيه في مادة [ب ق ع] « ونادى موسى ربه في البقرة المباركة » وإنما

الآية «فلما أتاهما نودي من شاطئ الزادى الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ان ياموسى الى الله رب العالمين» .

وجاء في مادة [ا د ب] ان هذا الكتاب مأدبة الله في الأرض . ونص الحديث المشتهر به كـ في النهاية «وفي حديث ابن مسعود ان هذا القرآن مأدبة الله في الأرض» . فجاء بالكتاب مكانه ليكون أعم ولكنه غير الشاهد . وتمام الحديث فتعلموا من مأدبته .

وجاء في مادة [ب ق ي] ولا تأتي الباقية مصدراً خلافاً لمن استظهر على ذلك بهذا الكلام «فهل ترى لهم من باقية» فقوله بهذا الكلام فيه من الجفاء وقلة الحرمة ما لا يليق بأمثال المؤلف .

على أن دعواه بأنها لا تأتي مصدراً جاءت بلا دليل وفي المصباح بقي الشيء يبقى من باب تعب بقاء وباقية دام وثبت وقول صاحب القاموس انها تزلت منزلة المصدر لا يستلزم انها لا تقتضى مصدراً كما جزم به صاحبنا وورود المصدر على فاعلة كثير كالعافية والطاغية والعاقبة .

ثم رأيت قليل العناية بضبط الشواهد من الشعر .

فمن ذلك بيت التخل الهذلي :

لا درّ درّى ان اطعمت نازلکم عرف الخطى وعندي البر مكنوز
أورده الخطى بالطاء وانما هو الخطى بالثاء وهو المقل أو ضويقه . وقرنه نشره والمقل : صمغ الشجر .

وفي مادة [ب ر ع] :

فكبا كما يكبو فنيق تارزُ بآلتب الا انه هو أبرع

والبيت أورده صاحب اللسان وصاحب التاج بالجنب أي بالجيّم والنون بمدّها باء وفسره صاحب التاج اي سقط الثور . وسقوطة يقضي بأن يكون لجنبه

وفي مادة [ب س ر]

فصبجها والشمس حمراءُ بـسرةُ بسابقة الأنعام موت ممّلس

ولم أعتد للمراد بسابقة الأتقاء . وإنما البيت كما أورد صاحب اللسان
بسابقة الأتقاء أي الأرض بين الرمل والجلد والبيت للبعث .
وفي مادة [اوب]

قد جال بين دريسيه مؤوَّبةٌ مُسَعٌ لها في عظام الأرض تهزير
فتح مؤوَّبة على صيغة المفعول وإنما هي على صيغة الفاعل وضم ميم مُسَع
وهي ريح الشمال وهي مكسورة .
وقد أورد صاحب اللسان هذا الشاهد في مادة [اوب] ومادة [هز ز]
بما نصه :

قد حال بين دريسيه مؤوَّبةٌ مُسَعٌ لها في عظام الأرض تهزير

النبطية « جبل عاملة » احمد رضا

المقصورة^(١) الناجية

تقوم مصلحة الآثار السورية منذ ثلاث سنين بأعمار قسم من الجدار الشمالي في الزاوية الشرقية في الجامع الأموي . وهذا الجدار يبنائه الحالي عمر في سنة (٥٠٣) كما تشير الى ذلك عدة كتابات منقوشة عليه . والظاهر انه تأثر بحريق سنة (٤٦١) فنقض وجدد بناؤه بعد اثنتين واربعين سنة من تاريخ الحريق او ثمان وعشرين عاماً من تاريخ تجديد بناء الجامع ولا يبعد ان يكون العمل استمر في الجامع الى سنة (٥٠٣) .

على ان هذا الجدار تأثر بعدة زلازل كانت بعد هذا التاريخ أعظمها زلزال سنة (١١٧٣) الذي أحدث تجريبات عظيمة في دمشق والجامع الأموي . منها هذا الجدار الذي وقع قسم منه على أرض المسجد ودار بني الفزي في الجهة التي يجري فيها الاصلاحات الآن وأمال هذا الجدار نحو الشمال (٦٥ سم) وهذه الزاوية الشرقية الشمالية التي يجري فيها الاصلاح الآن كان لها ماض مجيد من الجهة الثقافية فكان فيها خزانة كتب وحلقة علم تمثل فيها الحركة العلمية في دمشق بالعهد الأيوبي أحسن تمثيل وفي التي عرفت في كتب التاريخ « بالمقصورة الناجية » .

مساحة هذه المقصورة : تبلغ مساحتها من الشرق الى الغرب خمسة أمتار و (٣٠ سم) ومن الشمال الى الجنوب مثل ذلك وشرقيها وشماليها جدارا الجامع . وفي الجدار الشرقي باب يدخل منه الى دار لطيفة فيها بعض حجرات كانت تابعة لهذه المقصورة يسكنها في عصرنا مؤذنو الجامع أما الغرب والجنوب فمفتوحان

(١) المقصورة في المسجد قسم منه يحاط بسياج من خشب مزخرف أو نحوه لا يدخلها إلا المختصون بها . ويحدثنا ابن جبير في رحلته حينما زار الجامع الأموي عن عدة مقاصير كانت فيه وانما تتخذها الطلبة للنسخ والدرس والافتراء عن ازدحام الناس وهي من جملة سرايق الطلبة .

الى اروقة الجامع غير انه كان ها حواجز خشبية بصناعة مزخرفة لطيفة يوجد نموذج منها على مقربة من المقصورة في مسجد الحسين موضوعة على نوافذ كبيرة بين المشهد الخارجي والمشهد الداخلي . وقد اظهرت الحفريات الجديدة الاساس الذي كان يقوم عليه الحاجز الغربي للمقصورة التاجية .

انساؤها : لا نعرف كيف نشأت هذه المقصورة وفي أي زمن انشئت ولكن التميمي في تنبيه الطالب ^(١) يفيد بأنها كانت تعرف بابن سنان ثم بالتاجية ثم بالسلارية فمن هو ابن سنان هذا وفي أي عصر كان ؟

يقابل هذه المقصورة من جهة الغرب مقصورة شافعية تعرف بالزاوية النزالية ^(٢) لأن الغزالي الشهير نزلها ودرس فيها بعد الشيخ نصر المدمي المتوفى سنة (٤٩٠) ووقف عليها صلاح الدين الأيوبي قري بصيدا ^(٣) .

فالظاهر ان المقصورة التاجية وهي حنية انشئت في الجانب الشرقي لتناظر الزاوية النزالية الشافعية في الغرب فكانت التاجية معقلاً علمياً للتكامل الحنفي بدعمها ملك دمشق (المعظم عيسى) ذو الحماسة الشديدة لمذهبه الحنفي ^(٤)

فتاج الدين الكندي استاذ الملك ، والمؤرخ الشهير بسبط ابن الجوزي الحنفي — صديق الملك — وكان من أعظم وعاظ عصره . يعظ الناس قبلي هذه المقصورة بكرة النهار كل يوم سبت فكان الناس يبيتون ليلة السبت بالجامع وينركون

(١) نسخة خطية في المجمع العلمي بدمشق [١ : ٧٠٤] منها . وتزيد الكتابات المنقوشة على الأحجار في هذه المقصورة هذا النص . وفي البداية والنهاية [١٣ : ٧٢] ما يفيد بأنها تسمى مقصورة ابن سنان الخلية ، كما تدعى الخلية فقط ، ويسمى ابن فضل الله العمري في . ص ١٠٤ [١ : ١٩٦ و ١٩٧] بالخلية . (٢) كانت هذه المقصورة على هيئة قبة من خشب مطلي يدهان أخضر سكنها في الأزمنة المتأخرة هجرة الأفغان ثم أخرجوا منها سنة [١٣٣٤ هـ] قريباً ودفنت هذه القبة وأتلفت حتى لا يعود إليها أحد . (٣) طبقات السبكي [١ : ١٠٤] وتنبه الطالب (٤) لمروقة شدة حماسه للمذهب الحنفي يراجع ابن خلكان [١ : ٥٠١] النجوم الزاهرة [٦ : ٢١١] السهم المصيب في كبد الخطيب وهو من مؤلفاته للاهتمام لابي حنيفة . .

البساتين في الصيف حتى يسموا ميعاده وكان تاج الدين الكندي وغيره من المشايخ يحضرون عنده تحت قبة يزيد^(١) التي عند باب الشهيد كما كان الملك المعظم يحضر دروسه في بعض الأحيان . ومحمد بن عمرو الموصلی - وهو من خواص الملك المعظم - أنشأ على مقربة من التاجية مقصورة أخرى اشتهرت بالمروية وقف فيها درس حديث وخزائن كتب .

فهذه أمور كلها تشير إلى التكتل الحنفي الذي كان يغذيه الملك المعظم ويخيه . وكان هذه المقصورة قيمة عظيمة في نظر الناس فحينما قدم قاضي القضاة صدر الدين الحنفي البصري إلى دمشق من القاهرة وخرج الناس لتلقيه وهنؤه قرئ تقليده بالمقصورة الكندية في الزاوية الشرقية من جامع بني أمية^(٢) وأقدم وثيقة لدينا عنها هي الكتابة المنقوشة على الجدار الشمالي لجهة الغرب منها المتضمنة أوقافاً على هذه المقصورة من قبل ناصح الدين الفيدى ويرجع تاريخها إلى سنة (٥٨٩) . وناصر الدين هذا لا نعرف عنه أكثر مما جاء في الروضتين^(٣) فقد ذكر مؤلفها في حوادث سنة (٥٨٣) أن صلاح الدين جمع الأسارى المعروفين وسلمهم إلى والي قلعة دمشق الناصح الفيدى . وهناك وثيقة ثانية عنها هي اجازة تاج الدين الكندي المؤرخة سنة (٥٩٨) وهي تفيد قائمة عظيمة بأسماء ستة وثمانين شخصاً من العلماء والأدباء والأمراء والأعيان وغيرهم الذين سمعوا على تاج الدين المذكور المجلدة الرابعة من شرح معاني الآثار للطحاوي في المقصورة المذكورة بالتاريخ المتقدم وتاج الدين هذا عرف هذه المقصورة فترجم لها التميمي في تبيينه الطالب باسم الزاوية التاجية .

(١) البداية والنهاية [١٩٦ : ١٣] وقبة يزيد هذه كانت تعرف قبل عصر ابن كثير بقبة

زين العابدين ، وتعرف في عصرنا بقبة الساعات . وكانت قائمة على أعمدة كعبة المال القرية من الزاوية الغربية ولكنها سقطت في زلزال سنة [١١٧٣] فأعيد بناؤها على جذران . وهذا القبة هي المناقلة لباب مشهد الحسين المعروف في كتب التاريخ بمشهد هلي .

(٢) البداية والنهاية ١٢ : ٢٢ . . . (٣) ٧٩ : ٢

مكتبة هذه المتصورة : كانت المكتبة ولا تزال جزءاً من أجزاء المدرسة لذلك كان من اللازم ان يكون لهذه المتصورة مكتبة يلجأ اليها الدارسون للمطالعة والدراسة . وقد أشار لهذه المكتبة عدد من المؤرخين ويحدثنا ابوشامة انه وجد فيرس هذه المكتبة بخط واقفها تاج الدين الكندي وان عدتها (٧٦١) مجلداً وهذا تفصيلاً^(١) :

(١٤٠) علوم القرآن و (١٩) الحديث و (٣٩) الفقه و (١٤٣) اللغة و (١٢٢) الشعر و (١٧٥) النحو والنصريف و (١٢٣) علوم الأوائل من طب وغيره ويجب ان لا ننفل عن نص ابن خلكان الذي يقول فيه عن الكندي انه لما سافر الى مصر اقتنى من كتب خزائنها كل تقيس وما قاله ابن القفطي انه اقتنى من كتب خزائن الديار المصرية عند ما بيعت في الأيام الناصرية كل تقيس على قلة ما ابتاعه . ومن الواضح ان ابن القفطي يريد بهذه الخزائن خزائن الفاطميين وان المراد بالأيام الناصرية أيام صلاح الدين . ومن هذا تعلم قيمة هذه المكتبة القيمة رغم قلة عددها على ان ياقوت الرومي — وهو الخبير بالكتب وقيمها — يعظم من شأن هذه المكتبة فيقول عن تاج الدين الكندي : وكانت له خزانة كتب جليلة في جامع بني أمية^(٢) .

ويقول أبو شامة : وكان معتقه نجيب الدين ياقوت قد حباً لها خزانة كبيرة بمقصورة ابن سنان الحنفية المجاورة لمشهد زين العابدين بجامع دمشق وتقل اليها جملة من هذه الكتب ثم انها تفرقت وخرجت عن الخزانة وعدمت وبيع جملة منها سرّاً وجهرّاً^(٣) .

ويترجم ابن كثير^(٤) مولى تاج الدين الكندي فيقول : ياقوت ، ويقال له يعقوب بن عبد الله نجيب الدين مولى الشيخ تاج الدين الكندي وقد وقف اليه الكتب التي بالخزانة بالزاوية الشرقية الشمالية من جامع دمشق وكانت سبعمائة واحدى وستين مجلداً ، ثم على ولده من بعده ثم على العلماء فتمحقت هذه الكتب

(١) ذيل الروضتين (٢) معجم الأدباء ١١٥ : ١٧٥ (٣) ذيل الروضتين (٤) البداية والنهاية ١٣ : ١١٦

ويعب أكثرها وقد كنت ياقوت هذا لديه فضيلة وأدب وشعر جيد وكانت وفاته ببغداد في مستهل رجب سنة (٦٢٣) .

ورغمًا عن مبالغة أبي شامة وابن كثير في تزييق هذه المكتبة فاننا نجد ابن فضل الله العمري المتوفى سنة (٧٤٩) يشير الى ان مكتبة المقصورة كانت موجودة في عصره^(١) على انه أشيأ الى جانب هذه المقصورة مكتبة ومقصورة علم كانت كالدعامة لها فقد أنشأ محمد بن عمرو المتوفى سنة (٦٢٠) في مشهد الحسين الملاصق لهذه المقصورة خزانة كتب ودرس حديث^(٢) ويحدثنا ابن أبي أصيبعة^(٣) بأن أبا الفضل بن عبد الكريم المهندس اختصر الأغاني لأبي الفرج الاصبهاني وكتب نسخة منه بعشر مجلدات ووقفها في الجامع الأموي مضافة الى الكتب الموقوفة في مقصورة ابن عمرو .

كتابات المقصورة القديمة : في هذه المقصورة خمس كتابات بخط نسخي عادي منقوشة على أحجار في الجدران داخلها تعطينا فكراً عن نواح قيمة فيها . وقد تناثر كثير من حروف الكتابة فلم تظهر معالمها . ومن الغريب ان بعض الناس أخذ في قراءة هذه الكتابات فظهر له منها انها اسماء عقارات موقوفة على المومسات

الكتبة الأولى : على الجدار الشمالي في المقصورة (٦٣ x ٧٣) ونصها :

(١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الأمير (٢) ناصح الدين الغيدي بن محمود تقبل الله (٣) منه الربع من قرية دربل من الاقليم^(٤) (٤) وعمارة الفندق الذي أنشأه خارج باب (٥) شرقي على القراء الأخيار الحفاظ الحنفية (٦) يقرأ كل واحد سبعا من القرآن بكرة كل (٧) يوم في هذه المقصورة وبلقن الصبيان المتعلمين (٨) لكتاب الله بها على ما ذكر في كتاب الوقف (٩) المقر لها وذلك في سنة تسع وثمانين [ن] وخم [سبائة] .

(١) ممالك الألبان ١ : ١٩٦ (٢) تنبيه الطالب مخطوط البداية والنهاية ١٣ : ١٠١

(٣) عبود الأنبا ٣ : ١٩١ (٤) الاقليم هو ما يسمى في عصرنا بقتنا . وادي البجم

الكتابة الثانية : في الحائط الشرقي على يمين الداخل الى الدار المعروفة قديماً بالحلية (٧٩ x ٥٥) ونصها : — (١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الفقير الى رحمة الله تعالى (٢) الحاج الياس بن بشار بن أبي الحسن^(١) جميع البستان المحذور (٣) د الموصوف بقربة كفر صوسية ونصف وثمن الحقول (٤) التي تحت المنية [مع]^(٢) على المقصورة الشرقية الحنفية المدروفة (٥) بمقصورة بن سنان وقفا على اخبز والكسوة بما يراه لنا [ظر] (٦) الى كتاب الوقفية وذلك في جماد الأول سنة احدى وستائة للهجرة .

الكتابة الثالثة : على مقربة من الكتابة الأولى أسفل منها قليلاً (٩٠ x ٨٠) ونصها : — (١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الفقير الى رحمة الله تعالى (٢) السلار اسماعيل بن سليمان بن ايداش^(٣) عن الحاج الياس بن بشار (٣) ابن ابي الحسن جميع ما ابتاعه بثلاث ماله الذي أوصى به في ذلك وهو (٤) بدمشق وظاهر [ها] منه دار بدرب المحرزين من ناحية درب (٥) الريحان^(٤) ومنه أربعة اسهم وثلاث وربع سهم من أربعة وعشرين سهماً (٦) من كل واحد من الثلاث الحوانيت بسوق الأ[ساكفة] العتيق ومنه اثنتان [ن] من الفندق (٧) والعشر حوانيت و [منه] . . . بالمقيبة تعرف . . . [و] منه ثلث الك (٨) المعروفة بالطيرة [خارج الـ] ور على الفقراء والمساكين (٩) (١٠) خمس عشرة وستائة .

الكتابة الرابعة : خلف الدمامة التي ترتبط بها أقواس الرواق الشمالي مع الرواق الشرقي وتجميل المقصورة مربعة الشكل (٦٦ x ٨٣) ونصها : — (١)

(١) هو أحد أصدقاء التاج الكندي وتلاميذه وسيأتي ذكره فيمن سمع عليه شرح معاني الآثار (٢) المنيع مجاًها قديماً مكان حارة الحلبيوني اليوم (٣) اسماعيل بن سليمان بن ايداش ابو طاهر الحنفي ابن السلار حدث عن الصائغ هبة الله وعبد الحائق بن أسد وتوفي في ذي القعدة سنة [٦٣٠] شذرات ٥ : ١٣٥ (٤) درب الريحان هو الدرب الذي شرقي البزورية قيل خان اسعد باشا العظم وعلى صفه ويعرف اليوم بسوق التبن وفيه دار القرآن والحديث التنكزية المعروفة في عصرنا بالمدرسة الكاملية نسبة الى الشيخ كامل التتباب .

[بسم الله الرحمن الرحيم وما قة] علوا من خير يوف اليكم وانتم (٢) [لا تظنون] هذا . . .
 بسر العبد الفقير الى غفران (٣) [ريد الا] مام العلاء [ة] حجة العرب تاج الدين
 الكندي ابو الحين زيد (٤) [ابن] حسن الكندي تقبل الله منه وأثابه الجنة
 اوقف (٥) بس تسعة اسهم من اربعة وعشرين سهماً من (٦)
 [ف]ندق والحمام والعشرة حوانيت المعروفة (٧) [ف]ندق الحوانيت
 انشاء ابن اسرائيل تصرف (٨) في [ر]جب وشعبان ورمضان في ليالي الجمع
 (٩) نسوة وغيره ودار جامعة في درب العجم^(١٠)
 مع مقرئين يقرؤن في كل ليلة بعد صلاة (١١)
 صف سبع من القرآن اله [ظليم] فمن بدله (١٢) [بعد] ما سمعه فانما اثمه على
 الذين [يبدل]ونه (١٣) وعلى القراء حجرة طباق الزقاق^(١٤) (١٤) من
 ربيع الآخر سنة تسع وثلثين وستائة^(١٥) .

الكتابة الخامسة : على الجدار الشمالي غربي المقصورة الى جانب الكتابة
 الاولى (٧٥ x ٧٣) ونصها : - (١) بسم الله الرحمن الرحيم وقف الأمير
 الدين (٢) بن الأمير عمر الدين ياقوت ال
 العبدى (٣) رحمه الله جميع السهام الأربعة التي هي السدس شائعاً من
 (٤) من ضياء (٥) (٦) سبع وخمسة [ين] وستائة .

وبعد فلا نعلم الزمن الذي اضمحل فيه أمر هذه المقصورة والظاهر من كلام
 عبد الباسط العلموي المتوفى سنة (٩٨١) أنها كانت معروفة في عصره . وحينما
 حصل زلزال سنة (١١٧٣) وحصل الخراب في هذه البقعة لم نجد أحداً يشير
 اليها بما يدل على أنها كانت غير معروفة في هذا التاريخ - محمد احمد وهمان

(١) ابن أبوشامة في ذيل الروضتين مكان درب السجم بأنه في جيرون وجيرون هي شرقي
 باب الجامع الأموي الشرقي وتعرف اليوم بالنوفرة . (٢) هذا السطر ا بدهم ألحق إلحاقاً بخط دقيق
 (٣) توفي تاج الدين الكندي سنة [٦١٣] فتكون هذه الكتابة قد كتبت بعد وفاته بـ [٢٦] سنة .

الملك الظاهر بيبرس

لا ينتهي هذا العام أيها السادة حتى يكون المجمع العلمي قد انتهى من إصدار عشرين مجلداً من مجلته : تنجرت بنايمنا بالأبحاث المختلفة في اللغة وآدابها وما له اتصال بها .

وقد أخذ المجمع يفكر في تنظيم فهرست عام لهذه المجلدات العشرين . بدني ليد المراجع بعيداً ويسهل عليه الرجوع الى ماخي فيها .

وقد أحيت انت أنظم لنفسي فهرستاً يشتمل على بعض ما في هذه المجلدات العشرين من الأبحاث الخاصة : فأحيت المقالات التي بحثت في الأوضاع اللغوية فوجدتها تبلغ ٣٠ مقالة ونيقاً . ثم أحيت ما فيها من تراجم الأعيان ومشاهير الرجال فكانت نحو ثمانين ترجمة منها (١٥) للمنشرفين وهناك ترجمة لبوذه معبود الصين . واخرى لطاغور شاعر الهند . وثالثة لأحمد باشا الجزائر الوالي التركي المشهور بالظلم في تاريخنا الحديث .

هذا ما وجدته في العشرين مجلداً من تراجم الرجال . أما محاضرات المجمع التي أُلقيت في هذه الرعدة فربما بلغ عددها في الخمس والعشرين سنة ٢٥ محاضرة . منها محاضرات خاصة بذكر مناقب رجال التاريخ حتى احمد باشا الجزائر نفسه فان له محاضرة مستقلة وُصف فيها بسوء السيرة لكنها أحييت ذكره على كل حال . لا أكاد أصل في إحصائي هذا الى ذكر (الجزائر) حتى أسمع صوتاً من ورائي وعلى بعد عشرين متراً من موقعي هذا .

في هذا الصوت عجيبة وارتفاع لكنه وعليه مسحة من جلال الموت ووحشة القبور بقول : ألتقم راحتي . في حداة رقدتي . نحواً من خمس وعشرين سنة . وأنا اسمعكم من فوق منبركم هذا تخطبون وتحاضرون . وأحياناً الى الغث من القول تستطردون . ولم أسمعكم قط ذكرت اسمي في كل ما نشرتموه في مجلتكم أو نوهتم بشيء من أعمالي في محاضراتكم .

أبكون لبوذه الصبئي وطاغور الحندي والجزار التركي نصيب من اهتمامكم في محبتكم ومحاضراتكم ولا يكون بخاركم بيبرس البندقداري شيء من ذلك حتى كأن ما ثري ذهب آباء . أو أنني ربذة ملتذة في الفناء لو لم يكن لي من جليل الأعمال إلا أني أكملت ما بدأه نور الدين وصلاح الدين ومهدت الطريق لرابنا (فلأوون) وبذلك تم جلاء عذوبكم عن بلادكم - لكفاني نفراً وعجباً . ولسوَّغ لي أن أوسعكم لوماً وعجباً . أين أنتم من مراعاة جوارى . وحسن مجازاتكم لي على حلول داري .

هذا ما تخيلت أني اسمعه - أيها السادة - من جارنا الملك الظاهر بيبرس البندقداري الصالح رحمة الله . وقد نجلت يعلم الله منه . وأمرعت الى تدارك ما قرط منا معشر الجمعيين فخصته بهذه المحاضرة التي لا حسن فيها سوى براءة ذمتنا وأداء الحق الذي علينا لجارنا .

حقاً أيها السادة إن في إغفالننا ذكر هذا الملك المنقذ بين من نوهنا باسمهم في جمعنا شيئاً من نكران الجليل . وغمط الحق . أو هو ذنب لا يقفره الا موقفي هذا . وحسن إصفايتكم إلى ما أسرده على مسامعكم من ما أثر الرجل ووصف ما أوتي من جلد وشجاعة وحسن تدبير ولطف سياسة حتى أمكنه جمع كلمة البلاد وزعزعة أركان المتغلب عليها وجعله على أوفاز للجلاء عنها .

وقبل الشروع في المحاضرة نقول لجارنا الملك : سمعنا عنيك علينا وصنعنا على إعتابك ما وسعته طاقتنا غير أن امر نشأتك في بلادك حتى حالت بين أظهرنا مما غاب عنا خبره . واختلف الرواة فيه . فهل لك أن تسمعنا الحديث عنه من فمك ثم نصله بالمدون المنقول إلينا من خبرك وما كان من محاولتك الملك حتى نلت منه امنيتك . وقضيت نيهتك .

* * *

قال نعم : منبتي صحراء الدشت من قوم رُحَّل يسعون قيجاق أو قفجاق وتنسب الصحراء اليهم فيقال دشت قفجاق . وبلاد دي واقعة وراء جبال القفقاس وهي

تتد بين البحرين : بحر الخزر من الشرق والبحر الأسود من الغرب (وفي اليوم
تؤلف جزءاً كبيراً من روسية اوروبا) ومعظم سكانها مسلمون . ومن مدنها كاسان
واوفا وسراي (ولعلها التي تسمى اليوم استرخان) ومن أنهارها نهر (اتل)
(الذي يسمى اليوم نهر الثولكا) ومن شعوبها القرغيز والبرغال أو البلغار (وهم
البلغار الأقدمون) وكنا من أصل تترى . وقد ولدت من أبوين قفجاقيين
سنة ٦٢٥ هـ فسماني (يبرس) أي الفهد . واتفق ان أغار علينا اخواننا التتر من
أحفاد جنكيز خان وذلك سنة ٦٣٩ هـ فالتجأنا الى اخواننا بلغار بلاد الروسية بعد
الاستئذان من ملكهم (أنس خان) فسمح لنا بدخول بلاده ثم غدر بنا وسبي
من يصلح للسي منا . وكنت أنا من جملة السبي . وعمرى يومئذ ١٤ سنة . ولا
يشوقني من لذائذ صبوتي في بلادى سوى ركوب الخيل وحق طرائد الوحش
عليها وسوى أفى كنت مولعاً بشراب القمير حتى وكان هذا الشراب سبب موتى
في بلادكم (والقمير أيها السادة شراب يتخذ من حليب إناث الخيل ^(١))

قال يبرس : ولا تخطر بلادى في بالى حتى اتخيل التترى من قومي راكعاً
بين ساقى فرسه ممسكاً بأخلافها منهمكاً في احتلابها حتى اذا تجمع هذا الحليب
لدى الأسرة باعوا بعضه وشربوا بعضه وعزلوا شيئاً منه لاختاذ القمير . وكأني
أنظر الى عمي وهو متدثر بفروته الثقيلة من بلاد الغنم يتقي بها البرد . وعلى رأسه
ركمة كثيفة مبطننة بالفرو وقد أخذ بين يديه زُبديّة كبيرة فوضعها على فمه .

(١) لا يحق أن نقها . الاسلام كرهوا أكل لحوم الخيل وشراب ألبانها خبثه اقراضها
وهي آلة الجهاد . أما قها ما وراء النهر المنتشر مذهبهم بين أهل سيبريا ومنهم القنجاقي
قد كرهوا لحوم الخيل للعدة للجهاد أما تلك التي تعيش سائمة وترعى قطعاناً كما ترعى البقر والتم
فلا كراهة في أكل لحومها ولا شرب ألبانها . ويقول الحبيرون أن قبائل سيبريا ما زالوا الى أيامنا
هذه يربون من الخيل قطعاناً ينتفعون بلحومها وألبانها وتاجها على نحو ما تفعل بمواشيها . كما أنهم
يتخذون من ألبانها شراب القمير المعروف قديماً . (والقير) بكسر القاف والميم وتشديد الراء
كما ضبطه مؤرخو الاسلام . أما الانكليز فيلفظونه هكذا (قوميس Kaumiss) وللقوميس
في سيبريا اليوم مامل يحضر فيها بتقارير كبيرة ويصدر الى الخارج في زجاجات مندمة كما يفعل
الأوربيون في تصدير أشربتهم ومحمولاتهم (القونسروا) الى بلادنا .

وجعل بكرع وبكرع من شراب القمح وأكون في ناحية انتظر فراغه لأشرب ما فضل عنه من ذلك الشراب اللذيذ .

ثم قال (بيبرس) متماً حديثه وساقنا النخاسون الذين اشترونا من بلاد (انس خان) الى سيواس ومنها الى حلب فدمشق . فاشتراني العباد الصائغ لكنه أخيراً زهد في ليياض رأه في احدي عيني واحتاج المنصور ملك حماة الى ممالك فنقلني النخاس الى حماة .

وكان الملك المنصور هذا يومئذ صبياً وكان اذا اراد شراء رفيق عرضه أولاً على الخاتون الكبرى والدته فأحضروني اليها ومعني رفيق لي فجعلت تنظر اليها من وراء ستار . فأمرت بشراء رفيقي وقالت تخاطب ابنها المنصور مشيرة إليّ (هذا الأسير لا يكون بينك وبينه معاملة فإن في عينيه شراً لا تحب) قال وقد أثار كتمانها في نفسي حواجس لا ذعة مازالت تنمو وتتطور وتسوقني الى طلاب الملك حتى نكته .

قال واتفق أن كان في حماة يومئذ الأمير أيدبكين البندقداري مسجوناً بأمر سيده الملك الصالح أيوب (حنيد من نحن في مدرسته أعني الملك العادل) فبلغه خبري فاشتراني ثم أفرج سيده الملك الصالح عنه فخرجت مع أيدبكين من حماة الى مصر وغضب الصالح عليه ثانية فصادره . وكنت أنا في جملة أموال المصادرة وأصبحت من يومئذ (الصالح) أي المنسوب الى الملك الصالح بعد ان كنت (البندقداري) أي المنسوب الى الأمير أيدبكين البندقداري وكان عمري يومئذ تسع عشرة سنة .

أقول فيكون بيبرس قضى خمس سنوات وهو ينتقل من بلد الى بلد ومن يد سيد الى يد سيد حتى استقر أخيراً في حوزة الملك الصالح أيوب . فكان نعم المستقر : إذ قد عرف له الملك نجابته وأدرك ان الشر اللائح في عينيه الذي تشامت به الخاتون انما هو خير : إذ لا يستقر ملك في ذلك الزمن إلا به . ولا تعتدل تناء حكم إلا إذا قومت بثقافته : غدر ملك بلغار بيبرس وبقومه . وتنقله أسيراً رقيقاً في البلاد . وقول الخاتون ان في عينيه شراً لا تحب .

ودخوله في جملة الأموال المصادرة التي قد يكون بينها دوابٌ ومتاع — كل ذلك قد لا يوري نار الحماسة في نفس غير نفس يبرس أما في نفس (الفهد) كما سماه أبوه تلك النفسُ الثائرة الوثابة فإن كل ما ذكرناه قدح فيها زنداً وارياً وأثر فيها تأثير الانتباه واليقظة للوسط الاجتماعي والسياسي الذي كان يعيش فيه : فجعله يعتقد أن حياته لا تستقيم وعيشه لا يطيب . وبقيته لا تنال ما لم يتسلح بأسلحة ذلك العهد : القوة والبطش والدهاء والمكر والانتقام أحياناً .

عاش بين مماليك سيده الملك الصالح وكنهم أتراك شجعان فرأهم انما يتحدثون عن الملك وأدواته . والعرش وشبهواته . وأخبار الملوك من أبناء جنسهم والطرق التي سلكوها . والأساليب التي اتخذوها حتى بلغوا أهدافهم وكان من اسماءهم العروش . كان في يبرس نجابة وشجاعة وكان فيه فطنة وذكاء . وصلابة عود واستعداد لاستعمال أساليب تلك العهود . من حيث يؤدي ذلك الى الملك .

وكان بين هؤلاء المماليك الكثيري العدد اثنا عشر ملكاً منهم الرق فلم يكن يعرف اسم أبائهم . ومنهم يبرس جارنا وكان المؤرخون اذا نسبوا هؤلاء الملوك الأرقاء قالوا (فلان ابن عبد الله) إشارة الى جهالة أصله وكان يبرس من أبناء عبد الله هؤلاء وقد نظم بعض الشعراء اسماءهم بحسب ترتيب تملكهم في بيتين من توقيع المواليا فقال :

(ابيك) (قُطُز) يعقبو (يبرس) يا ذا الدين .

بعدو (فلاوون) بعدو (كَتَبْنَا) (لاجين)

(يبرس) (برقوق) بعدو (شيخ) ذو التبيين

(طَطَّر) (يَرَسْبَاي) (جَقَمَق) صاحب التمكين

ولما جاء يبرس الى بلادنا (او تقول بحسب التعبير الحديث الى الشرق الأدنى) كان السلطان فيها موزعاً بين أولاد صلاح الدين وأخيه العادل : أولاد العادل في مصر ومنهم الصالح أيوب سيد يبرس وأولاد صلاح الدين في الشام وكان معظم الساحل وبعض الداخل يد الصليبيين .

وهناك خلافة ببغداد مهددة بالسقوط في يد التار . فالبلاد كانت واحة بين شرين أو عدوين خارين (التار) و (الصليبيين) . وبليهم من جهة آسيا الصغرى التي في مستطرق الصليبيين آرامنة وروم مسلمون وهم السلاجقة في كيليكيا . وروم مسيحيون وهم البيزنطيون في القسطنطينية . ومن سوء طالع البلاد بأقطارها الثلاثة مصر والشام والعراق أن كان ملوكها المسلمون منشاكسين متدابرين يتربص بعضهم لبعض الدوائر وسنوح الفرص للبطش ، والنزوان على العرش . ولم يبق بعد صلاح الدين وأخيه العادل من يجمع كليتهم . ويقف بينهم في وجه عدوهم على شاكلة مافعل صلاح الدين . وقد تنبه الى هذا كله (يبرس) فكان نعم المدرس تلقاه عن سيده الملك الصالح حفيد الملك العادل . وقد وثق به سيده فجعله قائد فرقة مماليكه . وشهد معه وقعة دياط الشهيرة التي أسرف فيها ملك فرنسا (لويس التاسع) أو القديس لويس وهو المعروف عند العرب باسم الفرنسيس . وصحب يبرس بعد موت سيده الصالح ابنه الملك المعظم (توران شاه) وكان المعظم هذا شاباً أخرق سيء اشتد ابير . فتآمر ممالك آيه على قتله وكان أول من علاه بالسيف منهم جارتا وبطل محاضرتنا (الظاهر يبرس) . وبعد المعظم قامت بأمر الملك شجرة الدر زوجة الملك الصالح . فأنف الممالك سلطانها عليهم فولوا أحدهم وهو المعز آيبك (سنة ٦٤٨ هـ) وعمر يبرس يومئذ ٢٣ سنة شتدا تشاءب الفهد وتمطى وثيباً للثوب واستيقظت في نفسه شهوة الملك النائمة وطمع فيه بعد ان رأى انتقاله من أسياده بني أيوب الى رفاقه وخشداشيت الممالك . في نفس يبرس ميل للفتك كما قلنا . وفي عينيه آثار للشر كما قالت الخاتون غير ان وراء ذلك كله عملاً بفتاؤه وخدمة يتناها وقد رأى أن هذه الخدمة لا يوفىها حقها إلا هو فمذ تولى الملك رفيقه (المعز آيبك) ترأس هو حزب المعارضة المنطرفة . ووضع مخططها أمام عينيه واخذ في دس الدسائس . ونصب المكابد . تارة في مصر وطوراً في الشام . وكان يجهز عسكرياً ويصمد به الى مصر فيبزم يبرس ؛ يقتل من معه من الأمراء ويرجع الى الشام فيجهز عسكرياً ثانياً . أو ديسة ثانية . ولماذا كل هذا ؟ أهو لطعمه في الملك ؟ وفي ما يحتف

به من العظمة وأبهة السلطان يا ترى ؟ أو لطمعه في أن ينال شرف خدمة الاسلام وإتقاذ البلاد من يراثن الخاريين التار والصليبيين ؟ الله يعلم . ولكن من تأمل في أعماله بعد ان تولى الملك رأى في تضاعفها وفي النسيج الذي سلكه لإتقاذ البلاد ما يشعر بأنه كان مختصاً . في ما كان يرتكبه من الشر على حد تعبير الخاتون الأيوبية . واثقاً بأن الله سيعتقر له خطايا على حد تعبير الآية الكريمة (إن الحسنات يذهبن السيئات) . وعلى حد ما رواه احمد بن طولون أمير مصر وهو قوله (حدثني فلان عن فلان عن وهب بن منبه انه قال (اوحى الله الى نبي من أنبياء بني اسرائيل : 'مر: عامة أمك ان لا تأسى بالملوك في ارتكاب الكبائر فان للملوك كبائر من الأفعال الجميلة لا يصل اليها غيرهم تمحص بها آثامهم ويحسن بها صدرهم) ا هـ (راجع ص ٣٣٤) من سيرة ابن طولون اقول ولا يسلم هذا الحديث من نقد وتجريح بل هو من قول ابن منبه وهو غير ثقة .

لم يكد الملك المعز اييك يستقر على العرش بعد شجرة الدر حتى رفع يبرس صوته قائلاً : نريد ملكاً من سلالة اسيادنا بني ايوب ولا نريد ان يملك علينا رجل من غيرهم . وأدى الأمر أخيراً الى قتل (المعز) فخلفه على العرش ابنه (المنصور) فوقف جاورنا يبرس من الابن موقفه من الأب موقف معارضة ودس وتأليب ثم خلعوا (المنصور) بحجة رصفه فتولى بعده المظفر قطز وهو مملوك المعز اييك المقتول وكان ذلك سنة ٦٥٧ هـ وعمر يبرس ٣٢ سنة فعمم الخطب على يبرس وجعل يتنزي تنزي النهدي في القفص وزاد حقه . واشتد كيده وأوشك ان يلتهم شوقاً الى الملك أو شوقاً الى الوقت الذي يمكنه فيه إتقاذ البلاد من الخطر المحدق بها . ولا سيما بعد أن بلغه خبر استيلاء (هولاكو) على بغداد وقتله الخليفة (المستعصم) .

وكان يبرس في زمن (قطز) مقبلاً في دمشق لاجئاً الى ملكها (يوسف صلاح الدين) الثاني وهو من أحفاد صلاح الدين الكبير ثم رأى يبرس ان مكته في دمشق لا يجديه نفعا . ولا يمكنه من (قطز) وإسقاطه ما لم يكن

مقيماً بجانبه يطالع الأمور عن كثب . فأرسل بيبرس إلى قطز بلايته ويُعاتبه في بعض الشيء ثم استخلفه أن لا يخونه إذا جاءه فخلف له قطز . فجاء بيبرس إلى مصر وانضم إلى عماليكها الذين يعملون في خدمة (قطز) ثم شهد معه وقعة (عين جالوت) على مقربة من نابلس وهي الوقعة التي دحر قطز فيها التتار . واستأصل شأفتهم من بلاد الشام . وكان انتصاره هذا عليهم كأنه انتصار على بيبرس وخذلانه له في ما يؤمل ويريد . لكنه مع هذا تشدد ونشط إلى تدبير مؤامرة على قطز في إنشاء إيباد من الشام إلى مصر متعصراً فاشتاله وهو بعيد عن المعسكر في خاق طريدة أرنب . وتقدم على هذا العمل بعد من أكبر آثام بيبرس وأفطع ما ارتكبه من الجرائم . ولا سيما أن (قطزاً) كان مُمدّحاً . حسن السيرة . ولم يكن كالمعظم توران شاه الذي كان بيبرس قتله قبله تقول هذا ولا نبالي جارتنا الذي بُنيتُ الينا . وقد يغضب من مباح قولنا . لأن التاريخ يقول كفته ثم لا يستعيب . ولا يبالي بمن غصب إلا أن يعود التاريخ نفسه فيعتذر له بأن هذا القدر انما تعلمه بيبرس من إخوانه ومن ملوك زمانه (فلا تحسبوا حنذاً لها القدر وحدها سحجة نفسٍ كلُّ غانية حنْدُ)

(وإن نفسٍ لا تنسى ملك بلغار (أنس خان) الذي غدر ببيبرس وقومه فشرّد به في البلاد . وصبره رفيقاً تتداوله أيدي الأسياد) .

وبعد أن قتل بيبرس (الملك قطزاً) أقبل مع رفاقه إلى الدهليز السلطاني (أي المعسكر) وفيه أمراء الجيش ينتظرون رجوع الملك من طرد الأرنب . فهتف الأتابك (أقطاي) (والأتابك لقب بمنزلة وزير الدولة اليوم) قائلاً من قتله منكم ؟ فقال بيبرس : أنا . فقال الأتابك (يا خوتند اجلس على مرتبة السلطان) وكان ذلك سنة ٦٥٨ هـ وعمر بيبرس ٣١ سنة .

وأخذ من يومئذ يفكر في جمع كلمة ملوك الشام والحجاز وحملهم على الخضوع له بمختلف الوسائل ليتمكن بذلك من إتمام ما بداه الملكان (نور الدين) و (صلاح الدين) من طرد الصليبيين وتطهير البلاد من معرفتهم .

رأس يحيى ورأس زكريا

المشهور على السنة الناس في حلب ان الصريح العظيم الذي في جامعها الأعظم فيه جثمان زكريا وقد وصل بنا البحث في تاريخ حلب الى ان ثلوجود في جامع حلب هو قطعة من رأس يحيى او رأس ابيه زكريا عليها السلام . واليك البيان : قال في الدر المنتخب المنسوب لابن الشحنة (ص ٧٤) وذكر ابن العنبي (الحلبي) في تاريخه في سنة خمس وثلاثين واربعمائة ظهر بعلبك في حجر منقور رأس يحيى بن زكريا عليها السلام فنقل منها الى حمص ثم منها الى مدينة حلب في هذه السنة ودفن بهذا المقام (مقام ابراهيم عليه السلام الذي في قلعة حلب) في جرن من الرخام الأبيض ووضع في خزانة الى جانب المحراب واغلقت ووضع عليها ستر يصونها . وذكر الكمال بن العديم في تاريخه ان الملك العادل نور الدين ابن عماد الدين زنكي جدد عمارته . وفي سنة تسع وستماية في ايام الملك الظاهر غياث الدين غازي احترق بنار وقعت فيه وما كان من الخيم والسلاح وآلات الحرب شيء كثير واحترق الجميع ولم يسلم من الحريق الا الجرن المذكور ودفع الله عنه سجنانه النار وهذا مما يدل على ان الرأس الذي وضع فيه رأس يحيى عليه السلام لأن النار لم تصل اليه وحمي منها . وقال كمال الدين (ابن العديم) أيضا ان ابا الحسن علي بن ابي بكر الهروي ^(١) أخبره وقال ان بقلعة حلب في مقام ابراهيم عليه السلام صندوقا فيه قطعة من رأس يحيى بن زكريا عليها السلام ظهر في سنة اربع وثلاثين واربعمائة هـ .

وفي كتاب الصلصلة في الزلزلة للجلال السيوطي . في سنة ٤٣٤ زلزلت تدمر وبعلمك ومات تحت الردم معظم اهل تدمر هـ . أقول يظهر ان هذا هو السبب في ظهور رأس يحيى عليه السلام في بعلبك .

(١) وفاته سنة ٦١١ وهو صاحب كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات .

سبب نقل هذا الصندوق الى الجامع الأعظم في حلب

قال في الدر المنتجب (ص ٧٦) ما ملخصه : لما تسلم التتر قلعة حلب سنة ثمان وخمسين وستمائة اخرجوها واخرجوا الجامع (الذي فيه المقام) ثم اخرجوا المقامين (مقام ابراهيم ومقام الخضر على ما يقال) حريقاً لا يمكن جبره وذلك في احد الربيعين من سنة تسع وخمسين وستمائة .

ولما احرق المقام الذي هو الجامع عمده سيف الدولة ابو بكر بن ايليا الشحنة بالقلعة المذكورة والناظر على الدخائر وشرف الدين ابو حامد بن النجيب الدمشقي الاصل الحلبي المولد الى رأس يحيى بن زكريا عليها السلام فنقلاه من القلعة الى المسجد الجامع في حلب ودفناه غربى المنبر وقيل شرقيه (وهو الصواب) وعمل له مقصورة وهو زارها .

وفي الجزء الأول من تاريخنا (اعلام النبلاء ص ٢٩٥) نقلاً عن هامش تجارب الأمم نقلاً عن صاحب تاريخ الاسلام (الذهبي) في حوادث سنة ٣٥٢ في هذه السنة في ذي القعدة اقبل عظيم الروم تقفور يجيوش الى الشام فخرج من الدرب ونازل انطاكية (الى ان قال) ثم سار الى كفرطاب وتيزر ثم الى حماة وحمص فخرج من بقى بها فأمهم ودخلها فصرى في البيعة وأخذ منها رأس يحيى بن زكريا واحرق الجامع ثم سار الى عرفة الخ . فهذه الرواية تفيد ان رأس يحيى كان في حمص ولعل تقفور نقله الى بعلبك ثم ظهر فيها على أثر الزلزال التي حصلت فيها سنة ٤٣٤ كما تقدم او ان هذه الرواية لا أصل لها .

قال ابن الوردي في تبصرة تاريخ ابي الفدا في حوادث سنة ٧٣٨ في هذه السنة في صفر توفي بدر الدين محمد بن ابراهيم بن الدقاق الدمشقي ناظر الوقف في حلب . وفي ايام نظره فتح الباب السدود الذي في الجامع شرقي المحراب الكبير لأنه سمع ان بالمكان المذكور رأس زكريا النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم فارتاب في ذلك فأقدم على فتح الباب المذكور بعد ان نهي عن ذلك فوجد باباً عليه تآزير رخام ايض وبجد في ذلك تابوت رخام ايض فوقه رخامة بيضاء

مربعة فرفعت الرخامة عن التابوت فاذا فيها بعض جمجمة^(١) قهرّب الحاضرون هيبَةً لما تمّ رد التابوت وعليه غطاؤه الى موضعه وسد عليه الباب ووضعت خزانة المصحف العزيز على الباب وما انجح الناظر المذكور بعد هذه الحركة وابتلي بالصرع الى ان عض لسانه فقطعه ومات نسال الله ان يلهمنا حسن الادب ا د .

توسيع تلك الخزانة الى محبرة كبيرة وضريح عظيم

وذلك في سنة ١١٢٠ وهو ما عليه الآن

جاء في تاريخنا (اعلام النبلاء) في حوادث سنة ١١١٩ في هذه السنة ولي حلب عبدي باشا . وجاء في حوادث سنة ١١٢٠ قال قاضي حلب عبد الرحمن ابن مصطفى الكبير الذي تولى القضاء فيها هذه السنة في آخر رسالة له ذكر فيها نبذة من تاريخ حلب أغلبها مما يتعلق بالجامع الكبير . وفي زماننا هذا وهو زمان السلطان احمد خات بن السلطان محمد خان امر الوزير الأعظم الصدر علي باشا في زمان حكومة النقيب بتوسيع المرقد المقدس فشرعنا في تنفيذ أمره في اليوم الرابع من شعبان سنة عشرين ومائة والـف وهدم الحائط الشرقي (أي شرقي المنبر) وهو محل المقام ووراء الصندوق الذي هو ستر جلاله من قديم الأيام إذ ظهر هذا الجرن بين الحائط المرئي والحائط القديم وهو من الرخام الأبيض فلما أخذنا في حمله قاح منه رائحة طيبة أزكى من المسك فحملناه بالتسليم ووضعناه في خزانة واحضر أكثر من ثلاثين شخصاً من حفاظ القرآن الكريم وصاروا يقرؤن عنده ويهللون ولازموا المكان ليلاً ونهاراً الى ان تم ذلك المقام . ولما كان يوم الجمعة قبل العصر حادي عشر ذلك الشهر من السنة المرقومة اجتمعنا مع الوالي وهو الدستور المكرم حضرة عبدي باشا والعلماء والأعيان ورفعنا الجرن المبارك مع الوزير والعلماء والصلحاء ووضعناه في جرن أكبر منه موضوع فوق بناء مؤسس مرتفع عن الأرض ووضعنا فوقه من الرخام والتراب الذي كان معه من الأزمنة الماضية وغطيناه بالرخام والتراب والقراء يقرؤن القرآن

(١) هذا يؤيد ما جاء عن الهروي ان الوجود في هذا الصندوق هو بمنى الرأس .

ويطلبون الرحمة والرضوان والحمد لله على ما انعم من هذه النعم الجليلة والبركة الجميلة التي لم تيسر الا لآحاد من الناس ا ه باختصار وقال بعد ذلك وهو مما يجب ان لا تختصروا . وصلاة على نبينا الاكمل وعلى صاحب هذا المقام الأجل . سيدنا ابي الخصور زكريا عليه وعلى نبينا أفضل التحية .

وفي ترجمة مفتي حلب علي بن اسد الله المتوفى سنة ١١٣٠ (ج ٦ ص ٤٥٨) وتولى افتاء الحنفية بحلب مدة خمس عشرة سنة الى ان مات وكان اذ ذاك متولياً على جامع بني أمية بحلب . وفي ايام توليته عليه امر بترمات الجامع المذكور وممرات بعض حيطانه فظهر من احد الحيطان لما قشروا عنه السكس رائحة تفوق المسك والعنبر واذا فيه صندوق من المرمر مطبق ملحوم بالرصاص مكتوب عليه هذا عضو من أعضاء نبي الله زكريا عليه الصلاة والسلام فاتخذوا له هناك في ناحية القبلة في حجرة قبراً في مكانه الآن وحمل الصندوق اليه جميع العلماء والصالحين بالتعظيم والتبجيل والتوقير والتكبير وذلك سنة عشرين ومائة و الف ا ه وفي تلك المدة كان مقبلاً في حلب شاعراً كبيراً من شعراء الأتراك يعرف بالتاجي فنظم قصيدة غراء تركية في ٥٤ بيتاً وهي مذكورة في ديوانه المطبوع (ص ٧٩ و ٨٠) ذكر فيها ظهور هذا الصندوق وبناء هذا الضريح ووضع هذا الصندوق فيه وما حصل وقتئذ ترجم لنا هذه القصيدة ثراً بعض فضلاء الأكراد العارفين باللغتين العربية والتركية الا بعض ايات منها متعلقة بالمديح والدعاء للسلطان مما هو خارج عما نحن فيه وهي لا تخرج عما تقدم مما ذكرناه عن قاضي ومفتي حلب الا أنه قال ان ذلك كان في السابع عشر من شعبان . من سنة ١١٢٠ ولا ادري ايها اصح والخطب سهل .

وصف الحضرة النبوية الحاضر

وصف الحضرة النبوية زميلنا وصديقنا الشيخ كامل الغزي رحمه الله في تاريخه نهر الذهب (ج ٢ ص ٢٤٤) فاكتفينا به . قال : محلها بين العضادة العاشرة والحادية عشرة من الصف الأول (شرقي المحراب) في حجرة مربعة تبلغ ٤ اذرع في مثلها

تقريباً يبعد اليها من أرض القبيلة بدرجة واحدة سقفها قبة لها على سطح الجامع كوات بشبكات من الحديد . وفي قاعدة القبة شبكة كالسقف مفتوحة من من النحاس بعمود مربعة تبلغ فتحه واحدها ثلاثة قراريط في مثلها ترتفع عن أرض الحجرة نحو ثمانية اذرع وجدران الحجرة الثلاثة التي في الغربي والشرقي والجنوبي المقابل وجه المصلي ظهارتها من أرض الحجرة الى الشبكة المذكورة مبنية بأجمل أنواع الخزف المعروف بالقاشاني وباب هذه الحجرة وهي الجبة الرابعة منها قنطرة مشادة عالية بجوارتها سود وصفر محمولة على عمودين عظيمين (من الرخام الأصفر) وارتفاعها من ختمها الى أرض القبيلة ثمانية اذرع في عرض أربعة اذرع وهذه القنطرة العظيمة مع العمودين المحمولة عليها لها غلق يستوعبها من أرض الحجرة الى ختم القنطرة من نحاس أصفر مشبك ببعضه على شكل مربع وهو من رأس العمودين الى أرض الحجرة ذو مصراعين يفتح ويغلق وسعة عيون شبكاته قيراطان في مثلها . ومن رأس العمودين الى ختم القنطرة قطعة واحدة لا تفتح ولا تغلق وسعة عيون شبكاته قيراط واحد في مثله . وفي جانب كل من العمودين المذكورين لمعة ظهارتها من الخزف القاشاني المذكور مكتوب على زناز شبكة الباب شعر تركي لنابي الشاعر المشهور .

قال في نهر الذهب : أما صندوق الجرن الشريف فهو في وسط الحجرة من الخشب على صفة ضريح عليه كسوة من مخمل مزركش بالقصب النضي مكتوب فيه بعض سورة مريم . وهذه الكسوة انعم بها المرحوم السلطان عبد العزيز خان سنة ١٢٩١ وكان قبلها كسوة سرقت قديمة بالية وضمت سنة ١٢٣٢ على أثر كسوة سرقت في السنة المذكورة . وهذه الكسوة التي هي قبل الكسوة الحاضرة ارسلت الى استانبول ووضعت هناك في محل الآثار القديمة . وعلى هذه الكسوة الجديدة فوق سنام الضريح عدة شالات ثينة عجمية وهندية : (ثم قال) ويوجد هناك عشرة قناديل فضة صغار وقنديلان كبيران من الفضة وقنديل ذهب وشمعدان فضة وققم ومجزة فضة وغير ذلك من البلور والسجادات والبقيع والشالات ٥١ .

واقار المورضون عن مقتل يحيى ومطمان قبره وقبر أبيه زكريا عليهما السلام
في عرائس انجاس للثعلبي بعد كلام طويل بين فيه سبب مقتله . قتل وهو
قائم يعلي في بيت المقدس في محراب داود وأخذ رأسه .

وفي معجم البلدان في الكلام على دمشق . والمسجد الصغير الذي خلف جيرون
يقال ان يحيى بن زكريا عليهما السلام قتل هناك .

وفي الجزء الرابع من صبح الأعشى ص ٩٦ وقد ورد ان المسيح عليه السلام
ينزل على المنارة الشرقية ويقال ان القبة التي فيها المحراب لم تزل معبداً لابتداء
عمارتها والى آخر الوقت بناها الصابئة معبداً ثم صار الى اليونانيين فكانوا يعظمون
فيها دينهم ثم انتقل الى اليهود فقتل يحيى بن زكريا عليه السلام ونصب رأسه
على باب جيرون من أبوابه فأصابته بركته ثم صار الى النصارى فجعلتها كنيسة
ثم افتتح المسلمون دمشق فاتخذوه جامعاً وعلق رأس الحسين عليه السلام عند
قتله في المكان الذي علق عليه رأس يحيى بن زكريا الى ان جددته الوليد . ويقال
ان رأس يحيى عليه السلام مدفون به . وبه مصحف عثمان الذي وجه به الى الشام .
وقال في المعجم في الكلام على جامع دمشق (ص ٨٠) وبالجامع رأس يحيى بن
زكريا عليه السلام وفيه في (ج ٥ ص ٢٩) في الكلام على سبسطية ان سبسطية
بلدة من نواحي فلسطين بينها وبين البيت المقدس يومان . وبها قبر زكريا ويحيى
ابن زكريا عليهما السلام وجماعة من الأنبياء والصديقين وهي من أعمال نابلس .
وفي مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٩ (ج ١ ص ١٨٨)
قال احمد بن ابراهيم الغساني حدثنا ابي عن أبيه عن زبير بن واقد قال وكنتي الوليد
على العمال في بناء مسجد دمشق فوجدنا فيه مغارة فعرفنا الوليد ذلك فلما كان
الليل وافي والشموع تزهى بين يديه فقل واذا كنيسة لطيفة ثلاثة اذرع في
ثلاثة واذا فيها صندوق فاذا فيه سبط وفي السبط رأس يحيى بن زكريا فأمر
به الوليد فرد الى المكان . وقال اجعلوا العمود الذي فوقه مغيراً من الأعمدة

فجعل عليه عمود مسط الرأس وفيه (في ص ٢٢٠) قبر يحيى زكريا . يقال انها بسبطينية . وحكى ابن عساكر عن زيد بن واقد اخ ما تقدم وزاد بعد قوله وفي السط رأس يحيى بن زكريا : مكتوباً عليه هذا رأس يحيى بن زكريا اخ ما تقدم ثم قال قال زيد بن واقد رأيت رأس يحيى بن زكريا وعليه البشرة والشعر على رأسه لم يتغير . وقال القاسم بن عثمان الجوعي سمعت الوليد بن مسلم ومثل أين بلغك رأس يحيى بن زكريا قال بلغني انه تم وأشار بيده نحو العمود المسط الرابع من الركن الشرقي . وقال هشام ابن عمار حدثنا محمد بن شعيب قال دخلت مع شداد بن عبد الله من باب الدرج فقال لي : ترى ها هنا كتابة بالرومية قلت نعم . فقل لي ركتين وقال ها هنا رأس يحيى بن زكريا . وروى القاسم الجوعي عن الوليد بن مسلم انه سأل الأوزاعي . أين بلغك رأس يحيى بن زكريا . قال في العمود الرابع المسط اه .

ونحو ذلك في البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (ج ٩ ص ١٥٦) وزاد فيه وقال الوليد بن مسلم عن زيد بن واقد ، قال حضرت رأس يحيى بن زكريا وقد أخرج من الليطة القبلية الشرقية التي عند مجلس سجيطة فوضع تحت عمود الكاسة اه وفي أوائل الرحلة القدسية للشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي المتوفى سنة ١١٤٣ ثم مرنا فمررنا في الطريق على قرية مبطية : بعضهم يقول باسطين ياء بعدها نون وهي فلسطين المشهورة وذكر الهروي في زياراته قال مبطين هي فلسطين بها بدن يحيى ابن زكريا عليهما السلام وقبر امه وقبر اليسع .

يلخص مما تقدم

ان مؤرخي حلب المتقدمين بعضهم يقول وهم الأكثر ان في جامعها رأس يحيى والهروي منهم يقول قطعة من رأسه ولم يقل لنا احد منهم ان فيه زكريا أو رأسه وابن الوردي المتوفى بحلب سنة ٧٤٩ يقول لنا انه رأس زكريا عليه السلام . وثلاثة متعاصرون وهم مفتي حلب علي بن اسد الله وقاضيهما عبد الرحمن الكبير

والشاعر ناي التركي الذين كانوا وقت توسيع الخزانة الى الخجرة الحاضرة سنة ١١٢٠ هـ يقولون انه رأس زكريا أو عضو من اعضائه والقلتشندي المصري مؤلف صبح الأعشى وياقوت الحموي المتوفى بحلب وابن فضل الله العمري الدمشقي والحافظ ابن كثير الدمشقي يقولون ان الموجود بجامع دمشق هو رأس يحيى عليه السلام وهنا كما ترى قد تعارضت الأخبار فأيهما الصحيح ويمكن الجمع بينهما ان يقال ان قطعة من رأسه بجامع دمشق وقطعة منه بجامع حلب كما أفصح بذلك الحروي وكما قال ابن الوردي ان في الصندوق بعض جمجمة .

والتعارض باق بين مؤرخي حلب الأقدمين القائلين ان الموجود بحلب هو رأس يحيى وبين المتأخرين منهم القائلين انه رأس زكريا . وعلى كل لا يخلو جامع حلب من اثر نبوي هو اما قطعة من رأس يحيى او رأس ابيه زكريا عليهما السلام . ولا يوصلنا الى الصحة ولا يوقفنا على الحقيقة الا الكشف على الصندوق وقراءة ما كتب عليه بدقة . وهل هذا متيسر او متعسر ندع الجواب عنه . لغيرنا .

وصاحب المعجم في الكلام على سبسية يقول ان بها قبر يحيى وزكريا عليهما السلام بدون تفرقة بين رأسهما وبدنهما . والنابلسي يقول لنا في رحلته ان بها بدن يحيى ولم يذكر زكريا فبقي مكان جثمانه مجهولاً ولعله لعلمه ان في دمشق رأس يحيى وهو مما لا خلاف فيه عند مؤرخي دمشق وأهاليها ذهب الى ان الموجود في سبسية هو بدنه دفناً للتعارض والله اعلم .

محمد رافع الطباخ

(حلب)

ضرب المخطوطة على جميع المخطوطات
للمحافظ محمد بن طولون الدمشقي الحنفي رحمه الله
نشرها نشرًا جديدًا وعلق عليها الدكتور محمد أسعد طلس
(القسم الأول)

فأنتحة :

المخطوط الذي تقدمه اليوم لقراء العربية هو رسالة لطيفة للعالم المؤرخ ابن طولون
الدمشقي وهذه الرسالة شأن لما تضمنت من معلومات مهمة عن قرى الغوطة
في القرن العاشر، فإنها تسرد أسماء تلك القرى، وفيها ما هو مجهول في أيامنا،
كما أن منها ما لا نجده في غيرها من الرسائل والكتب التي تبحث - عرضًا -
عن الغوطة وقراها، على أن المؤلف ربما خلط بين قرى الغوطة وقرى المريج كما
لاحظ ذلك استاذنا محمد كرد علي بك في محاضراته عن الغوطة، ولكن هذا
لا يحيط من قيمة الرسالة ولا يجعلنا نشك في علم ابن طولون وإنما نعتقد أنه كان
في زمنه داخلًا في الغوطة فإن للأراضي والبقاع تطورات وأعمارًا كما لبني الإنسان
وللمدن، فإذا عد ابن طولون قرية من الغوطة وهي اليوم من قرى المريج فما ينبغي
لنا انتقاده^(١). علي أنه ربما ذكر بعض القرى وقال في آخر كلامه عنها : وأما
من حساب قرى المريج، كما ستري ذلك. ونحن في الدليل الذي منعقب به علي
ما قال ابن طولون سنذكر بعض قرى المريج لقربها من الغوطة قريبًا يجعل بعض
الناس يعدونها منها. والرسالة التي ننشرها كان نشرها السيد حبيب الزيات في
الخزانة الشرقية ج ١/٣٩ ولكنه لم يعلق عليها بل حذف منها الأسانيد وما نعرف

(١) أدخل ابن طولون في رسالته عن الغوطة سبع عشرة قرية من المريج وكان الأولى أن
لا تدمج فيها وهي : بيت نعيم، البرية، تل الشعير، تل الذهب، تل الكردي، الجرباء، حرستا،
القيطرة، حزوما، حران، الجديدة، الدود، القصير، تيسا، الزعيزبة، السويداء،
الرمادة، هذراء. (المجمع العلمي العربي)

أحدًا قبل ابن طولون كتب في الفوطة رسالة خاصة كما لا نعرف أحدًا من المحدثين عني بها على الرغم من مكانتها الكبرى في القديم والحديث اللهم إلا بحث أستاذنا الجليل محمد كرد علي بك الذي كان القاء في راديو الشرق : ثم التي ثلاث محاضرات في قاعة التجمع العلمي بدمشق كان لها أحسن الأثر في نفوس الشاميين لأنهم تعرفوا بمحاضراته هذه إلى لغة طيبة عن تاريخ الفوطة تلك البقعة الخصبية التي ينعمون بخيراتها ويستنبطون ظلالها ، ومن عني بالفوطة من المتأخرين الميسر دوسو فقد كتب عنها فصلاً مطولاً في كتابه طبوغرافية سورية التاريخية في القديم والعصور الوسطى . ومن عني بها أيضاً الميسر تريس فقد كتب عنها مقالاً مطولاً درس فيه الري وأنظمتها في الفوطة ونشره في مجلة الدراسات الإسلامية بباريس . وهناك معلومات مشورة في الكتب عن الفوطة رجعنا إليها في تصحيح مخطوطتنا التي نشرها الآن أما المراجع العربية التي رجعنا إليها فهي :

- كتاب الأعلام النفيسة لابن رسته طبع مطبعة بريل بليدن في سنة ١٨٩١
- كتاب البلدان لابن الفقيه طبع مطبعة بريل بليدن في سنة ١٣٠٣
- تاريخ دمشق لابن عساكر نشره وخصه عبد القادر بدران طبع في دمشق
- المسالك والممالك لابن خردادبه طبع بمطبعة بريل بليدن في سنة ١٣٠٦
- معجم البلدان لياقوت الحموي
- مناداة الأطلال ومسامرة الخيال للشيخ عبد القادر بدران مطبوع بدائرة الأوقاف الإسلامية عن مخطوطة المكتبة التيمورية

رسالة الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون نشرت بعناية مكتبة القدسي
والبدير بمطبعة الترقى سنة ١٣٤٨

رسالة المعزة فيما قيل في المزة لمحمد بن طولون نشرت بعناية مكتبة القدسي
والبدير بمطبعة الترقى سنة ١٣٥٨

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق : مقالة الفوطة للأستاذ محمد كرد علي
المجلد العاشر ج ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦

وأما المراجع الأجنبية فهي :
كتاب جهان نما لكاتب چلبى التركى (بالتركية)
(تقويم سوریه) (بالتركية)

Le Strange : Palestine under the Moslems London 1890
Sauvage: Descriptions des Damas Journal Asiat 1894 I ,250 ,
283 . II . 242 , 460 . 1895. I 269, 377. II 221, 409, 1896. I 185, 369
والخطوط الذي نشره هنا مأخوذ عن النسخة الفوطوغرافية المحفوظة بمكتبة
المجمع العلمي العربي بدمشق ورقمها (٢) وهي منقولة عن مكتبة جامعة ليدن
[Bibliothèque de l'Université de Leyde . M s . arabe ; 1862
Catal . Cadicum arabicorum II p. 10 N°814]
وحا نحن اولاء ننشر في هذا العدد نص الرسالة وفي العدد الآتي ننشر التعليقات .

بسم الله الرحمن الرحيم

[اظ] سبحان العظيم العليم المحيط علمه بكل قاص وداني ، الباسط حله على
كل خاطي ، وبجاني ، فمن عظم من خلقه فهو في قبضته وعظيم قدره ذليل
متواني ، هو الأول ماله ثاني ، وهو الآخر وكل ما سواه فاني ، العرش
يقول سبحان من حمل عن الحملة أركاني ، والكروسي يقول سبحان من ثبت
قوائمي وأحسن بنياني ، والسحوات تقول سبحان من حذب بوحدانيته جميع
سكاني ، والفلك يقول سبحان مديري في دوراني ، والسحاب يقول سبحان
من جعل بين السماء والأرض مكاني ، والريح يقول سبحان من أجبراني ،
والجبال تقول سبحان من أرساني ، والأرض تقول سبحان من على تيار الماء
دحاني ، والأشجار تقول سبحان من يسمع جريان الماء في أغصاني ، والزهر
يقول سبحان من فتق كي وغير ألواني ، والفواكه تقول سبحان من أبنع
بين طمعي : هذا حامض وهذا حلو ومن ماء واحد سقاني ، والطير يقول
سبحان من أطلق له بالمجد لاني ، والبعوض تقول سبحان من يسمع حب خفقان

أجنتني عند طيراني ، والتل تقول سبحان من يرزقني على ضعفي وفي الليل
المظلم يراني ، والليل يقول سبحان من سترني والظلام غشاني ، والنهار يقول
سبحان من أظهرني وبالنور كساني ، والجنة تقول سبحان من وعد المتقين
بنعيمهم ، وحوري وولداني ، والنار تقول سبحان من توعد الجرمين بعذابي
ونيران ، ومحمد ﷺ يقول سبحان من شفعتني في أمي وأرضاني صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه وسلم صلاة وسلاماً ينجيان من النيران . وبعد فهذا تعليق سميت
« بضرب الخوطة على جميع الغوطة »^(١) على حسب الامكان وبالله المستعان .

قال ابو عبد الله بن شداد في كتابه الأغلاق الخطيرة في ذكر دمشق :
أما صنتها فانها من أحسن بلاد الشام مكاناً ، وأعدلها دواءً ، وأطيبها نشرأً ،
وأكثرها مياهاً ، وأغزرها قواكه ، وأوفرها مالا ، وأكثرها جنداً ولها ناحية
تعرف بالغوطة طولها مرحلتان في عرض مرحلة وتشتمل هذه الغوطة
على خمسة آلاف بستان وثلاثمائة وخمسة وأربعين بستاناً وعلى خمسمائة وخمسين
كرماً وهي من شرقي دمشق وشمالها بها ضياع^(٢) كالمدين مثل اليزة وداربا
وحرستا ودمر وبلاس وبيت لاه وعقربا وبها كلها جوامع انتهى . قلت
أخبرنا أبو البقاء محمد بن العماد العمري بقراءتي عليه أنبأنا الشهاب أحمد بن
علي بن حجي أنبأنا أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد الغزي وأبو المعالي عبد الله
ابن عمر الأزهرى بقراءتي عليهما وأنبأنا به أبو المفاخر عبد القادر بن محمد
[و٣] الدمشقي قراءة عليه قال هو وشيخنا الأول أنبأنا الزين عبد الرحمن [بن خليل
الأذرعي ممعاً عليه متفرقين أنبأنا الجمال عبد الله بن محمد الأزهرى أنبأنا
أبو عبد الله محمد بن محمد الفارقي وقال الغزي أنبأنا القطيب عبد الكريم بن
عبد النور الحلبي قال أنبأنا أبو بكر محمد بن إسماعيل بن الأنماطي أنبأنا
أبو محمد هبة الله بن الأخضر بن طائوس أنبأنا أبو الفضائل ناصر بن محمود القرشي
أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد التميمي المالكي أنبأنا أبو الحسن علي بن محمد
الربيعي المالكي أنبأنا تمام بن محمد حدثنا القاضي أبو الحسن أحمد بن سليمان

ابن حذلم حدثنا ابو زرعة حدثنا محمد بن المبارك حدثنا يحيى بن حمزة عن
ابن جابر عن زيد بن ارطاة عن جبير بن قنبر عن ابي الدرداء قال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : 'فسطاط' المسلمين يوم الملحمة بالغوطة
الى جانب مدينة يقال لها دمشق من مدائن الشام . وبه الى تمام انبأنا ابو بكر
احمد بن عبد الله القرشي وابو بكر محمد بن ابراهيم البزاز قال حدثنا ابو قعين
اسماعيل بن محمد العذري حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا مسلمة بن
علي حدثنا ابو سعيد الأسدي حدثنا سليم بن عامر عن ابي أمامة عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه تلا هذه الآية قوله تعالى : [وآويناها الى ربوة
ذات قرارٍ ومعين] . ثم قال هل تدرون أين هي ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم
قال : هي بالشام بأرض يقال لها الغوطة بها مدينة يقال لها دمشق هي خير
مدائن الشام . وبه إليه حدثنا أبو الحارث احمد بن محمد بن عمار عن الوليد
ابن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز عن مكحول عن ابن عباس أنه قال :
وُلد ابراهيم عليه السلام بغوطة دمشق في قرية يقال لها بَرْزَة في جبل
يقال له قاسيون . وبه الى الربيعي أنبأنا ابو محمد عبد الله بن احمد العيسى
أنبأنا ابو الميمون عبد الرحمن بن عبد الله الجبلي حدثنا يزيد بن محمد بن
عبد الصمد حدثنا ابو اليان الحكم بن نافع حدثنا صفوان بن عمر عن
عبد الرحمن بن جبير عن ابيه عن عوف^(١) بن مالك قال : هدنة تكون
بينكم وبين بني الأصفر فيسروا اليكم على ثمانين راية تحت كل راية
اثنى عشر ألفاً ، فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها الغوطة في مدينة
يقال لها دمشق . وبه اليه أنبأنا ابو محمد عبد الرحمن بن عثمان حدثنا ابو الحسن
ابن حبيب حدثنا ابو بكر بن الأشعث حدثنا ابو توبة حدثنا ابن المهاجر
عن ابي حليس ، قال : أشرف عيسى بن مريم عليه السلام على الغوطة فقال :
يا غوطة إن عجز الغني ان يجمع منك كترًا لم يعجز المسكين ان يشبع

منك خبزاً . قلت الخاصل أن الغوطة مدينتها دمشق الكبرى وقد أفرد لها تاريخاً معظماً الحافظ أبو الحسن بن عساكر ودونها التري وهاك أسماء ما وقعت عليه منها مرتباً لنا على حروف الهجاء .

أرزؤنا^(٦) — وهي قرية تحت انقايون التحتاني وهي متوسطة لها جامع ومأذنة وشربها من نهر ثورا وهي أملاك لناس مختلفين وقع بها تحديث بأجزاء وخرج منها جماعة من العلماء وأهل الحديث .

الأقريس — وهي قرية بقرب جسرين وهي متوسطة وشربها من نهر داعية .
[٢ ظ] أرزة* — وهي قرية أدركت بعض [[بيوت بها وإلى الآن بها بيت يمينية وأدركت جامعها بمأذنة صورة عند قبور الشهداء ولها حكر^(٤) ديوان الجيش وشربها من نهر ثورا .

البويضة — وهي بلدة كبيرة قبلي دمشق بجامع ومأذنة وكان لنا بها عشر .
الحدلية^(٥) — وهي قرية جامعة تحت بلدة وبها جامع وهي وقف على بيارستان الصالحية القيمري .

بيت رانس*^(٥) — وهي قرية تحت مدينة دمشق من جهة القبلي .
بيت سمح^(٦) — وهي قرية بالقرب من عقربا وبها قطع^(٤) وقف على جماعة الخنابلة .

بيت الآلة — هي حارة من دمشق شرقيها وبها جامع مبارك أدركت خطيبه صاحبنا الفاضل بدر الدين حسن البيت ليدي الخنيلي والآن قد خرب وللناس فيه اعتقاد كثير وعليها بساتين وأراضي كثيرة وقع بها حديث كثير وآخر من حدث بها شيخنا الميوي النعمي وخرج منها جماعة من أهل الحديث^(٧) .
بيت أبيات* — حارة كانت غربي الصالحية وقد خربت الحارة ولم يبق غير مسجد والطاحون ثم خرب المسجد ووقع بها حديث كثير وفيها كان جماعة من أهل الحديث^(٨) .

برزة — وهي قرية شرقي الصالحية في الجبل بها مقام إبراهيم يقال إنه ولد فيه وقيل بل اختبأ فيه وقيل بل صلى فيه وقد أفردت لما ورد فيه

جزء^(١٠) وماؤها من أحسن مياه دمشق يأتي من وادي الجرن^(١١) «لعلها حرنه (المجمع العلمي العربي)» واليهما ينسب نوع من التين الشثوي هو أجود جنس منه ونوع من السفرجل هو من أجود أنواعه وقع بها حديث كثير من جماعة من الحفاظ وغيرهم وقد حدثت بها مراراً وكان بها من له مراع فيه وأمامة بجامعها وله مأذنة^(١٢).

بالا - وهي قرية تحت الشجرة وهي قرية حسنة كثيرة المغل وفيها حصنة وقف على الجوزية وقف على الخابلة إما ربع أو نحوه^(١٣).

برتايا* : وهي قرية خراب فوق سقبا وقف^(١٤) (هي أرض ضمت الى عرييل . المجمع العلمي العربي) .

بيت نايم* - وهي قرية تحت جسرين كبيرة وقف وهي من جملة حساب المرج وهي أول قراه^(١٥).

بيت سوا - وهي قرية متوسطة وقع بها تحديث بعض الأجزاء^(١٥) . البرية* - وهي قرية في المرج الشرقي وهي حصص غاليتها وقف ومنها حصنة موقوفة على جامع الخابلة .

تل الشعير* - وهي قرية تحت البجدلية خربة وقف على المدرسة القبرية^(١٦) . تل الذهب* - وهي كانت ثرية وهي الآن مزرعة ملاصقة لبيت نايم وأهلها يزرعونها وهي وقف وقع بها حديث بسير^(١٧) .

تل كردي - وهي قرية من قرى المرج لم أعرف حالها^(١٨) .

جرمانا - وهي قرية قبلي دمشق وأهلها تيامنة وهذا عجيب من كونهم في هذه [القرية من] الغوطة فان أهلها جميعهم من أهل السنة^(١٩) .

جوبر - وهي قرية شرقي مدينة دمشق لليهود وبها ثم جماعة من المسلمين وبها مسجد يقال له مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقع بها حديث كثير ومنها جماعة من أهل الحديث^(٢٠) .

[٣ و] - جسرين - وهي قرية تحت سقبا [وكانت بلدة كبيرة إلا أنها ثلاثي أمرها وهي وقف وشربها من نهر داعية وقع بها حديث في فوائد الرازي^(٢١) .

- جربا — وهي قرية متوسطة من قرى المرج وهي في اقطاع ثالث
مقدمي الألف بدمشق وقع بها تحديث الأجزاء^(٢٢) .
- حزنة — وهي بلدة صغيرة تحت زملكها مسجد وشربها من عين الرشيدية^(٢٣) .
- حمورية — وهي قرية شمالي سقيا متوسطة حسنة بها جامع يقال إنه عمري
وهي وقف على أولاد السلطان الملك الظاهر وفيها املاك مستخرجة في الخراج^(٢٤) .
- حردان — وهي قرية تحت سقيا أيضا خربت كان لها حديث لجماعة
من اهل الحديث أفرد لها الخافض ابو الحسن بن عساكر جزء ثم أفرد لها
شيخنا المحدث أبو المحاسن بن عبد الهادي جزء آخر^(٢٥) .
- حرسا الزيتون^(٢٦) — وهي قرية كبيرة جامعة وهي في اقطاع النيابة
كانت والآن صارت وقف التكية^(٢٧) قال شيخنا ابو المحاسن وهي قرية
شريرة وفسق معروفة بذلك ومن المذكور بين الناس إنها اول ما يخسف بها
في الدنيا وكانت قديما قرية حديث وشربها من نهر يزيد وتورا واليها ينسب
التفاح النبطي وقع بها حديث كثير خرّجت لها جزئين وخرج منها جماعة
من أهل العلم انتهى . قلت منهم الامام محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة
رضي الله عنهما .
- حرسا القنطرة^(٢٨) — وهي قرية قبلية صغيرة ولعلها من حساب المرج .
- حزما^(٢٩) : وهي قرية من قرى المرج وثلاثها وقف على دار الحديث
الأشرفية^(٣٠) بدمشق وقع بها حديث كثير قال المحدث ابو المحاسن^(٣١)
وقد أفردنا لها جزء .
- حران — وتضاف الى العوامد فيقال لها حران العوامد وهي قرية
متوسطة من قرى المرج^(٣٢) .
- الجديدة — بالخاء المهملة والناس يقولون بالمعجمة تحت وهي قرية
متوسطة من قرى المرج وهي في اقطاع النيابة^(٣٣) .
- الحديثة^(٣٤) — وهي قرية صغيرة تحت دمشق وغالبها يتكلم^(٣٥) عليها

المولى الخواجه زين الدين عبد الغني بن المزلقي^(٣٤) وقع بها حديث
وحدث فيها بعدة أجزاء .

الخيارة — وهي صغيرة من قرى المرج^(٣٥) .

داريا^(٣٦) — بلدة كبيرة جيدة عذبة^(١) بها جامع وهي من جملة

بلاد السلطنة^(٣٧) وبها اراضي وقف نور الدين الشهيد على طلبة العلم والصوفية

الفقراء وبها قبر ابي سليمان الداراني والميها بنسب البطيخ الجيد وقع بها

حديث كثير وخرج منها جماعة كثيرون من أهل العلم قال شيخنا ابو الحسن

وقد أفردنا لها مصنفاً ولم أقف عليه فأفردت لها جزءاً لخصته من تاريخها وزدت عليه .

دقاينة * — وهي قرية صغيرة تحت أرزونا ولها جامع وعليها كروم

وشربها من نهر تورا^(٣٨) .

دومة^(٣٩) — وهي قرية كبيرة جامعة شرقي حرستا وهي من أمهات

القرى من اقطاع أمير كبير^(٤٠) وشربها من نهر تورا وقع بها حديث

[٣ ظ] وخرج [منها جماعة من المحدثين والعلماء منهم الدوري المشهور .

الدوير * — يقال لها دير ابن عصرون وهي قرية صغيرة في لحف الجبل

ونصفها أو نحوه وقف الحنابلة من جملة وقف الجوزية^(٤١) .

الرّبوّة^(٤٢) — غربي^(٤٣) في فم الوادي فيها بيوت ودكاكين وحمام

ويقال انها التي أوى اليها عيسى وأمه وهي الآن مكان فرجة ويجتمع فيها

على غير التقوى وقد خربت في أيامنا عدة مزار وعمرت وقع بها حديث

وسماع في عدة أجزاء وأفرد لها الحافظ الشمس بن ناصر الدين جزءاً

وتبعته في آخر ابسط منه^(٤٤) .

زَمَلْكا — بلدة كبيرة جامعة بها جامع وحمام وخلق كثير وهي من

أمهات القوطة وشربها من نهر ثورا وبها موضع يقال إنه مزارع وقع بها

حديث كثير وخرج منها جماعة من المحدثين والعلماء وخطيبها كان بعض ولد

ولد شيخ الاسلام ابي عمر وله سماع كثير واستمر أولاده بها الآن^(٤٥) .

(١) عذبة من هذا البلد طلاب هراءه وينطقون بها لعمري بالبال عذبة (المجمع العلمي العربي)

زبدین - وهي قرية في آخر الغوطة من أقطاع النياحة ويزرع فيها البطيخ كثيراً ووقع فيها تحديث ببعض الأجزاء (٤٦)

الزُعَيْرِ عِيَة - وهي قرية من قرى المرج وقع بها تحديث ببعض الأجزاء (٤٧).
السَّوْبَدَاء - وهي قرية من قرى المرج قرب البحرة (٤٨).

سُتْبَا - وهي بلدة كبيرة جامعة وبها جامع وعدة مساجد وحمام وهي أملاك لأربابها وغيرهم ومنها يستحسن بزر الخيار وشربها من نهر داعية وقع بها حديث كثير وخرج منها جماعة من أهلها قال شيخنا أبو الحسن ولأهلها سماع وقد أفردت لها جزء (٤٩).

الشجرة - وهي كانت قرية خربة وهي من جملة صدقات الخنابلة (٥٠).

الصالحية - (٥١) - قال شيخنا أبو الحسن وهي أول قرى الغوطة وأم البلاد وعروس الشام يصلح أن تكون مدينة بسفح قاسيون أول من وضعها المقدسة فإنهم لما هاجروا من الأرض المقدسة إلى دمشق نزلوا مسجد أبي صالح شرقي دمشق فاستوخموا تلك المحلة ومات منهم جماعة كثيرون في مدة يسيرة فصعدوا إلى هذا الجبل وبنوا به الدير المعروف بهم وبهم سميت الصالحية لأنهم كانوا من الصالحين الكبار وكان منهم الشيخ أحمد والد الشيخ أبي عمر، والشيخ أبو عمر، والشيخ موفق الدين، والحافظ عبد الغني، والحافظ الضياء، والحافظ العماد، والإمام عبد الهادي، وأشباه هؤلاء وكلهم أقارب ثم اتسع البناء وبنى لهم الشيخ أبو عمر سبع مباني: المدرسة، والمسجد، غريبها، والميضأة، والمصنع، والمقبرة، والمغسل، والسقاة، انتهى. وقد أفردت لها تاريخاً.

[٤ و] صنعاء - قال شيخنا المحيوي النعماني في مسودة [[تاريخه وهي قرية

خربت وبقي مزارعها على نهر الخللخال بالقرب من المنبيع خرج منها جماعة من المحدثين نحو عشرة انتهى (٥٢).

الضمادة - ويقال لها الرمادة وهي قرية بقرب عذراء خربت وهي وقف من جملة صدقات الخنابلة (٥٣)

عينُ ثَرَمَا — وهي قرية جامعة شرقي دمشق وبها جامع وحمام ووقع
بها حديث وكان لبعض أهلها سماع ببعض الأجزاء وغالب الوادي التختاني
مع أهلها وشربها من نهر ثورا وأما الوادي فشرب بعضه من نهر داعية
وبعضه من يردى (٥٥).

عَرَبِيل — ويقال لها عَرَبِين وهي قرية جامعة وشربها من نهر ثورا
واليها ينسب العنب البلدي واللوز وقع بها حديث كثير وخرج منها جماعة
من أهل الحديث ولم فيه سماع (٥٥).

عَذْرَاء — وهي قرية شرقي دوما وهي في أقطاع النيابة كانت والآل
صارت وقفاً على التكية وهي بلدة كبيرة بها كان قتل حجر وأصحابه وشربها
من نهر ثورا واليها ينسب البطيخ وقع بها تحديث يسير (٥٦).

عَقْرَبَا — وهي قرية شرقي بلدة كبيرة وهي من جملة أقطاع النيابة
واليها ينسب القماش العقرباني وقع بها حديث وخرج منها محدثون (٥٧).

قبر الت — وهي قرية قبلي دمشق يقال أن زينب بنت علي مدفونة
فيها وهي بلدة جامعة وللناس أيام يخرجون إليها يحتجون بالزيارة ويشتبهون
ووقع بها حديث يسير وقد أفردت لها تعليقا (٥٨).

قرية سيدي مُدْرِك — بالقرب منها وفي كونه هناك خلاف (٥٩).
القابون الفوقاني — وهي قرية كبيرة بها جامع وعدة مساجد
وحمام وسوق وغالب أهلها تركمان وبها رؤساء واعيان وشربها من نهر يزيد
وقع بها حديث (٦٠).

القابون التحتاني — وهي بلدة كبيرة بها جامع وعدة مساجد وحمام وسوق
وبها (٦١) تركمان وحوارنة وغيرهما وبها يعمل خميس البيض النجس الخبيث
وقد أفردت له تعليقا وشربها من نهر يزيد واليها ينسب الخيار الجيد وقع
بها حديث وخرج منها جماعة من العلماء والصلحاء.

القصور * (٦٢) - ويقال قصر انتقوافل وهي قرية متوسطة على طريق المارة وهي في اقطاع رابع مقامي الأتوف بدمشق .

القصور * - وهي بلدة غربي كفرسوسية وقد خربت وهي الى الآن خراب (٦٣) كفرسوسية - وهي بلدة تحت المزة بها جامع وحمام وهي بلدة جامعة وبها معصرة للزيت لأن بها زيتون كثير ووقع فيها حديث خرج منها محدثون منهم شيخنا الشمس الكفرسوسي الشافعي .

[٤٤] كفر بطها - ويقال لها كفر بطنا وهي قرية جامعة بها جامع وحمام]] ودكاكين ويقال إنه كان بها علماء وسادات ورؤساء وتجار وهي أملاك متفرقة وبها عدة مساجد وشربها من نهر داعية ووقع بها حديث كثير وخرج منها جماعة من الأئمة المحدثين بل الحفاظ منهم الحفاظ شمس الدين الذهبي وولده المحدث ابوهريرة وغيرهما (٦٤) .

اللقبشا * - ويقال اللقيسا بالسين وهي قرية من أشهر قرى المرج (٦٥) .
المحمدية - عند جسرين وهي قرية صغيرة من قرى المرج كانت خربة والآت عمرت (٦٦) .

المنيحة - وهي قرية تحت دمشق جامعة ولها جامع ولي خطابه في هذه الايام صاحبنا القطب بن الصفوري الشافعي قال شيخنا ابو المحاسن ويقال إن بها قبر سعد بن عبادة وليس كذلك انتهى . وقد أفردت له جزء وهذه الايام يذهب الناس اليها للزيارة والتزهد على عاداتهم وبها قطع وقف على الخنابلة تعرف بالجوزيات وقف المدرسة الجوزية وقع فيها تحديث بعدة أجزاء وخرج منها محدثون منهم الشيعي (٦٧) المشهور .

مسجد القدم - وهي قرية قبلي الصيبات جامعة بها جامع وهي عذبة من جملة بلاد السلطنة لأناس متفرقين قال شيخنا ابو المحاسن ويقال إن قدم موسى فيها وذكر بعضهم أن فيها قدم النبي ﷺ وهو كذب انتهى وبالقرب منها الكتيب وقد أفردت له مؤلفاً (٦٨) .

المزة - وهي قرية في سفح الجبل من الغرب كبيرة وبها عدة جوامع

ومساجد وحمامات ودكاكين وهي قديمة قال السيد كمال الدين بن حمزة عندي لها تاريخ وتقصدته فلم أظفر به فأفردت لها جزءاً وكانت قد أقطعت لبعض ولد أسامة بن زيد ووقع بها تحديث وخرج منها محدثون منهم الحافظ جمال الدين المزي وولده وغيرهما (٦٩).

مَقْنِيَّة * (٧٠) — والصواب قينية وهي قرية خربت خلف ميدان الحصا قال الأسدي في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة في ترجمة محمد بن هارون من ولد أنس بن مالك الأنصاري الدمشقي من سكان قرية القينية عربي المصلي انتهى وقال غيره: أبو علي محمد بن هارون الأنصاري الدمشقي من سكان قرية قينية بظاهر باب الجابية مشهورة انتهى.

مُقْرَا * — وهي (٧١) كانت قرية فخرت شرقي الصالحية أدركت فيها السبع قاعات والآن باقي بها مسجد ومأذنة عند طاحونها على نهر ثورا غربي الصالحية. النيرب — غربي (٧٢) الصالحية كان له اسم خاص وبه بيوت وبساتين وهو الآن مضاف إلى اسم الصالحية وله جامع وحمام وقد خرب ووقع بها سماع حديث كثيراً أفردت له جزءاً قال الحافظ ابن ناصر الدين في مسودة توضيحه والنيرب من قرى الغوطة وهي قرية من محاسن قرى دمشق من [٥٥] إقليم بليت لها كثيرة المياه والبساتين وبها جامع حسن تقام فيه [الجمعة ويقال في شرقيه قبر حنة أم مريم عليهما السلام قال ابن شداد وليست مريم بنت عمران ولها حكاية وفي تاريخ دمشق لابن عساكر أن الخضر ينتاب هذا المسجد ويصلي فيه ويروي أن عيسى عليه السلام كان فيه انتهى. يعقوبا — وهي قرية صغيرة غربي حزة وشربها من نهر ثورا وقع بها تحديث ببعض الأجزاء (٧٣).

يلدا — وهي قرية قبلي المدينة بالقرب منها جامعة وهي بلدة حسنة وقع بها تحديث وخرج منها جماعة من المحدثين منهم اليلداني الأول ومنهم شيخ شيوخنا أبي المحاسن هو شرف الدين اليلداني الطبيب (٧٤).

ص. أسعد طلس

يتبع :

م (٥)

مخطوطات ومطبوعات

الدرر الفاخرة بآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة

طبع سنة ١٣٥٦ هـ في المطبعة الاقتصادية بالرباط من بلاد المغرب الأقصى مؤلفه من كبار اعيان الشيوخ في بلاد المغرب وله باع طويل في الفقه والأدب والتاريخ وهو الأستاذ الجليل الشيخ عبد الرحمن بن زيدان تقيب الأسرة المالكة ومؤلف كتاب النهضة العلمية في الدولة العلوية وكتاب العز والصولة في نظام الدولة وغيرهما من مؤلفاته التي وردت أمثؤها في كتابه الدرر هذا بمناسبة عزوه إليها ونقله عنها وقد عني بكتابته هذا أيمًا عناية وهو يشتمل على ثلاثة عشر مقالاً في ٢٢٦ صفحة ضمنها تاريخ ملوك الدولة العلوية بالمغرب وعلى مقالات في تقييد الكتاب وختمه بست فهارس للموضوعات والأعلام والصور ونوادير الكتب وغيرها والملوك المنوّه بآثرهم في هذا الكتاب هم الذين قدم جدهم الحسن الداخل من الحجاز في المائة السابعة للهجرة — كما في الجزء الرابع من كتاب الامتصاص لأخبار دول المغرب الأقصى وكانت إقامتهم في سلجامة إلى أن بويغ فيها منهم الشريف بن المولى علي الشريف الثالث سنة ١٠٤١ هـ ثم بويغ ولده محمد الشريف سنة ١٠٦٩ هـ ثم بويغ سنة ١٠٧٥ هـ أخوه الرشيد الذي تبوأ عرش الملك بفاس فابتدأ صاحب الدرر كتابه به اذ عده أول الملوك العلويين وما قبله عهد تأسيس وإنشاء ثم تتابع بعده اثنا عشر إلى زمن السلطان لهذا العهد مولاي محمد بن يوسف وفي الكتاب ثمان وأربعون صورة تربك أولئك الملوك مع نماذج من خطوطهم وتواقيعهم ورسائلهم ومراسيمهم ووثائق أوقافهم كما تربك نماذج من قصورهم وآثار عمرانهم وبذكر المؤلف ما شيدوه من مدارس ومساجد ومزارات وحصون ومعاقل ودور سلاح وحدائق وقصور وجداول وجسور وملاجئ ومدن وما إلى ذلك من معالم الحضارة وشواهد العمران والمؤلف تارة يسجع وكثيراً ما ينثر وقد أورد من الشعر ما زاد على سبعائه بيت منها ما هو من نظمها ومعظمها لغيره من معاصرين ومتقدمين .

غیر القادر المبارک^(١)

(١) كانت هذه النظمه آخر ما كتب الأستاذ قبل وفاته رحمه الله وقد كلف المجمع ولد الأستاذ السيد عبد المبارک أن ينقلها من المسودات التي تركها .

نظام جبريد وجياة جبريدة

الأداة الحكومية

تأليف الأستاذ زين : ابراهيم مذكور ومريت غالي

الطبعة الثانية ١٩٤٥

الكتاب يقع في ثلاث مئة وثلاثين صفحة ، اخرجته دار الفصول والنشر بالقاهرة . واذا كان الموضوع « الأداة الحكومية » موضوعاً جليلاً ، فان المؤلفين الفاضلين وفقاً توفيقاً كبيراً في اختيار الأبحاث وتنسيقها ، وعرضها وتبويبها . فقد وطأ الموضوعها بمقدمة عرضاً فيها ادواء الأمة ومشاكلها . فكان مما قالاه : « ... وكيف تقبل من وزير او مستوزر ان يكون متشائماً ، وشأنه ان يخطو بنا دائماً الى الأمام ! وكيف تقبل الاستسلام الى اليأس من يدهم مقاليد الامة ، اللئيم الا ان كانوا يحسون انهم لا يقوون على عمل ، وليتهم يصرحون بهذا فيسحوا المجال لمن هم أرغب في العمل منهم ، ولنا مبالغين ان قلنا : ان روح التشاؤم هذه لم تعظم في اعيننا ولم تجسم امامنا الا على ايدي الرجال ذوي الماضي ، ومن ساهموا في تطور هذا البلد ربع قرن او يزيد . . . »

« وقد يكون للشيوخ عذرهم في تشاؤمهم ، ولكن الأمر لم يقف عندهم بل جاوزهم الى الشبان الذين هم معقد الأمل ومحط الرجاء ، فهم بدورهم متشائمون وغالون في تشاؤمهم أحياناً . فيعلنون ان المثل العليا التي ملئت بها رؤوسهم في الدروس والمدرسة لا وجود لها في الخارج ، وان كل من سبقوهم انما سارعوا الى حظهم ونصيبهم ولم يفكروا الا في انفسهم ، فجدير بهم ان يضعوا المصلحة العامة جانباً ويتجهوا نحو تفهم الشخصي . . . »

« ... ومن المغالطة ان تنكر انا تجبطن كثيراً اثناء العشرين سنة الأخيرة ، فأقدمنا على مشروعات خطيرة قبل درسيها . وهدمنا مؤسسات صالحة لأنها تمت الى شخص او حزب معاد ، واجبننا اليوم ما حرماناه بالأمس ، ولم تكن لنا سياسة

واضح لا في حدم ولا في بناء ، وفي هذا الخط ما يضعف ثقة الكثيرين ، يدفع الى القول بأننا لم نتهياً بعد للاضطلاع بأعبائنا . ويظهر ان الخصومات السياسية والخلافات الحزبية بالغت في هذا وزادته سوءاً وقبحاً ، اذ ليس منا معصوم ، والقادة والرعماء في البلاد الأخرى يخطئون ويصيبون ، والفارق بيننا وبينهم ان أولئك يخطئون فيتدارك خطأهم ، في حين انا اذا زل أحدنا زلة اتخذها خصومه السياسيون فرصة للشهير به والتعامل عليه . وربما دفعتنا الخصومة الى ان نرمي الناس بما ليس فيهم ، ونشوه الصالح وتقبح الحسن . »

« . . . » ومما يؤسف له ان الأمور التي حاولناها لم تنجح النجاح المطلوب ، فلم تقم الدليل على ان التغيير الذي دعونا اليه ، والاستقلال الذي نادينا به ، جاء مصدر خير وبركة شاملة كما كنا نعلن للناس من قبل . »

« . . . » ولم نستفد من تجربة جربناها ، ولم نعتظ باخفاق وقع فيه غيرنا ، ومضى علينا نحو عشرين سنة وامورنا موكولة اليها دون ان يكون لهذا التمرين أثر عملي يذكر ، اللهم الا انه ابان عن عيوب مستورة وكشف عن تقائص كانت خفية . وبعد ان يعدد المؤلفان من العيوب ما أشرنا الي بعضه ، يعودان فيقولان : « كل هذا نسلم به ، ونسلم بأن لمتشائمين عذرهم ، ولكننا نعتقد ان هذا التشاؤم اعدى عدو الأمة ناهضة . واذا قلنا تشاؤم فعني هذا انا تقضي على النهوض والاصلاح ، ونسد باب الأمل في الوطن والرجاء في المستقبل ، ونمحو روح التفاؤل والتضحية التي بدونها لا تقوم الامم ولا تحي الدول . . . »

ويشرح الاستاذان كثيراً من أدواء الأمة ومشاكلها ، من سياسية واقتصادية وصحية . ويتجهان أخيراً الى الاداة الحكومية ، يريانها الوسيلة الأولى لتحقيق الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية . فيذكران من معايبها انها اداة أبلتها الأيام ، وقد تطور الزمن ولم تتطور . ونهض المصريون فلم تجارهم هذه الأداة في نهوضهم . فهي بقية العصور الماضية : تعقد العمل ، وتسيء الى الجماهير . وسيرها بطيء ، لا يتمشى ومصرعة السير في القرن العشرين . ونظرتها ضيقة محدودة ، لا تتفق وتشعب الحياة

التي نعيش فيها ، فحاجتها الى التجديد والاصلاح ، لا تقل عن حاجة اي مظهر من مظاهر حياتنا العامة .

ثم يرفع المؤلفان صوتهما في جراءة وفي حق ، فيقولان قولة خالقة بأن يتديرها كل منا : « ان سير الأعمال الحكومية قد وصل الى حد ان لم نغيره ونبدله بأنفسنا ، فأخشى ما نخشاه ان نسلم بتبدله ولو على ايدي غيرنا » .

« وعبثاً نحاول ان نتحدث عن نهوض اقتصادي ، او تقدم اجتماعي ، ان لم نأخذ أنفسنا بوسائل ناجعة ، ونظم سديدة لتنفيذ ذلك ، وان لم نتخير لمشروعاتنا الصغيرة والكبيرة رجالاً يظلمون بها على أكل وجه . وقد جاءت الحياة النيابية على حداثة عهدنا ، فزادت الأداة الحكومية تعقيداً ، وملأت جوها بلبلة واضطراباً ، واصبحت الفوضى تتهدنا من كل جانب ان عن طريق السياسة ، او الادارة ، فأبى السياسيون إلا ان يتدخلوا في كل شيء ، ويقلبوا كل وضع ، وينقضوا كل مبدأ ، وتهاون الاداريون في واجباتهم اعتماداً على حظوة ، وعدوا على حقوق غيرهم باسم المحسوية » .

هذه مقاطع تخبرناها من هذه المقدمة الممتعة ، للدلالة على قيمة الكتاب وطريقته ، وعلى بيانه وأسلوبه ، ثم لانطباق كثير مما قيل فيها ، بل لانطباقه كله ، علينا أيضاً .

ويخرجان من هذه المقدمة ، الى كلمة موجزة عن « الاداة الحكومية » ، ثم الى الباب الأول في « الرقابة والتوجيه » وفيه بحث عن النظام الملكي النيابي والدستور ، والتربية القومية : وعن البرلمان ، والانتخاب ، والحزبية ، وتكوين البرلمان ، والانتاج البرلماني ، وعن الوزارة ومهمة الوزير ، ورئيس الحكومة ومجلس الوزراء ، وعن مجلس الدولة ، والقضاء الاداري ، واعداد التشريع ، والافتاء .

ثم الباب الثاني في « العمل والتنفيذ » وفيه الخدمات العامة ، وتوزيعها والاشرفاء عليها ، والانتاج الاداري ، وتقرعاته ، والموظفون ، وأنظمتهم وأحوالهم ، والقضاء وتوجيهه ، واستقلاله ، وتنظيمه .

ويطول بنا نفس الكلام ، ان نحن رحناً نفعل هذا الذي اجملناه ، وهو تفصيل
 — اذا كان — فإنه لا يغني عن قراءة هذا السفر الجليل ومدارسته . بقي أن نساءل
 كيف يحقق هذا الاصلاح ، وكيف تظهر الاداة الحكومية من مفايدها وأدائها ؟
 هذا ما لم يشر اليه المؤلفان ، الا إشارة خاطفة — فيما أذكر — جاءت في الصفحة
 الأولى من التمهيد وهي : ويعنيان ان نسردهنا عبارة كثيراً ما سمعناها وهي :
 « كل هذا كلام جيد ومقترحات بقرها الجميع ، ولكن متى التنفيذ ومن أين يجيء ؟ — »
 « وفي رأينا ان وسيلة التنفيذ الأولى تكوين رأي عام قوي يقظ حول مبادئ
 صريحة ومقترحات واضحة ، وهذا ما رجونا ان يساهم فيه هذا البحث بنصيب . »
 اني أسمح لنفسي ان أقول ، بعد ان خبرت الجهاز الحكومي عشرات من
 السنوات ، في مختلف من الحالات : ان المؤلفين الكريمين ، اذا كانا وفقاً في وصف
 المرض وشرح اعراضه كل التوفيق ، فما احب انهما وفقاً في وصف الدواء ،
 فتكوين « رأي عام » عمل شاق وطريق وعمر طويل ، ومن يكفل هذا الرأي
 العام ان لا يفسد عوداً ، كما فسدنا نحن بدءاً ؟
 أليس في ما وصفه المؤلفان من تهافت الأمة : شيئاً وشباناً على المنافع الخاصة ،
 ما يقل معه الرجاء في تكوين هذا الرأي العام ، وهل يكون هذا « الرأي العام »
 من لا يؤمن بمصلحة عامة ؟ وقد يما قال الفقهاء « فاقد الشيء لا يعطيه » ان الأمر
 لا يصلح الا على يد القوي العادل الذي وصفه السيد الأفغاني . نعم ! ان المصلحة العامة
 تتطلب رجلاً صلب العود ، صحيح الايمان ، سليم الفهم ، واسع الادراك ، كثير
 المشاورة ، يتنخل الرأي ثم يستبد في تنفيذه . لا يقول : « عيبتني وكرهني » بهذا
 تخلص الأمم من مساوئ الضعف والتفكك . والا كانت آراء عذبة ، يستسيغها
 الخيال ، ولا تقرها الحقيقة . تنتهي نظريات ، كما بدأت تمنيات .

عارف السكري

العمل لمصر

بعث دولة وإحياء مجد

كتاب من القطع المتوسط ، يقع في مئتين وست عشرة صفحة ، وضعه الأستاذ محمود كامل الحامي . ولا بد لنا — قبل ان نتناول هذا الكتاب بالبحث — من كلمة مجملة نقولها في الموضوع من حيث هو : « العمل لمصر » .

لقد اصبحت الوشائج الفكرية والثقافية والاقتصادية بين الشعوب — بعد ان طوى العلم ما كان يبين من مسافات وابعاد — مخكمة متشابكة . فما من مذهب أو رأي ، ينشأ في بلد ، الا تراجع صدهاء في البلد الآخر ، مهما كان بين البلدين من اختلاف في : العنصر ، واللغة ، وفي منازع الحياة ومناحيها ، لذلك قل ان يقوم اجنبي عنا بدعوة من الدعوات — ولا سيما القومية او الوطنية او السياسية — الا كان لها عندنا مستمع بل مجيب . ويكثر عدد هؤلاء المستمعين والمجيبين او يقلون ، على قدر ما يكون لهذه الدعوة من هوى في النفوس ، واستعداد لها عند اصحاب هذه النفوس .

فاذا كان ذلك كذلك ، في حق الأبعد الأجنب ، فما عسى ان يكون الأمر في « عمل لمصر » يقوم به رجل من مصر ، لبعث دولة وإحياء مجد . وأنته أمتنا : لغة وعنصرأ . وحالها حالنا : مرضأ وضعفأ . ومتى كان الداء واحداً ، فلا بد ان يكون الدواء واحداً ايضاً .

وعلى هذا ، فالكتاب ليس لمصر وحدها ، ولكنه لهذه الشعوب المبعثرة المتفرقة ، التي يجمعها هذه الأمة العربية الواحدة .

استهل المؤلف كتابه ، بأن كشف عن حقيقة النهضة القومية في مصر ، فأنكر على الأحزاب المصرية التي قامت بعد سنة ١٩٢٠ ان تكون هي التي أيقظت الشعور الوطني فقال : « فاحساس المصريين بمقوقهم ، وتمردهم على كل من يعتدي على هذه الحقوق قديم ، اقدم من أي حزب سياسي قائم في مصر

الآن ، بل ان تاريخ مصر الحديث ، ناطق بأن الزعامة التي كانت تقود المصريين الى تلك الأهداف الوطنية ، أرشد وأجرأ ، وأشد إيماناً برسالتها . »

والكاتب لا يرسل كلامه هذا ارسالاً ، منقطعاً عن الدليل ، بل يضرب عليه مثلاً : موقف السيد عمر مكرم سنة ١٨٠٥ ، وما كانت من مطالبه القومية الصريحة الواضحة . ثم هو يمضي في تعداد هذه المواقف والمطالب ، ويعود في موطن آخر من الكتاب ، فيذكر ثورات المصريين على الفرنسيين سنة ١٧٩٨ و ١٧٩٩ و ١٨٠٠ . وثوراتهم على الانكليز ، وما نشب بين الفريقين من مواقع سنة ١٨٠٧ و ١٨٨٢ و ثورة عرابي سنة ١٨٧٩ ونهضة مصطفى كامل سنة ١٨٩٥ ودعوة زغلول سنة ١٩١٩ . وقد عاد فنوه بهذه الحوادث تنهويها أرضى الحق وعزة مصر ويمتاز المؤلف بأنه لا يؤله زعيماً ، ولا يدعو الى عبادة نائر أو قائم ، بل يدلل على ان أكثرهم خلقتهم الثورات والحادثات ، لا انهم هم الذين خلقوها .

اعتبر ذلك في ما يقوله في سعد ، وسعد زعيم مصر الأكبر ، بل قدوة الأقطار العربية عامة : « والشعب المصري هو الذي « اكتشف » سعد زغلول فانتخبه وكيلاً للجمعية التشريعية . والشعب المصري — بقوته الجارفة — هو الذي جعل سعد زغلول زعيماً وطنياً أثناء ثورة عام ١٩١٨ . فحمله على ان يسخر مواهبه لمهاجمة اوضاع ، يشهد ماضيه بأنه كان يقرها ، في وقت لم يكن الشعب قد جرفه فيه الى اتجاهه الجديد » .

وما قاله عن « اكتشاف » الشعب المصري لسعد زغلول ، قال مثله عن « اكتشاف » الشعب الانكليزي لـ (تشرشل) .

تقول : اذا كان للشعب فضل في « الاكتشاف » فان للزعماء الحقيقيين فضلاً كبيراً في انهم استحقوا ان يكونوا أهلاً « للاكتشاف » وطلبة (للمكتشفين) .

وآخذ الزعماء المصريين ، بأنهم واجهوا الرأي العام من غير برنامج محدد ، وخص بالنقد منهم معداً نفسه ، لأنه لم يكن له « الا برنامج ساذج بتلخص في شيئين : الاستقلال ، وحكم الشعب بواسطة الشعب » .

ونحن نوافق المؤلف في كثير من هذا الذي يشكو منه . ونزيد عليه فنقول :
 ان الشرق العربي بلاؤه بهؤلاء الزعماء ، وهم هم ضعفاً واستخذاء في كل
 قطر من الأقطار العربية . غير ان هذه التآليل الجوفاء ، من الذي خلقها
 فسواها أصناماً ، ثم عبدوها ، أليس هو الشعب نفسه ؟ !

أما ما أخذ به سعد ، من ان برنامجهم كان (ساذجاً) فلعل أكثر القارئ
 بالنهضات القومية يعملون مناهجين في مطلع دعواتهم ، مقتضبة موجزة ، تفادياً من
 التبل والقال ، والنقاش والجدال ، على عكس ما يفعله زعماء الأحزاب السياسية
 متى ألفوا أحزابهم ودعوا إليها .

والمؤلف يريد اتحاداً يعيد مصر العظمى الى حدودها التاريخية ، فيتبسط في
 الموضوع ، ويتوسع في الحدود تبسطاً وتوسعاً ، ما يحتملها اعصاب الساسة اليوم ،
 ولا تطمئن لها قلوبهم وحيداً لو سمي هذا الاتحاد عريباً لا مصرياً . . .
 ان المؤمنين بقضيتهم ليماناً حقاً لا يهمهم اسمي هذا الاتحاد : مصرياً ، أم شامياً ،
 أم حجازياً ، أم تينياً ، أم نجدياً (وهي الأقطار التي أدخلها المؤلف في حدود
 مصر العظمى) وانما يهمهم الاتحاد نفسه ، غير ان الناس ليسوا كلهم مؤمنين لفاظ
 لها قيمتها في نفوس أمثال هؤلاء الناس ، وهي تفتح مجالاً للوسواس الخناس . . .
 وبعد ان يؤلف المؤلف هذا الاتحاد من أقطار عربية بحتة ، وبعد
 ان ينقل عن ابراهيم باشا انه قال : « لست تركبياً ، وقد قدمت الى مصر طفلاً ،
 ومنذ قدومي غيرت شمس مصر دمي فجعلتني عربياً » وينقل عنه بعد ذلك قوله
 « . . . انا الآن ننسب الى شعب انبل وأكثر تنوراً . الى هذا الشعب العربي
 الذي سبق اوردية في الحضارة ، وزين تاريخه باقامة المدن الزاهرة والآثار الفخمة
 التي غطى بها وجه الأرض من جبال الأندلس الى وادي النيل بل الى
 حدود ايران » .

نعم بعد ان يقول المؤلف ما قاله ، وبعد ان ينقل ما نقله ، عن مصر ، وعروبة
 مصر ، وأهداف مصر العربية ، وعن عرب من بقيم بمصر .

نعم بعد هذا كله ، وبعبارة أصح في ثنايا هذا كله ، يرفع صوته منكراً ما سماه بـ «الخرافة الأثيمة» التي تقول : «ان مصر قد ظلت منذ فجر التاريخ مستعمرة للشعوب التي غزتها ٠٠٠» فيقول : ان مصر لم تكن للغازين مستعمرة بل كانت لهم مقبرة .

ويسرد في جملة ما يسرده على صحة ما يقول : « ٠٠٠ » وقد ظلت مصر ولاية رومانية ست مئة وسبعين عاماً . انتهت بغزو العرب لمصر في عام ٦٤٠ ميلادية . فعاد المصريون يثبتون مناعتهم التاريخية وينفون الغزاة الجدد في قوميتهم . اذ ظلت اللغة القبطية رغم الغزو العربي لغة الدواوين الى عهد خلافة الوليد بن عبد الملك . أي أنها ظلت كذلك خمسة وأربعين عاماً وتكررت ثورات المصريين في خلال حكم العرب فكان الخلفاء يحترمون ارادتهم وينفذونها . ثم راح المؤلف يعدد هذه الثورات : ثورة ثورة .

ولعل في مثل هذا التردد : بين عروبة مصر ، وأهدافها الكبرى ، وبين مقاومة مصر للعرب والعروبة ، تناقضاً يئس لا يوفق بينه الا الرجوع الى التاريخ الحق . والتاريخ الحق : ان العرب اذا كانوا غزوا مصر ، كما غزوها غيرهم ، بل كما غزا كل شعب الأرض التي تديرها ، إذ يندر -- ان لم تقل يستحيل -- ان نجد شعباً متمسكاً ولد في الوطن الذي هو فيه اليوم -- فان العرب يوم فتحوا مصر ، اتخذوها دار قرار لهم ، فأصبحوا اهلها كما أصبحت كل أرض للذين فتحوها فاستقروا بها . فليس بجائز ان يقاس العرب في مصر بالغزاة الطارئین ثم ينجلون . ولو أنا قلنا غير هذا لخالطنا الواقع ، ولناقض المؤلف رأيه الذي أبداه ، وأهدافه التي يرمي اليها من وراء تأليفه . ان العرب في مصر ، اما ان يعدوا بعد هذه المئات الطوال من السنين أهل البلاد ، أم لا ؟ فاذا كذبنا انفسنا والتاريخ وعددنا العرب في مصر طرء كسائر الغزاة ، فقد سقطت حجة المؤلف بأن مصر مقبرة الغزاة ، فن ملك أرضاً الف وثلاث مئة سنة وتزبد ، ولا يزال يملكها وسيملكها باذن الله وقوة أبنائها العرب الى ما شاء الله ، فلا يقال ان هذه الأرض مقبرة

له . وان كان أهل مصر العرب قد أصبحوا أصحاب البلاد حقاً فلا يجوز ان يقول فيهم المؤلف ما قاله في غيرهم .

فاذا وافقنا المؤلف في ما قلناه فاننا نلجأ أن بتدارك في طبعة جديدة ان شاء الله . والأستاذ بنه المصريين في كتابه لما يبيته لم الاستعمار . ويريد ان يعتمدوا على أنفسهم ، ويستشهد لم بقول من قال : ان اعتماد الشعوب الضعيفة على المساعدة الخارجية في السياسة العملية ، ان هي إلا مقامرة .

ويحث المصريين على العمل في الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، ونشر العلم ، ورفع مستوى السواد الأعظم من المصريين ، وهم صغار الملاك وصغار العمال ، ويشير الى الادارة الحكومية وإلى مواطن الخطأ والضعف فيها . ويدعو الى اصلاحها . والكتاب صحيح اللغة واضح العبارة ، إلا هفوات قد لا يسلم منها كتاب .



ع . ن

سياسة الفكر

برنامج سياسي واقتصادي واجتماعي

وضعه الأستاذ مريت بطرس غالي

وهو يقع في مئة وسبعين صفحة ، جيد الطبع ، حسن الترتيب والتبويب ، أخرجه مطبعة الرسالة بمصر . ويدل هذا الكتاب على ما دل عليه الكتابان السابقان «الأداة الحكومية» و «العمل لمصر» من ان في مصر نهضة فكرية جديدة ، أخذ يشعر القائمون بها ، الداعون اليها ، ان الشرق العربي — وفي طليعته مصر — يجب ان يعدل عن أساليبه العتيقة ، وبتنهج في الحياة منهجاً جديداً ، يتفق والعصر الحاضر ، ومتطلباته المتعاقبة والمتطورة .

وصف المؤلف الفاضل بكلمات موجزات حالة مصر — وهي حالتنا نحن العرب كافة — فقال : « شغل فكرنا جميعاً بعلامات الضعف في النظام السيامي والقومي ، وبمظاهر التفكير الاقتصادي والاجتماعي . وشاهدنا في السنتين الأخيرتين على

انها أبحاث علمية قيمة ، ولكنها لا توصل الى الحل العملي الذي أصبح الناس في أكثر هذا الشرق العربي يرجونه وينظفون اليه .
لقد عُرف الداء ووصف الدواء . فكان ماذا ؟

كان أن انقضت السنون على طبع هذا الكتاب ، ونشر ما فيه من الرأي الصواب الذي كان من حقه أن يحدث تطوراً اجتماعياً في الحياة السياسية المصرية ثم العربية . فلم يكن شيء من هذا ، وظللنا حيث كنا ؛ نؤلف الكتب وننشر الآراء ، وننظر الى جيل جديد لا نعرف متى يجيء ، وما عسى أن يكون منه ؟ ان الأنظار العلمية ، والاحصاءات ، والمقارنات والمقاييس شيء حسن لا بد منه ، ولكنه لا ينفذ من ذات نفسه ، الا اذا تقدم المخلص الجبار فأخذ الأمة بشدقيها يباعد بينهما ، ثم يفرغ الدواء في جوفها شاءت أم أبت . ولا تذهب بمبدأ في التمثيل على رأينا بأن الاصلاح لا يقوم بالكتابة والخطابة وحدهما ، بل نستعير قول المؤلف نفسه : « ونشعر ونحن نسطر هذه العبارات انها ليست جديدة بل امتلأت بها أعمدة الجرائد السياسية ولا يزال يرددها الكتاب والخطباء حتى ابعد الناس عن التمسك بها والسير على مقتضاها » .

أما الباب الرابع فنحسه المؤلف بالدفاع الوطني ، والباب الخامس بالشعور القومي ووسائل التربية ، وفي هذين البابين من المباحث القيمة ، والآراء السديدة ، ما يخلق بالجيل الحاضر أن يطلع عليه ، وبالجيل الناشئ أن يتدارسه .
فلهؤلاء المؤلفين الفاضلين الشكر على ما أمتحنوا به الشعب المصري خاصة ، والأمة العربية عامة من هذه الكتب الممتعة .

ع . ن

تاريخ المشايخ البازجيين وأصهارهم

تأليف عيسى اسكندر المعلوف

عضو المجامع العلمية في مصر ودمشق وبيروت والبرازيل
وضع الأستاذ المعلوف هذا التاريخ في كتيب من القطع الصغير يقع كل

منها في ما يقرب من مئة وخمسين صفحة . اختصرهما من كتابه المطول (الفرار التاريخية في الأسرة اليازجية) وقد حرص المؤلف كل الحرص على أن يجمع في هذين الكتبيين ما اتصل به من قولة أو نكتة نسبت لأحد الذين ترجم لهم ، أو شعر أحمله قائله أو نسي أن يدرجه مدونه .

لذلك جاء في هذا الشعر ، ولا سيما ما نسب منه الى اليازجي الكبير الشيخ ناصيف ، الفث والسحن ، بل غلب فيه غثه سمينه .

ونحن نشكر للمؤلف عنايته بوضع هذين الكتبيين تنويهاً بذكرى الأسرة اليازجية التي لها اليد البيضاء في خدمة اللغة العربية .



ع . ن

وادي الفرات ومشروع سد الهندية

تأليف الدكتور احمد سوسة

طبع في مطبعة المعارف في بغداد سنة ١٩٤٥ فجاء في ٣٤٣ صفحة من القطع المتوسط

هذا هو الجزء الثاني من كتاب « وادي الفرات » النفيس . فقد بحث المؤلف في الجزء الأول منه عن الفرات من منابعه الى بحيرة الحبانية . وبحث في هذا الجزء عن الفرات من الرمادي شمالاً الى سد الهندية جنوباً . وذكر ان الجزء الثالث سيشتمل على شؤون هذا النهر العظيم من سد الهندية الى شط العرب . أما الجزء الرابع فيسعالج مشروعات الاسقاء بيماء الفرات في المستقبل .

ان من يقرأ الجزء الثاني من هذا الكتاب بإمعان يحكم بطول باع المؤلف في شؤون الاسقاء وخدمة المياه ، فهو قد قضى خمس عشرة سنة مهندساً للري في العراق فاستطاع ان يقتل هذه الموضوعات درساً ولذلك سد كتابه هذا فراغاً كبيراً في لغتنا الضادية .

وقد تناول المؤلف بالبحث أهم الجداول التي تشتق من الفرات بين الرمادي وسد الهندية ، كجدول الصقلاوية (وكانت العرب تسميه نهر عيسى) وجدول ابي غريب

(وكان اسمه نهر مصر) وجدول اليوسفية ، وجدول اللطيفية ، ثم ذكر مشروعات المهندس الشهير ولككس ، وتطورات بحرى الفرات في التاريخ ، وأنهى الكتاب بدراسة سد الهندية وما ينشأ عنه من الأنهار والجداول .

وفي الكتاب رسوم وصور وخارطات كثيرة . ولفته حسنة في الجملة ، لكن فيه مصطلحات لا نوافقه عليها ، منها قوله مثلاً سدة الهندية بدلاً من سد الهندية ، فالسد اسم يدل على المسناة ، أي ذلك الحاجز الذي يقام في وجه النهر اما لتخفيف سرعة مياهه ، واما تخزين تلك المياه . وليس السد هنا مما يجوز ان يصاغ منه مصدر على وزن فعلة للدلالة على المرة . ولم ترد السدة بالتاء بمعنى المسناة . ولم استسغ قوله « زمن الصيود » ولو قال « زمن الضحل » لكان أصلح . والضحل رقة الماء في النهر والغدير وغيرهما . وهو أيضاً اسم يدل على الماء القليل ليس بذى عمق ج أضحال وضحال وضحول .

ومما وضعناه أو حققناه في « معجم الألفاظ الزراعية » من المصطلحات المتعلقة بالمياه : صَيَّب بمعنى Débit وسَكَّر بمعنى Vanne وشَبْرَة بمعنى Emissaire وهي القناة الأساسية لصرف الماء ، والسَّرَب (ج أسراب) بمعنى Collecteur وهو القناة التي تتلقى الماء من المصارف Drains وتسبها الى المشبرة ، والقناة والترعة بمعنى Canal والسَّرَبَة والفَلَج بمعنى Rigole ، والخليج والجدول بمعنى الكبير من الفُجَّان أي Rigole principale الخ . فمن الضروري أن تتوحد هذه المصطلحات وسائر المصطلحات العلمية في بلادنا العربية .

مصطفى الشهابي

الاصلاح الزراعي

طبع في مطبعة مصر وجاء في ٩٧ صفحة من القطع الصغير هذا كتاب صغير في حجمه كبير في ثقته ، أصدره السيد مريت غالي من « جامعة النهضة القومية » في مصر ، وهم عصبة من رجال الاصلاح يتناولون في ابجائهم نواحي شتى من مرافق الحياة المصرية ، ويعالجون طرائق اصلاحها في كتب يصدرونها على الناس هذا الكتاب الثمين .

والاصلاح الزراعي في مصر من أهم الموضوعات المتصلة بالمجتمع المصري .
فأراضي مصر الزراعية قد ضاقت بسكانها ، وهي موزعة توزيعاً لا عدل فيه ،
ذلك بأن الملكية الكبيرة تبلغ ٣٧ ٪ من مجموع الأرض الصالحة للزراعة ،
أي ان ما ينيف على مليوني فدان مصري من تلك الأرض (وجملتها قرابة ستة
ملايين فدان^(١)) تتألف من أملاك كبيرة يملكها أفراد ليس عددهم بالكبير .
أما الأملاك الصغيرة التي يملكها الفلاحون ولا يزيد واحدتها على خمسة فدادين
فمساحتها دون مليوني فدان .

وقد نشأ عن ازدياد سكان القطر ضرورة ملحة لاصلاح زراعي يتناول ملكية
الأرض وإيجارها والعمل فيها ، وهي الموضوعات الثلاثة التي عالجها المؤلف في كتابه .
ففي الموضوع الأول يرى تقييد الملكية الكبيرة بأن يكون الحد الأعلى
لها مائة فدان مصري ، فلا يجوز للشخص الواحد ان يتتاع أكثر منها . وليس
من رأي المؤلف ان تعتمد الحكومة الى شراء الأملاك الكبيرة الحاضرة جبراً ،
وبيعها من الفلاحين على أقساط (وهو ماتم في بعض البلاد الأوربية) ، بل من
رأيه ان تترك هذه الأملاك لأصحابها ، فتتلاشى مع الزمن بانتقالها الى الورثاء ،
ما دام كل شخص يملك ملكاً كبيراً يكون بحكم القانون المقترح غير قادر
على تزييد مساحته بطريقة الفراغ أي الشراء .

ويرى المؤلف ان ثلاثة أفدنة مصرية تكفي لمعيشة فلاح وأسرته فتكون
هذه المساحة حداً أدنى للملكية الصغيرة . ومن رأيه إلغاء الأوقاف الذرية ،
وحصر أملاك الدولة وأملاك الشركات العقارية الزراعية على إيجاد الملكية الصغيرة ،
وإجمال القطع المجزأة على حسب الطريقة التي تنبعها مصلحة التأريف (المساحة)
في ديار الشام . وجميع هذه الآراء حسنة وتطبيقها غير صعب على من عندهم
مضاء في العزيمة .

أما ما نرى فيه صعوبة فهو رأيه في اتخاذ حد أعلى لأجرة الأرض وحد
أدنى لأجرة العامل الزراعي . والصعوبة منبعثة من كون ازدياد السكان في مصر

(١) الفدان المصري أربعة دغمت نظامية وعشرون في المثلث من الدونم أي (٢٢٠٠) مدر مربع .

بفوق كثيراً ازدياد الأرض التي تجهز للفلاحة في ذلك القطر الثقيق . ولهذا لا بد في هذا الأمر ان يعمل قانون المزاومة عمله او ان يبقى قسم من الفلاحين بلا عمل . ومعا يمكن الدواء الذي ورد في ذلك الكتاب الثمين مفيداً ونافعاً وضرورياً فهو في نظرنا لا يحول دون حاجة الفلاح المصري في المستقبل الى مهجر يعمل فيه كالسودان المصري والعراق والجزيرة ، اللهم الا اذا تمكنت الحكومة المصرية من ايجاد ارض زراعية جديدة في القطر المصري نفسه .

وبعد انني انصح كل رجل يعني بالشؤون الزراعية ان يقرأ هذا الكتاب النفيس .

م . س

~~~~~

### جغرافية شبه جزيرة العرب

تأليف السيد عمر رضا كحالة طبع في مطبعة الترقى بدمشق

سنة ١٣٦٤ - ١٩٤٥ ص ٥٩٧ ( القطع الكبير )

اعتمد الأستاذ كحالة في تأليف كتابه على مصادر شرقية وغربية منها القديم ومنها الحديث فدلّ على سعة نفس ودؤوب محمود . وقد قام بواجب نحو قراء العربية فأخرج لهم كتاباً جامعاً شتات المعلومات المتفرقة عن الجزيرة توسع في النقل وقد يورد النصوص برمتها او بكثير من شرح اشياء في الحاشية ليست داخلية في الموضوع . وحذا لو جرى قلم مؤلف هذه الجغرافية في كتابة مختصر لهذا الكتاب تحذف فيه الأسانيد او اكثرها ويكتفي من النقول بما يتعلق بجغرافية الجزيرة مباشرة حتى يتناول الكتاب كل من 'يجب الانتفاع به في وقت قليل . وقد جود المؤلف في وضع فهرس لكتابه كفهرس البلدان والرجال والشعوب والقبائل والمذاهب والحكومات والكتب . فسهل بذلك على المراجعين فشكراً له على ما بذل من العناية بهذا التأليف الطريف .

محمد كرد علي

~~~~~

م (٦)

ديوان الغزي (مخطوط)

هو ابراهيم بن عثمان الغزي الشاعر المجيد المتوفى سنة ٥٢٤ هـ كان له في عصره شهرة ذائعة وصيت بعيد عرف أدباء تلك العصور مكانته واعتبروا بتفوقه وشهدوا ببراعته . وتناقلوا شعره في كثير من كتبهم واستشهد علماء البلاغة بالكثير من شعره ومعانيه البديعة وحسن صناعته الشعرية .

وترجمه معاصروه وأهل قرنه واثنوا عليه وأول هؤلاء على ما رأيت الإمام الحافظ ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١ هـ في تاريخه الكبير ، والإمام الأديب أبو البركات عبد الرحمن الأنباري في نزهة الألباء . والعماد الكاتب المتوفى سنة ٥٩٧ هـ في خريدته وتلا هؤلاء ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ هـ فقد نقل شيئاً من شعره في معجم البلدان وابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ في تاريخه الكبير المعروف بالكامل . والحافظ محب الدين ابن النجار المتوفى سنة ٦٤٣ هـ في تاريخ بغداد وابن خلكان في وفيات الأعيان . وذكره من أهل القرن الثامن أبو الفدا في تاريخه المشهور والحافظ ابن كثير في البداية والنهاية . ومن أهل القرن الحادي عشر ابن العماد الحلبي في شذرات الذهب . والأديب محمد العرضي الحلبي في مجموعته الخطية .

تأثر الأديب عليه وعلى شعره واستشهد بهم .

قال الأنباري في النزهة : وأما ابراهيم بن عثمان بن محمد الغزي فكان أحد الفضلاء ومن يضرب به المثل في صنعة الشعر ونحاسن شعره كثيرة فمنها قوله :

ان يكرهوا نظم القريض فعذرهم باد كحاشية الرداء المعلم
هم محرمون عن المناقب والعلا والشعر طيب لا يحل للمحرم
ومنها قوله :

قالوا تركت الشعر فلت ضرورة^(١) باب الدواعي والبواعث مغلق
لم يبق في الدنيا كريم يرتجى^(٢) منه النوال ولا مليح يعشق

(١) في ابن خلكان وفي ديوانه : قالوا هبرت الخ .

(٢) في ديوانه وأما كن متعددة هكذا : خلت الديار فلا كريم يرتجى

ومن العجائب أنه لا يشتري ويخاف فيه مع الكساد ويسرق
ثم قال: وكان أبو الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الطبري الأديب يقول غير
مرة في المذاكرة إذا استحسن شيئاً من شعر نفسه . هذا يشبه شعر الغزي .
وقال ابن خلكان في ترجمته : ذكره ابن النجار في تاريخ بغداد .
وابن عساكر في تاريخ دمشق . والعماد الكاتب في الخريدة وأثنى عليه وقال أنه
جانب البلاد وتغرب وأكثر النقل والحركات وتغلغل في أقطار خراسان وكرمان
ولقي الناس ومدح ناصر الدين مكرم بن العلاء وزير كرمان بقصيدته البائية التي
يقول فيها ولقد أبدع فيه :

حملنا من الأيام ما لا نطيعه كما حمل العظم الكبير العصابا
ومنها في قصر الليل وهو معنى لطيف :

ليل رجونا أن يدب عذاره فما اختط حتى صار بالفجر شائبا
ثم قال وله في القصائد والمطولات كل بديع . ومن شعره وهو مما يستملحه
الأدباء ويستظرفونه قوله من جملة قصيدة :

أشارة منك تكفيني واحسن ما رد السلام غداة البين بالعم
حتى إذا ضاع منها القرط من دهر وانحل بالضم سلك العقد في الظلم
تبسبت فأضاء الليل فالتقطت حبات منتثر في ضوء متظلم
وقال أبو الفدا في حوادث سنة ٥٢٤ وفيها توفي إبراهيم بن عثمان الغزي .
ومولده سنة ٤٤١ وهو من الشعراء المجيدين فمن قصائده المشهورة قصيدته التي
مدح فيها الترك التي أولها :

أط عن الدرر الزهر اليواقيتا واجعل لحج تلاقينا مواقيتا
ومنها : في فتية من جيوش الترك ما تركت للرعد كراتهم صوتاً ولا صيتا
قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة حسناً وإن قوتلوا كانوا عفاريتا

وقال العماد الخبلي في الشذرات في وفيات سنة ٥٢٤ وفيها أبو اسحاق الغزي
إبراهيم بن عثمان شاعر العصر وحامل لواء القريض وشعره كثير قاله (الذهبي)
في العبر . وقد أكثر الصلاح الصندي من الاستشهاد بشعره في مواضع كثيرة

من شرحه للامية العجم . وجاء في آخر معاهد التلخيص في شرح شواهد
التلخيص للعلامة عبد الرحيم العباسي في شرح قوله :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبرية شامل
اليث من الطويل ونسب لأبي العلاء المعري ونسبه ابن فضل الله لأبي الطيب
المتنبي ولم أره في ديوان واحد منها والشاهد فيه حسن الانتهاء . اهـ
اقول اليث ليس لواحد من هذين . وهو لصاحبنا الغزي وهو موجود
في ديوانه المخطوط الآتي ذكره . وهو آخر بيت من قصيدة يمدح بها
مكرم بن العلاء مظهرها :

قلوب الوري اشرا كهن الشمائل وشهب العلا افلا كهن الفضائل
على ان العباسي نفسه انشد للغزي بعد اسطر من هذا الباب قوله :
بقيت بقاء الدهر ما ذر شارق وغار جديد المكرمات وانجدا

ديوانه

في رحلتي الى اللاذقية من نحو ١٥ عاماً زرت تقيب اشرفها الفاضل الشيخ
محمد محاسن الأزهرى قاضي الموصل قديماً فن جملة ما وجدته في مكتبته القيمة
نسخة مخطوطة من معجم البلدان لياقوت . ونسخة مخطوطة من ديوان ابي اسحاق
الغزي وقيدت ذلك عندي . ومنذ ثلاث سنوات حضر أحد انجالة الى حلب
فأعربت له عن رغبتى في استنساخ هذا الديوان . فذكر ذلك لوالده فكان
المنعم المتفضل بإعارته وارساله مع ولده . وقد كتب قديماً على ظاهره بخطه
الحسن . استنسخه الفقير محمد بن خالد بن خليل الأزهرى الحسينى اللاذقي النائب
بف مركز ولاية الموصل عنا الله تعالى عنهم في ٢٢ محرم سنة ١٣١٨ .
وتحت ذلك بخطه مانعه :

استنسخ ولم يقابل على الأصل لما فيه من التحريف والتصحيف . فعلى هذا
النسخة محررة في الموصل عن نسخة هناك . ويظهر انها منقولة عن النسخة التي
هي في مكتبة امين بك بن ايوب بك الجليلي وهي مكتبة خاصة ذكرها الدكتور

الفاضل داود الجلي في كتابه مخطوطات الموصل وقال ان من جملتها ديوان ابي اسحق الغزي (تام محرر سنة ١٩٤) ولم يذكر غيرها في مكاتب الموصل .

استغالي بهذا الديوان

رتبت هذا الديوان على حروف الأبيجدة ثم كتبت ناسخاً باستنساخه على مقتضى ترتيبه له على ما فيه من تحريف وتصحيف والقصد من ذلك ان تسهل علي مقارنة ما أجده من شعره في ترجمته المذكورة في تواريخ متعددة وما اثر عليه في كتب الأدب كشرح الصلاح العفدي للامية العجم فقد أكثر فيه من شعره وكجهرعة مخطوطة عندي مخرومة الأول والآخر للأديب الشيخ محمد العرضي الملبى فقد ذكر له سبع صحائف .

على ان الغزي وان كان قد تنوسي في القرون الأخيرة فقد تنبه له في عصرنا هذا فاضلان جليلان الأول الشاعر الكبير السيد محمود سامي باشا البارودي المتوفى سنة ١٣٢٢ هـ فانه ذكر صاحبنا في مختاراته التي جمع فيها ما اختاره من شعر ثلاثين شاعراً من فحول الشعراء مرددم في خطبة كتابه . ذكر له في الجزء الأول في باب الأدب ١٢٥ بيتاً وفي الجزء الثالث في باب المديح ٢٨٥ بيتاً وفي الجزء الرابع ١٠٥ المجموع ١٠١٥ بيتاً .

الثاني صديقنا وزميلنا الفاضل الأديب الشيخ بهجة الأثري البغدادي فقد كتب عنه مقالة ضافية في مجلة الزهراء المصرية (ج ٤ م ٣) ربيع الثاني سنة ١٣٤٥ أي منذ تسعة عشر عاماً . قال في مطلعها منذ ثلاثة أعوام تقريباً اطلعت على ديوان صغير لهذا الشاعر فراقني شعره وعلفت منه في ذهني أبيات رقيقة لم يكدهم يحوها من صحيفة ذاكرتي كز القداة ومر العشي فكانت سبباً لاثارة البحث عن قائلها ونشر صحيفته بعد ان طوتها يد الدهر منذ أزمان . ثم بعد ترجمته التي نقلها عن ابن الأثير في كامله وعن ابن خلكان قال : اما نسخة الديوان التي بيدنا فهي متقيمة الخط كثيرة الغلط ولعل عمرها لم يبلغ قرناً واحداً . وهنا علق صديقنا الأديب الجليل السيد محب الدين الخطيب على هذه العبارة ما خلاصته : ونحن لا عجباً بهذا المقال واهتمامنا بهذا الموضوع بحثاً عن ديوان الغزي في القاهرة فوجدنا نسخة منه في خزانة علامتنا الجليل الأستاذ احمد تيمور باشا والنسخة كُتبت سنة ١٢٧٦ هـ ٦٠ وصفحاتها ٢٢٣ واسطر الصحيفة ٢٥

ثم ذكر السيد الأثري خطبة النسخة البغدادية للناظم وقد جاء في آخرها :
وقد جمعت له مما قلت فيه وفي غيره ألف بيت . وكذلك يقول لنا ابن خلكان :
وله ديوان شعر اختاره لنفسه وذكر في خطبته انه ألف بيت . والنسخة المصرية
كما ترى تبلغ ٥٥٠٠ بيت . وقد جاء في خطبة النسخة التي نقلنا عنها نسختنا .
وقد جمعت له مما قلت فيه وفي غيره نبذة خمسة آلاف بيت الخ وهي في ١٦٥
صحيفة كل صحيفة ٣٣ سطراً فيكون المجموع نحو ٥٥٠٠ بيت كالنسخة المصرية .
فعلى هذا تكون كلمة خمسة قد سقطت من تاريخ ابن خلكان ومن النسخة البغدادية .
على ان السيد الأثري قال . وقد جد بنا الحرص على احصاء آيات نسختنا
فاذا هي تنيف على (١٢٥٠) بيتاً اه ولعل الناظم او غيره اقتضب من الديوان
هذا المقدار وعلى هذه النسخة اطلع ابن خلكان وغيره وذكر ان ديوانه في
الف بيت ان لم تكن كلمة خمسة قد سقطت من تاريخه . والنسخة الموصلية التي
هي أم نسخة اللاذقية . والنسخة المصرية اتفقتا على ان ديوانه ازيد من خمسة آلاف
بيت . ثم أورد السيد الأثري في مقاله سبع صحائف من شعره . ثم قال وفي الجملة
فان جل هذا لديوان ان لم أقل كله درر وضرر تشهد للغزي بالبراعة في الصناعة ولو لم
يكن فيه سوى ما أزعجناه بين يديك من المقاطيع السحرة والآيات السائرة لكفى .
فما في هذه المقالة من شعره وما في مجموعة الأدب العرضي الحلبي وما في
مختارات البارودي وما في ترجمته في عدة مواضع وما في شرح لامية العجم
وما في المعجم لياقوت كل ذلك قابلته على النسخة التي استنسختها وصححته بقدر الامكان
وذلك بقرب من نحو نصف الديوان . ووجدت له فيما تقدم احدى وثلاثين بيتاً
لا وجود لها في نسختنا فاثبتتها في الآخر مع العزو الى الكتاب الذي وجدت فيه .
وفي دار الكتب المصرية نسخة تحت رقم (١٢٢) في قسم الأدب بقطع الربع في
(١٢١) ورقة بخط معتدل الى الجودة أقرب وعلى حواشيه تفسيرات وتوضيحات
تفيد أن قارئه أو مالكه كان على علم باللغة والشعر . وخط الديوان واحد من
أوله الى آخره بخط عمر بن محمد مشعل العلوي فرغ منه سنة ١٠٩٩
ولاعادة النظر فيما صححناه ولتصحيح الباقي فتحتاج الى النسخة المصرية ليكون
هذا الديوان صالحاً للنشر وليستفاد من شعره ودرره .

آراء وأنباء انتخاب عضو عامل

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في ٣ كانون الثاني سنة ١٩٤٦
الدكتور حسني سبوح رئيس الجامعة السورية عضواً عاملاً في المجمع مكان
المرحوم الأستاذ أديب التقي . وقد صدر بذلك مرسوم جمهوري رقم ٨١
مؤرخ في ١٩ كانون الثاني سنة ١٩٤٦



التنبؤ فارسية الأصل

قرأت في مجلة المجمع العلمي العربي في مجلدها العشرين ص ٣١٠ و ٤٠٧
مقالة للعلامة عبد القادر المغربي عنوانها (قنبرة ؟ قنبلة ؟) قصد فيها البحث عن
منشأ هاتين الكلمتين وانتهى في بحثه الى انها فرنسية الأصل من كانونبور
محرفة ومقلوبة من بور و كانون Bourre de canon حسب الاضافة التركية
فأردت أن أبين منشأ كلمة قنبلة أو قنبرة الحقيقي ، موثقاً ان الأستاذ لا بد أن
يسر بالأبحاث التي تؤدي الى الحقائق اللغوية وان جاءت مخالفة لرأيه . وخاصة
بعد أن أظهر في مقالته انه غير متأكد مما ذهب اليه ، فقد قال في ص ٣١١ :
« فالتنبؤ اذن سبقت اسمها على جهالة أصلها وغموض نسبها متمكنة في السنتنا . الخ »
وقال في ص ٤١٥ : « ذلك ان نبقى متمسكين به [بما ذهب اليه] ما دمنا لم
نجد قولاً أقوى ، وتقللاً أرضى . حتى اذا وجدناه جنحنا اليه وعولنا عليه » .
فأبادر الى القول ان اصل خميرة وخنبرة وقومبارة وقنبرة وقنبلة هو
(خمبارة) الفارسية . وهذه مركبة من كلمتين : ('خم ') بضم الخاء المعجمة واسكان
الميم ، (وبارة) : فنّ معاني خم الحب وهو الزير والخاوية . وكلمة حب نفسها
محرفة من خم ، أو من كلمة ('خنب ') بضم الخاء واسكان الميم والباء وهو الزير

الكبير ، والدن ؛ أخذها العراقيون من الفرس بحكم المخالطة والجوار وحرفوها الى حب . ومن معاني خم أيضا تقارة كبيرة من شبه كانوا يضربونها في الحروب . وأما بارة فمن معانيها السور وجدار القلعة . فيكون معنى خمارة حب السور ، أو قل تقارة السور ، سموها بهذا الاسم تشبيها بالحب أو بالنقارة لأنها مخوفة وأضافوها الى السور لأنها ترمى من على الأسوار للدفاع عن القلاع والمدن أو تضرب بها الأسوار والقلاع لهدمها . أو لأنها عند انفلاقها يسمع منها صوت كصوت النقارة الكبيرة عند ضربها . وأرجح أنها مأخوذة من المعنى الأول أي من معنى الحب . وظهر لي ان الفرس أنفسهم خففوا كلمة خمارة فقالوا (خميرة) وأرادوا بها الزير الصغير وقذيفة المدفع هذه المخوفة هكذا وجدت في الترجمة التركية للمعجم الفارسي المسمى (برهان قاطع) . ولا أرى حاجة الى بيان انتقال كلمة الخميرة الى ان صارت قبلة فهو مفهوم من كلام الأستاذ نفسه . وأقرب الكلمات الى الأصل الخميرة .

كانت الخميرة تصنع من حديد وتبلى جوفها من فوهة فيها بالبارود وبقطع حديد وكرات صغيرة من الحجارة وما أشبه ، وكانت توضع لها فتيلة وتقذف بمدفع هاون . وكانت الغاية من استعمالها السحق والهدم بجرمها ونشر مرميات كثيرة عند انفجارها وإحداث الحريق من اشتعال بارودها . ولذلك ورد في كلام الأمير حيدر الشهابي الذي نقله الأستاذ المغربي قوله : « وقد ضرب من عكا قبلة وفقت ثلاث عشرة كلة » .

وأما الكلة فكانت كرة مصمتة ، وكانت تصنع من الحجارة ، ثم صنعت من حديد أيضا . وكانت تقذف بمدفع أملس الداخل والغاية منها الهدم فقط . حتى اذا ما اخترعت المدافع المحرزة الداخل بطل استعمالها .

نرى في كلام حيدر الشهابي قوله : « وصارت القناير والكال تنساقط على القلعة مثل المطر » وقوله : « في ليلة واحدة انجاب اثني عشر الف قطعة من كالل وقناير » وتوله : « وجد ابراهيم باشا في يافا كال ٧٠٠٠ ، قناير ٢٠٠ » ومثله قول

الخوارج يقولون لا ترك : « الكلل والقنابر » و « اندفقت عليهم الكلل والقنابر » .
 فلو كانت الكلة والقنبرة شيئاً واحداً لا كنتي هذان المؤرخان بأحد الاسمين .
 فكان على الباحث التفريق بينهما .

وعلى ذكر الكلل أقول جاء في مقالة الأستاذ أنه يرى ان اسم كلمة أتى من
 مشابهتها للكلمة التي تلعب بها الصبيان ، وان بعضهم يراها مأخوذة من كلمة
 الخنفة من كلاء . وقال آخر انها محرفة من كلمة كرة العربية . أقول ان كلمة
 كلمة ، سواء فيها الكرة الصغيرة التي يلعب بها الصبيان وقذيفة المدفع المصمتة ،
 هي من (جَلَّة) الفارسية بضم الجيم وتشديد اللام وفتحها وظهر الهاء ، ومعناها
 كرة . ومنها الجلاهق . وكأنها جمع جلة . جاء في القاموس : الجلاهق كعلايط
 البندق الذي يرمى به وأصله بالفارسية جلة وهي كبة غزل . ا هـ . وأنا لا أشك
 في أن كرة ، التي نزلها عربية ، هي أيضاً محرفة ومعربة من جله .

أما كلمة المدفع فيقابلها بالفرنسية boulet ، وأما boule فتطلق على كل جسم
 كروي . والخمبرة هي ال bombe . وأما القذيفة فيقابلها projectile وتطلق على
 كل ما يقذف ، سواء أذف باليد أم بالمقلاع أم بالقوس أم بالبندقية أم بالمدفع
 أم بالرشاش أم بغيرها . فيجب تخصيص اسم لكل نوع من القذائف على حدة .
 والطلقة أو الاطلاقة يقابلها coup ، و bourre هي الدكة .

ذكر الأستاذ انه لم يجد كلمة قبلية في المعاجم الفارسية . هذا شيء طبعي ،
 لأن قبلية ليست فارسية ولو أنها فارسية الأصل . فلو قش عن كلمة خمبرة
 أو خمبرة لوجدتها .

وقال انه سأل أحد أفاضل الإيرانيين هل كلمة قبلية فارسية ، فاجاب كلا
 ليست فارسية . حقاً للإيراني ان يجب بالنفي على هذا السؤال . لكن لو كان
 سأل : ماذا تسمون بالفارسية قذيفة المدفع المجوفة القديمة التي كانت تصنع من
 حديد وتحشى بالبارود وقطع الحديد وصغار الكرات ؟ لأجاب : خمبرة .

البركتور داود الجلي

الموصل

كل ما استفدناه من كلام الدكتور الفاضل أنه أعرب عن رأيه الشخصي في أن كلمة (خميرة) فارسية وإن أصلها (خمبارة) : (خم) بمعنى خاية و (بارة) بمعنى سور القلعة . فالخميرة معناها خاية السور . وقد أطلقها الإيرانيون على قذيفة المدفع . واتفق لي أن اجتمعت بالدكتور حشمت معين الإيراني فسألته عن فارسية خميرة : فقال إنما معشر الإيرانيين نستعملها منذ نحو قرنين في الشعر والنثر ولا نعلم من أية لغة جاءت ولا ما هو أصلها بالتحقيق فكان يحسن بالدكتور الجلي أن ينقل إلينا رأي علماء إيران في هذه الكلمة ولا يكتفي بقوله سموها . وما نقله عن (يرحان قاطع) إنما أفادنا أن (خميرة) تطلق على الزير الصغير وعلى قذيفة المدفع وقد سكنت عن بيان أصلها . ولقائل أن يقول إن مسكوتته يشير بأنها فارسية ما دام معجمه إنما وضع لتدوين الكلمات الفارسية . ونرد هذا بأن شمس الدين نساجي ذكر في معجمه كلمة (خميرة) ولم يشر إلى أنها فارسية يرمن (فا) ولا عربية يرمن (ع) فدل على أنها تركية لأن معجمه إنما دون فيه الكلمات التركية . وربما ذكرت المعاجم العربية أيضاً كلمة (قنبرة) التي هي أخت (خميرة) وفسرتها بقذيفة المدفع ولم تشر إلى أصلها بل إن بعض كتاب العرب يدعي بأن قنبرة عربية مأخوذة من معنى جماعة الخيل . وإن قنبرة عربية أيضاً مأخوذة من اسم الطائر . فاللغات الثلاث إذن تدعيها باديء بدء . وإذا حققت مع أربابها طالباً الدليل على قولهم انتهى الجدل مع كل منهم إلى أنهم يعدونها بين الفاظ لغتهم لكونها دخيلة مستعملة في مشورهم ومنظومهم . أما أصلها فلم يقصد له أحد على ما نعلم كما تصدينا نحن بتفصيل مسهب شرحنا فيه الظروف والمناصب التاريخية التي نشأت في خلالها كلمات (قنبرة وقنبرة وخميرة) وبأيت زميلنا الدكتور أشار إلى كيفية نشوء (خميرة) في لغة الفرس وتولدتها على ألسنتهم وأمنة أعلامهم . وفي أي عصر نبتت . وعلى أية طريقة وقع التوليد فيها . وما هي الظروف التي جعلت علماء إيران يشتقون ويتجوزون . وضباطهم وجنودهم يلفظون ويستعملون . مع أن الذين أخذنا عنهم القباير وصنع القباير ليسوا من الترك ولا الفرس ولا العرب . وقد حملوا إلينا القنبلة أو (القنبرة) وحملوا معها اسمها بلمتهم فتلقناها منهم . وأفرغه كل منا — ترك وعرب وفرس — في قوالب لغته . وجرم من لهجته . وما ذكره الدكتور رأي من جملة الآراء في أصل (خميرة وقنبرة) ليس هو بالقول الفصل . وإن دل على سعة العلم والفضل . العربي

تعليقات على مقال (دور كتب فلسطين ونقائس مخطوطاتها)

أخذ الدكتور الفاضل أسعد طلس بنشر مقاله الممتع « دور كتب فلسطين ونقائس مخطوطاتها » الذي أشبعه بحثاً وتدقيقاً في مجلة المجمع العلمي العربي وقد أجاد وأفاد وقد وقعتُ أثناء مطالعتي على بعض أمور تحتاج إلى التعليق على هذا البحث النفيس فبحث بهذه الملاحظات خدمةً للعلم والأدب وإتماماً للعمل الجليل الذي قام به فأقول :

١ - خزانة الكتب التي بصاحبة سلوان

جاء في المجلة (م ٢ ص ٢٣٩) أن في صاحبة سلوان خزانة غنية يربو عدد كتبها على أربعة آلاف قد يكون بينها مخطوطات قيمة وإن صاحب تلك الخزانة هو الشيخ محمود اللحام .

ويظهر أن الدكتور الذي لم يُتَّح له زيارة الخزانة ولا الاطلاع على كتبها اعتمد رواية بعض الذين أخطأوا في تحقيق اسم صاحب الخزانة فتلقاها عنهم ولا لوم عليه ولا تثريب في ذلك . أما الخزانة فهي للشيخ محمد جمعة التجار واعظ السجن المركزي في بيت المقدس وقراها وهي تشمل على المقدار المذكور إلا أنها تقتصر على الكتب المطبوعة وليس فيها شيء من المخطوطات كما ذكر لي صاحبها ذلك .

٢ - دار كتب المسجد الأقصى ورابعة سلطان المغرب

وصف الدكتور الربعة الشريفة التي كان خطها يمينه علي بن عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق المريني ملك المغرب سنة ٧٤٥ في ثلاثين جزءاً ويظهر أن الدكتور لم يطلع على أن خمسة أجزاء من هذه الربعة المكتوبة في الرق قد فقدت فوضع مكانها خمسة أجزاء كتبت في ورق صفيق بالحروف المغربية كأصلها وكان فقدتها قبل ١٤٥ سنة تقريباً كما أن جزءاً من الأجزاء الأصلية قد سُرق من المسجد الأقصى في السنين الأخيرة وأخرج من فلسطين وقد ذهبت مساعي المجلس الإسلامي الأعلى وحكومة فلسطين في سبيل استرداده عبثاً في فلسطين ومصر .

وهذه الربعة كان مدادها الذي كتبت فيه من قيت المسك ودهن الورد وربما أضيف إليها أحياناً الزعفران الشجري وهي ثلاثة ثلاث ربعات شريفة كتبها ذلك

الملك أولها بيت الله الحرام وثانيتهما لمسجد الرسول عليه الصلاة والسلام والثالثة للمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله .

وقد وصفت هذه الربعة قبل سرقة الجزء الآخر في مجلة النتج في المجلد الخامس (ص ٥٩٠ و ٥٩٠ ومن ص ٦٠٥ الى ص ٦٠٧) وأتيت في هاتين المقاليتين على اعيان الوقف التي وقفها الملك على قراءة ربعته الشريفة في المسجد الأقصى واستطردت الى ان الربعتين اللتين كتبنا يرسم مكة والمدينة لم نعلم عن وجودهما فيهما .

٣ - صاحب مختار الصحاح

ذكر الدكتور في (م ٢٠ ص ٣٤٧) كتاب جامع الأصول لأحاديث الرسول من مخطوطات دار الكتب الخالدية وقال عنه انه كتب على هامش الجزء التاسع منه ابن محمد بن أبي بكر الرازي صاحب مختار الصحاح المتوفى سنة ٧٢٠ (كذا) قد قرأه على الصدر القونوي المتوفى سنة ٦٧٣ وكانت قراءته عليه سنة ٦٦٦ . ان صاحب كشف الظنون عندما تطرق الى ذكر مختار الصحاح قال ان صاحبه توفي بعد سنة ٧٦٠ وأظن ان الدكتور كتبها كذلك سنة ٧٦٠ الا ان منضد الحروف أخطأ فجعلها ٧٢٠ كما تقدم وحصل ذلك الخطأ . الا ان تاريخ وفاة صاحب مختار الصحاح كانت بعد سنة ٦٦٦ التي قرأ كتابه على الصدر القونوي فيها وقد تكون امتدت حياته الى ما بعد سنة ٦٩١ حيث ألف كتاب روضة الفصاحة يرسم السلطان المنصور نجم الدين غازي بن قرا أرسلان الأرتقي الذي ارتقى عرش آبائه في ملك ماردين سنة ٦٩١ اذ لا يعقل ان يقرأ كتابه على الصدر القونوي ثم يعيش الى سنة ٧٦٠ وقد كنت كتبت مقالة مسببة عن صاحب مختار الصحاح في مجلة المجمع « م ٨ من ص ٦٤٦ الى ٦٦٥ »

٤ - ابن الهائم

ذكر الدكتور ان كتاب « تعاليق على الخصائص النبوية » في الخالدية أيضاً هو من تأليف ابي العباس الشهاب احمد بن محمد بن المائم الحاسب القرصي (م ٢٠ ص ٣٤٧) « هذا المؤلف دفن بيت المقدس الذي كان اختار الإقامة فيه في أواخر أيام حياته

وهو يرقد في مقبرة مأمن الله التي تضم المئات من عظماء المسلمين وعلمائهم بالقرب من مغارة شهداء الحروب الصليبية وعدتهم سبعون ألفاً وبهذه المناسبة أشير الى ان نسخة مخطوطة من كتاب « المناسخة في عمل الثبّاك » الذي اخترعه واستخرجه في علم الفرائض في خزانة كتي . ويرجح ان هذين المخطوطين ألفهما ابن الهائم في جوار المسجد الأقصى حيث كان يقيم في دار حداية الله .

٥ - ابن زوج ابي عذبية

قال الدكتور ان كتاب قصص الأنبياء لأحمد بن محمد بن عمر المقدمي الشافعي من مخطوطات دار الكتب الخالدية كتب على صدره أن احمد هذا شهر بابن أبي عدسة ومع ان عبد الرحمن بن محمد بن مجير الدين الحنبلي مؤرخ القدس والخليل يقول عنه ابن زوجة أبي عذبية فان زميلنا الأستاذ كاظم الدجيلي قال عنه ابن أبي عدسة في مجلة الهلال (م ٢٨ ص ٦١٧) بصدد نسخة التاريخ المطول المحفوظ في مكتبة آل جميل ببغداد أقول ان زميلنا الأستاذ عيسى إسكندر المعلوم ذكره أيضاً باسم ابن ابي عدسة تقيلاً عما جاء في النسخة المحفوظة في مكتبة آل الحسيني بدمشق (م ٢٨ ص ٩٢٦ من مجلة الهلال نفسها) .

وقد كنتُ علقتُ على المقالين المذكورين في مجلة الهلال أيضاً (م ٣٠ ص ٨٦٢) مايلي : « قصص الأنبياء عليهم السلام في مجلد ضخيم كتب بأوله : « جمع كاتبه الفقير الى الله تعالى احمد بن محمد القدسي الشافعي الشهير بابن أبي عدسة » ولكنه استوقف نظري ان المداد الذي كتب به آخر الكلمة الأخيرة كان يظهر عليه الحدوث بالنسبة الى الكلمات الأولى التي يغلب عليها القدم فاشتبهت في الأمر وقرأت ما كتب بآخر الكتاب فاذا هو كما يأتي بالحرف :

« انتهى على يد مؤلفه الفقير الى رحمة ربه القدير احمد بن محمد بن عمر القدسي الشافعي الشهير بابن ابي عدسه (بدون نقط) لطف الله تعالى به آمين آمين والحمد لله رب العالمين وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

ولشدّ ما كان دهشي عندما أنعمت النظر فوجدت ان الكلمة التي بدون إجماع قد أزيلت نقطها بآلة حادة كالومني لم يترك لها إلا فتحة على الحرف الذي

قبل الهاء مما يبعث على الظن أن الكلمة عدبنة أو عذينة أو ما شئت غير عدسة .
 وذكرت في هذا التعليق أنني وقعت في الأتس الجليل في تاريخ القدس والخليل
 لعبد الرحمن بن محمد بن مجير الدين الحنبلي على ما اطلع عليه الدكتور طلس من النسبة الصحيحة .
 ولعل السبب الذي حمل من صحيح النسبة من الناس على ذلك العمل هو
 ما أورده صاحب الأتس الجليل من أن المؤلف أورد في تاريخه المطول والآخر
 المختصر أشياء فاحشة من ثلب أعراض الناس فأعده بعض المطلعين عليه ضناً
 بكرامات من تناول المؤلف بالطعن والتشنيع . ويقول صاحب الأتس أن التاريخ
 المطول لم يظهر بعد وفاته كما أن التاريخ المختصر لم يبق منه إلا بعض كراريس مشرقة .

٦ - محمد بن نحر الاسلام الخيري

أورد الدكتور طلس بين مخطوطات دار الكتب الخالدية (المجمع م ٢١ ص ٥٤)
 رسالة «الشهاب القابس في البيع والكنائس» لمحمد بن نحر الاسلام الخيري
 المكتوبة سنة ١٠٨٢ وقال انه لم يهتد الي مؤلفها .
 أقول ان محمداً المذكور كان امام قبة الصخرة المشرفة في المسجد الأقصى .
 وله رسالة أخرى سماها «سؤال وجواب عن بيت المقدس» أتم تأليفها في أواخر
 جمادى الأولى سنة ١٠٨٢ . وهذه الرسالة في عداد المجموعة السابعة والأربعين
 من مجاميع الخالدية . وقد نسخها محمد فتح الله الديري في ١٤ شعبان سنة ١٠٩٠
 اما موضوع هذه الرسالة فهو سقف المكان الواقع بقربة بيت لحم والذي بداخله
 المغارة التي يقال ان بها مولد سيدنا عيسى عليه السلام واعادة بنائه بالخشب والرصاص
 كما كان في السابق وترميم بعض حوائطه وانه يحرم التعرض للنصارى في ذلك .
 ونسبة محمد الي الخيري تدل على انه ابن خير الدين الرملي الشهير المتوفى
 سنة ١٠٨١ وهو من مفاخر الاسلام حقاً .

وبعد فاني أشكر للدكتور اهتمامه وجهوده في بحث خزائن الكتب الفلسطينية
 وأخصه بالشكر على حسن ظنه بهذا العاجز مما يدل على طيب أرومة وحسن خلق
 وجزاه الله عن العلم خير الجزاء .

عبد الله خلص

السعينة والفند

رفاق النعال طيب حجزاتهم يحبون بالريحان يوم الساسب .
 والساسب يوم السعانيين عند النصارى والعامة تلفظيا « الثعانيين » والساسب جمع
 ساسب بمعنى المفازة وللإهود عيد المظال يخرجون به الى البراري فينصبون فيها مظال .
 والسعانيين جمع سعينة وهي الزفن أو مطلق المظلة وما زال المسيحيون يقرنون يوم
 الساسب بالمطر ومن أمثالهم الشائعة « السعينة دون مطر كالعروس دون جنة » .
 وكانت السعانيين عند النصارى سفا من النخيل يحتفلون بها تذكاراً لدخول
 المسيح الى بيت المقدس قبيل الفصح عندما استقبلته الجماهير بسعف النخيل ثم تطورت
 بانتشار المسيحية فاتخذت الرياحين وأغصان مختلف الاشجار عند فقدان النخيل ولكن
 سعف النخيل ما تزال واجبة اذا وجدت ولعل أبرز أشكالها أيام النابغة الرياحين .
 وتفنن المسيحيون في صنع السعانيين وما يزالون يتفننون وقد يجمعون بين النخيل
 والرياحين وأغصان الشجر وغيرها مما لا يزال متعة للناظر المتأمل .
 ومن التقاليد المرعية عندهم ان السعانيين تصنع شفاعاة لحفظ حياة الأطفال
 والأولاد ولذلك كثيراً ما يندر المسيحيون شمعات كبيرة تبلغ طول الطفل
 أو الولد يضمونها الى السعينة وكثيراً ما تزيد على المتر طولاً .
 وإذا كانت السعينة في أصلها غصناً أو فتناً أو فنداً وكلها بمعنى الغصن فن
 المقبول المقنع أن تسخى الشمعة الكبيرة التي تضم الى السعينة فنداً .
 أما استعمال أهل طرابلس للفند بمعنى الحزمة من الشمع فهو غير خاص بهم
 بل يستعمله عدد كبير من نصارى جبل لبنان « وهو ليس سهواً وقع فيه الأستاذ
 المغربي بعد عهده فيه » فان من السعانيين التي ما يزال النصارى يستعملونها الى
 اليوم ، نوعاً يزين بعدد من الشموع الصغيرة يحيط بالشمعة الكبيرة ، أو توضع
 وحدها فكان سعف النخيل تحولت فنوداً عند عدم وجودها وليس في كل بلدان
 النصارى نخيل فسميت السعينة غصناً أو فنداً ثم قرنت بالشمعة الكبيرة يختلف
 طولها باختلاف الولد الذي تصنع باسمه فسميت الشمعة فنداً وزين بعض السعانيين
 بحزمة من الشموع فأطلق على هذه الحزمة فند الشمع حنانمر .

فهرس الجزء الثالث والرابع من المجلد الحادى والعشرين

الصفحة	
٩٧	القول فى اتكأنا للأستاذ محمد كرد على .
١٠٧	أبو اخذيل العلاف للدكتور جميل صليبا .
١١٨	أقرب الموارد للأستاذ أحمد رضا .
١٢٦	المقصورة التاجية محمد أحمد دهمان .
١٣٣	المملك الظاهر بيبرس عبد القادر المغربي .
١٤١	رأس يحيى وزكريا محمد راغب الطباخ .
١٤٩	ضرب الحوطة على جميع الغوطة لابن طولون للدكتور أسعد طلس .

مخطوطات ومطبوعات

١٦٢	الدرر الفاخرة بآثر الملك العلويين بفاس الزاهرة للمرحوم الأستاذ عبد القادر المبارك
١٦٣	نظام جديد وحياة جديدة، الأداة الحكومية للأستاذ عارف النكدي .
١٦٧	العمل لمصر، بحث دولة وأحياء مجد
١٧١	سياسة الغد، برنامج سياسي واقتصادي واجتماعي
١٧٣	تاريخ المشايخ اليازجيين وأصهارهم
١٧٤	وادي الفرات ومشروع سد الهندية للأستاذ مصطفى الشهابي .
١٧٥	الأصلاح الزراعي
١٧٧	جغرافية شبه جزيرة العرب للأستاذ محمد كرد على .
١٧٨	ديوان الغزي (مخطوط) محمد راغب الطباخ .

آراء وأنباء

١٨٣	انتخاب عضو عامل
١٨٣	القبيلة فارسية الأصل للدكتور داود الجلي .
١٨٦	تعليق للأستاذ عبد القادر المغربي .
١٨٧	تعليقات على مقال (دور كتب فلسطين ونقائس مخطوطاتها) عبد الله مخلص .
١٩١	السعينة والقند حنا نمر .

مجلة المجمع العلمي العربي

أيار وحزيران سنة ١٩٤٦

جمادى الآخرة ورجب سنة ١٣٦٥

(١)

من عمل المجمعين

رأيت ألا ينفرط عقد هذا الحفل الكريم قبل أن أحدثكم حديثاً يهتم له من يحرص على سلامة العربية ويسر لانتشارها ووفائها بأغراض أمة متحضرة . أتيتكم بمثال مما يعمل أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، لا أقصد به الذود عن قصور قد ارتكبناه ، ولا أن أباهي بما تم على أيدينا وما أشار إليه الأستاذ الرئيس ، والأستاذ أمين السر يجزي في هذا الباب . وأريد أن أقرر فقط أن عمل المجمع لا ينتهي في عقود قليلة من السنين لأنه عمل شاق طويل . وكما يحتاج تحصيل العلم إلى أعوام يقتضي للانتاج فيه أعواماً وأعواماً . وتجويد كل عمل موقوف على أمور كثيرة وقد يعرف صاحب العمل نواقصه أكثر من غيره . المجالس في العادة تتناقش في المعاني ونحن معاشر المجمعين أو اللغويين قضت علينا صناعتنا أن نقصر مناقشاتنا في الألفاظ والسعيد منا من يأتي بكلمات تستيفها الأذواق جميعاً وتدخل في الكتب المدرسية من أيسر سبيل تصل إلى عقول الناشئة ، وكل لفظ تسارع الصحف إلى تبنيه يكتب له الرواج ، وعمل المجمع

(١) ألفت في مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاءة في اليوم الرابع عشر من يناير

١٩٢٦ (١٠ صفر ١٣٦٥)

محدود المهمة في نحت الألفاظ ، وعليه ترك البناء للمهندسين والبنائين ، ولسان حال كل واحد منا « عليّ نحت القوافي من معادنها » فنحن اذاً نحاثون لا بناؤون نستخرج من الأتقاض أو المقالع ما يحسن استخدامه في البنية الجديدة ، أعاننا الله على ما نلتقى من عنت وتعَب .

لا ترون رصيفاً من رصفاي بداخله اليأس من الظفر بطأته مهاشقت الشقة لبلوغ المقصود بل تشهدونه مغتبطاً مسروراً بما يرجو ان يقع عليه في مناجم اللغة وركازها . ونحن بعد ذلك اذا وقفنا الى تحقيق جزء صغير من أمانتنا في بث الفصيح ونبد العامي والأعجمي عددنا أنفسنا مخترعين ولكن لا من عيار مخترع الراديو والراديو مثلاً .

فالواحد منا اذا تعلقته همته بإيجاد كلمة تقابل الكلمة الافرنجية شائعة في لغات العلم على عهدنا ولم يوفق الى ايجادها يندب سوء حظه ويقف حيران « وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه » واذا عثر على لفظ ظنه موافقاً لغرضه في أداء المعنى الذي يريد ان يقابله بمثله بفرح ولا فرحة الحب بلقاء حبيبه وقد طال اقتراقها . وأجل ساعات المجمع ساعة يتناقش فيها أعضاؤه في وضع كلمة ، وبعج بأصوات الموالين والمعارضين ، وكل واحد يتصدى للدلاء برأيه بما يستخرج من محفوظه من الألفاظ . ومع ما يلاقي المجمعون من العناء في تحقيق غرضهم الشريف يعترض عليهم من يعرف ومن لا يعرف ويهزأ بعملهم كل من يبدو له أن ينسلي ، والكل يطالبونه بالكمال المطلق ، كأن أعمال الجامع كلها كملت ولم يبق منها ناقص الجهاز الا هذا المجمع الحديث .

ويح المجمع كم لقي من منخبة بعض الصحف التي ما تعففت عن أن تغمزه الفينة بعد الفينة لتضحك قراءها . وقدماً كانت الجامع العلمية موضوع دعاية لا يعذرنا على بطئها في اخراج اعمالها الا الراسخون في العلم من صفت نفوسهم عن الأغراض وحجب الانصاف اليهم .

وغفر الله لي بقدر ما دافعت عن المجمع في مصر والشام لتبرئته من التهمة التي ألصقوها به ظلماً ونسبوا إليه وضع لفظ « شاطر والمشطور والكأنخ بينهما » لكلمة سندويتش . وأعترف أنني ما تمكنت من اقتناع متعنت لأن هذه الكلمة الملصقة بالمجمع هي عندهم من الأدلة على عدم معرفته أو على الأقل على قلة ذوقه . وما زالت التهمة بحالها حتى شهادتها تنسل من الصحف الى الكتب ، لتثبت دعواهم على عدم اضطلاع المجمع بما وسد إليه . وكل من أحب ان يتندر إلينا يغمزنا غمزة خفيفة لذكرنا حفظه الله بما ارتكبناه من اثم بوضع هذه اللفظة « الوحشة » والله يتوب على العاصي اذا اناب ، أما بعض الآدميين فقل ان يتساحوا بهفوة يهفوها انسان وهم يتفاوضون عن جماع حسناته .

وغير نكير أن بعض اللغويين قد لا يراعون المقام في استعمال الفاظ استظهروها بفرضونها على الناس فرضاً لا يراعون اعتبارات العصر . وأذكر ان احد علماء اللغة في لبنان (رحمه الله) أصدر في القرن الماضي جريدة زراعية اسبوعية حشاها بكل ما في معاجم اللغة من عويص الألفاظ وكنت يومئذ آخذ الأدب عن المشايخ قدفت العدد الأول منها لأستاذي وكان اماماً في اللغة فقال لي هذه الجريدة لا تفهم بغير شرح فاشرحها لنا فصعدت بالأمر . واتفق ان كانت هوامش الجريدة متسعة فاستعنت بها على شرح الكلمات اللغوية حتى اصبحت صفحات تلك الصحيفة بمتنها وشرحها مثلاً من كتب الأزهريين الصفراء اختلط رأسها بذنبيها وامتزجت حواشيتها الأربع بنصها وفصها . حقيقة ان محرر الجريدة الزراعية اثبت براعة فائقة في اللغة ولكن كم كان ياترى عدد من فهموا من أهل اقلية ما خطته يمينه وأملته قريحته .

وأذكر ان احد المشتغلين باللغة نقل عن الافرنجية كتاباً من كتب الأطفال أتى فيه بالفاظ الزمخشري وابن منظور والفيروزبادي . ولفت نظره الى عقم طريقته في وضع الفاظ أمام أطفال لا يفهمها اكثر أساتذتهم فغضب . والغالب أن معظم اللغويين يحاولون لأول امرهم ان يسيروا على طريقة العلامة الشنقيطي

أجزل الله ثوابه في رصف شعره بما وعى من المفردات ، ثقيلة كانت أم خفيفة ،
ساغت في ذوق سامعها وقارئها أم لم تسغ .
وأغرب من كل أولئك أن يرمى علماء اللغة بضعف العقل حتى لقد قال رنان :
كان البحث في أصول اللغة ولا يزال عندنا سبباً من أسباب ضعف العقل
حقيقة ، وأرى أن من الحق بمكان عظيم ما قاله أحد مشاهير علماء الأمراض
العقلية لهدنا ، أن الأسباب الثلاثة التي دعت إلى جنون كثير من الناس وكانوا
من قبل من أرباب المدارك ، البحث في أصول اللغة والعشق والتعمق في اللاهوت
(البيولوجيا) أجازنا الله وإياكم من كل ضعف ولا سيما ضعف العقل .

* * *

والآن ننتقل بكم إلى الحديث اللغوي . في علمكم أيدكم الله أن الفساد
عرض لألسنة العرب بعد الفتح بقليل لمجاورة العجم ومداخلتهم . وكان هذا
الفساد يزيد وينقص بقدر بُعد العرب وقربهم من الجزيرة ، وقد سلمت اللغة
الفصحى في بعض الأرجاء إلى ما بعد القرن السادس من الهجرة كما كان من
شأن بعض قبائل اليمن لأنها كانت تعيش في أوديتها وجبالها بعيدة عن الأعاجم .
واحتفظ أهل الشام بكثير من الفصح لانعزال بعض سكانها في أقاليم يكاد
يكون الاتصال بينها معدوماً . وما كان الناس في القديم يرحلون كما نرحل
ويسنحون كما نسمح اليوم بهذه الكثرة ، ولا يتأزجون بمحيرتهم وغير جيرانهم
هذا التمازج ، ورأينا الشام تكثر فيها الألفاظ السريانية كما تكثر الألفاظ
النبطية والفارسية في العراق والقبطية في مصر . وبقيت في الشام ومصر والعراق
والحجاز الفاظ ليست بقليلة أصلها رومي وتركى . وكانت الفاظ الزراعة والفلاحة
في الشام سريانية والفاظ المدينة فارسية صقلتها الألسن فعاد أكثرها كأنه عربي
الأصل ودخلت في معاجمنا وأصبحنا لا نعرف غيرها .

فمن الألفاظ النبطية أو السريانية أي الأرامية الباقية في لهجة غوطة دمشق^(١)

(١) راجع ما نشرته في المجلدين الثامن عشر والتاسع عشر من مجلة المجمع العلمي العربي

نحت عنوان « الفصح والمولد في كلام أهل النواط » .

« شتل الغراس » أي غرسها ومنها « الماشئة » أي المغرسة أو المستنبت و « دلل الغراس » غرسها بعيداً بعضها عن بعض و « الدليل » من الزروع ما كان بعضه بعيداً عن بعض ومنه « الشرش » الجذر ويقولون شرش أزال الشرش من الأرض « قلم الشجرة وقلمها » قطعها و « شفاها » قطع شفاها أي اطرافها « نجم الكرم » قطع بعض أغصانه « شور » الشجرة ركم التراب حولها وفي الفصح شور لوح بشيء وهي مستعملة عندهم أيضاً « عرم التراب » كومه وكتمه « الطربون » رأس الغصن أو القضيبي المورق « كوش الزرع » أو الحنطة جمعها « شكرة القمح » مقدار ما يزرع في قطعة أرض « تخ الخشب » أو الحطب أو تختخ ينس وجف وتهرأ « الساروط » الأخدود الذي تحدثه المياه في الأرض لشدة جريانها ولم منه فعل فيقولون « سورت » الأرض أي حدثت فيها أخاديد « جهجه الضوء » لاح « الشوب » الحر و « طرش الثوب » وسخه .

وأخذوا من الفارسية الجادة والدهليز والدولاب والزنبيل أو الزنبيل والسختيان والابريق والدورق والكاس والكشكول والقمقم والجام والفتجان والزنبرك والهاون والبركار والصنج والدف والناي والكنجة والبرواز والخرج والكر « منطقة من الشعر » والهميان والتخت في الأصل وعاء تصان فيه الثياب وفي الاصطلاح مقعد كبير من الخشب والبشتختابة من بشتخته خزانة تجعل أمام القاعد لحفظ الأوراق والخاتون والخاقان والدرويش والاستاذ والبلور والياسمين والفسرين والرجس والآذريون والشوندر والجلنار والخضر اوات والريباس والالوياء والكمك والطاجن والتازج يقولون تازة بحسب أصلها « الجلاب » ماء الورد ومنه كل آب لصنف من المشمش حرقوه فقالوا الكلابي والسميد أو السميد والخشكار الطحين الخشن والجوسق والميزاب والخنجر والصايون والاشنان والخلخال والخمار والزركش والسرداب والسراي — السرايا والداية القابلة والديديان الحرس والغوءاء الجلبة وكثرة الأصوات والدرابزون والذبوس والسيخ والدردار والكراز والكرابوا والسفاني والسنجاب والهازار والسندبان والسندان والغاري والهلبيوت والفهرست

والدستور والقرمان والخان معناها الدكان والحانوت والايوان والميدان والأنبار
والآخور والكوخ والمسطاح والخردة والدسته .

وأخذوا من الرومية السميت والصراط والقرطاس والبطاقة والخارطة والاطلس
والترمس والطرخوت والأبرشية والابريز والاربيكة والاساطير والاسطرلاب
والاسطول والأسقف والماس والانيق والاقيانوس والايقونة والبرج والفانوس
والبطريك والبلغم والترياق والجغرافية والدرهم والازميل والسفسة والطقس والغرام
والفندق والاقليم والكورة والقصدير والقيراط .

وفي اللغة الدارجة في مصر والشام كثير من الألفاظ اللاتينية والايطالية
مثل اسكلة وانفلواتزا وبابور وبارجة وبالة وبالو وبذبة وبترول ويرزون وبرطاش
ويرميل وبرنيطة وبسور وبطارية وبنادورة وبيرا وتياترو وليمونادة وجرنال وجندرمة
ومالاريا وجترال ودوطة ودينار ولو كندة ورصيد وسطل وصابون وطاولة وطلبة
وفاتورة ومسطرة وفاصوليا وورنيس وفسقية وقنطار وقرصان وقوماندان وكولونيل
وكبسول وكربون وكرتون وكرتينا وكروسة وكبيالة وكبيو ومن التركية
اسماء البقول والمأككل مثل البقدونس ودره اوقى (حشيشة الوادي) واسباناخ
حرفوها بسبانخ والقاورمة اللحم المجفف والشاورمة اللحم المشوي بالنار والياصدرمة
اللحم المجفف بالشمس والدندرمة المجعدة أو الجلاس وياوراق الورق وبورك ويخني
وترلي واكك قطايني وامام بابلدي ولخنة وجركس طاوغي « الديك الرومي »
وشوال كيس ، بازار السوق والقشلاق من قشلق اي المشق وكل امم انتهى
بخانة أوجي مثل جببخانة وكرخانة وخسته خانة ودوه جي وبازيجي وخانجي .

هذا مثال من الألفاظ الدخيلة أما النصيح الباقي في الألسن على ما كان العرب
يستعملونه فهو كثير وقد عرض لبعضه قليل من التحريف . فن فصيحهم قولهم
في زجر الغنم وغيرها من البهائم إذا أبعدت وطردت حاي حاي حاي حاي
وحاين حاين ويقال هذا اذا دعيت وأريد قريبا ودنوها . وهكذا يتنادون على
غنمهم ومعيزهم وأبقارهم وحميرهم . ويقولون أيضا خس لزجر الغنم وهقط زجر

للفرس وتخت زجر للدجاج وسق سق زجر للثور وعاي لزجر الخروف والغنم والنخ قولك للبعير أخ أخ ليبرك فنحنه فتنخنخ والقرمشة صوت الخبز المقصر وفي الأصل صوت الجوز وقرقرت الدجاجة صوتت ودن الباب صوت وطن وتقت الضفدع والدندنة أن بتكلم الرجل بالكلام تسمع نفمته ولا تفهمه يقولون سمعته يدندن أي ينغم بحيث لا يفهم معناه . فلان ينود يرفع صوته بالشكوى من ناد ينود تحرك ومنه نودان اليهود في مدراسهم أي تحريك رؤوسهم وأكتافهم في بيت عبادتهم . وعندهم الزباط واللغظ والخشخشة والجمجمة (صوت الفرس دون الصهيل) والنششة صوت المقل والقرقرة والوقوقة والجمعجة والقرقرة (الضحك العالي حرفوها فقالوا كركرة) والببققة والغرغرة والولولة والرجرجة والخرخرة والوشوشة والثرثرة والفأفأة والنأتأة .

ومن فصيحهم (البحرات) جمع بحرة وهي ما انخفض من الأرض وعندهم أرض تسمى البحرات (الحسي) سهل من الأرض يستنقع فيه الماء وعندهم مستنقع يسمى الحسي (بالتصغير) ومنهم من يلفظه بالصاد (الحير) البستان أو مجتمع الماء والمكان المظمن وكلها تصدق على أرض في الغوطة تجمع هذه الصفات [الزور] الأرض البعيدة من الأرض الزراعية والأجمة ذات الحلفاء والقصب والماء وهم يطلقونها على حرم نهر بردى ويضمون زايها كما يطلقها الحمويون على حرم نهر العاصي .

ومن فصيحهم (الضيعة) (القرية) (الفيضة) (الروضة) (المرج) (الجنينة) (الحاكورة) (الحرجة) بالتحريك مجتمع الشجر الملتف ج حرج وحراج يقولون حرش وأحراش . ومنه حرث الأرض وعمرها وخربشها وخرمشها وقلبها وكربها وحفرها وسخاها وعزقها ونبشها ومهدا .

ويقولون أنا محاذة أي أرضي أو دارتي في حدود أرضه وداره . وفلات (لزيتي ولزقي وبلزقي أي يجني) ومنه (القلاع) المدر يقتلع من الأرض يرعى بها (الكبدرة) القلاعة الضخمة (الكذان) (البلاط) (الرخام) ومنه (العدان)

بالكسر والتشديد وهم يفتحون عينه ومعناه الزمان يطلقونه على اعطاء كل صاحب حق قسطه من الماء وعدنه تعديناً .

(أطعم الغصن) وصل به غصناً من غير شجره كقطعته (داف الزرع) ذبل وذوى (أسبل الزرع) (أفرك الحب) (أقمح السنبل) (الباحور) شدة الحر في في الصيف (الشماله) الحزمة من الحنطة وهي طرية . (اطعمت الشجرة) ادرك ثمرها (اصففت) صار لها صمغ . (نطف الحور) طلع من مكان آخر (النصبه) بفتح النون ما ينصب في الحقل من الغراس (السطمة) ما يغرس من عيدات الحور والصفصاف والخلاف . وفي المراجع السطم (بضم السين والطاء) الأصول . (المرؤشة) غرسه شجر الزيتون ولعلها من الامتراش اي الانتزاع والاختلاس لأنها تنزع من الشجرة الكبرى .

ومن أمثالهم الفصيحة (نأنا في الأكل) أكل أكلاً ضعيفاً (دهيل) كبر اللقمة ليسابق في الأكل يحرفون هذا الفعل فيقولون دعبل (البرطمة) غضب مع عبوس فلان مبرطم مغبط (لطى بالأرض) لثق (خب في الأرض) خاض (لزه على العمل) حثه عليه (دحس الثوب) في الوعاء أدخله يلفظونه بالشين كما يقولون الفرشخة وهو ان يقعد الانسان ويفتح ما بين رجليه يلفظونها بالشين وفصيحتها بالشين . ويقولون (قَامَنَا) يا فلان من هنا من قلعه حوله من موضعه اي هيا بنا نزل مكاناً آخر (شاشت النفس) اضطربت كما يقال شاش البلد اضطرب (قب الجرح) اذا يبس وذهب ماؤه (قيح الجرح) صار فيه القيح وهو الصديد . (بط القرحة) شقها (خنخن في كلامه) اذا تكلم من خياشيمه فهو أخن ويقولون له خن (زناً البول) احتقن (أح الرجل) سعل (قرقف) رعد من البرد (قف الشعر) قام من الفرع (قفقف من البرد) اذا انضم وارتعد (أصن) سكنت فهو مصن (ودّر) الرجل أوقعه في مهلكة يقولون ودّر هذه القطة أي ألقها في محل لا تعود منه (حبق) متاعه جمعه وحبق المال أيضاً جمعه (هَبَش) لعباله اكتسب (دغر عليه) هجم (طمس على مال فلان) استجله من

أطمس على أموالهم أهلكتها وفلان مطعوس القلب ميتة وعندهم يطلق على الجاهل الذي لا يتعلم (الفضضة) سعة الثوب والعيش يقولون خذ هذه الدراهم تتفضض بها أي تنسع بها وتقضي حوائجك (رحرحة) الثوب اتساعه وثوب مرحرح (خششت فيه) دخلت فقولهم خش يا فلان عريية الأصل (غلغل في الحقول) دخل وفي الفصيح تغلغل أيضاً (فلان يهت على فلان) يعيره أو يمزق عرضه (فلان متعنفس) متكلف مزهو (الصقلب) شرك بنصبه ناصبه ليصرع من يريد صرعه من صقلبه صرعه . ويقولون أعطني قماشاً من (بابة) كذا أي من سعر كذا وهذا بابه أي يصلح له أو شرطه (قرط عليه الدراهم) إذا أعطاه منها قليلاً قليلاً أو حرمه (التجليط) الكذب من جلط (نوس) المصباح قلل من إضاءته (امرأة هطلى) كسلانة أخذوها من ناقة هطلى تمشي روبداً يقولون وقف الماء في (زراديم) والزردمة الغلصة أو موضع الابتلاع (ثوب بايخ) متغير وحديث بايخ لا محصل له (الرتوت) الرؤساء واحدها رت (ما في البيت تومري) أي أحد يقولون دومري (السرب) الجماعة من النساء والحيوان (الفوج ، الجوقة ، الجف ، الفوغاء ، الزمرة ، اللمة ، الأوباش ، الشرذمة) كل هذه أسماء معناها واحد وهو الجمع من الناس وهي دارجة في اللغة الدارجة (العزوة) (العصبة العصابة) واعتصبوا صاروا عصابة . هو (شرواك) مثلك هو يمشي مع (سبره) أي أقرانه والسبر الشبه والهيئة (المكرة) الفتنة والهوشة . أعطني (شويه) أي قليلاً وفي الفصيح ما بقي من الشاة الا شواية بقية يسيرة ، والشواية بالضم الشيء الصغير من الكبير . يقولون سقاني (نتفة) من اللبن أي شيئاً وهي ندفة في الفصيح . يقولون اللبن وأخب طيس أي كثير من طاس يطيس كثير (الصوبة) ما يجمع من الحنطة والتمر يقولون لها الصبة (الشلية) بقية الماشية وعندهم الشلعة قطعة من الماشية (العزيب) الذي لا يروح الى أهله من الماشية . يقولون هذه الأرض عدية أي خالية من الوحش والوبالة وأصلها عذبة من عذا البلد طاب هواءه (الطابونة) من طبن النار دفنها لئلا تطفأ وذلك الموضع

طابون والطابون فرن في الأرض وكانوا يستعملون الطوابنية للخبازة وقد أهملت اليوم كما أهملت (الشراعية) باعة شرائح اللحم واستعاضوا عنها بالشوائين أو الشوابة وأهملوا (المقاصف) واستعملوا بدلها القهاوي والمقاهي وأهملوا (النخيرة) واستعاضوا عنها بالملسخ وأهملوا (البأس) واستعملوا بدلاً عنها القلي ثم استعملوا البوتاس وكانت لفظة (النقاتيين) شائعة يطلقونها على باعة التفانق أو المقانق وهي المصير المحشو باللحم وكذلك (الحلاويون) باعة الحلواء يقولون اليوم الحلوانيون واحدها حلواني ومن أمثالهم ما كل من صف الصواني قال أنا حلواني .

ورأينا بعض الفاظ المآكل وباعتها قد أهملت مثل الهرائسي بائع الهريسة والرائس بائع الرؤوس ويقال له الرواس وهو لحن الفقاعي بائع شراب من الحبوب والأثمار وغيرها سمي به لما يرتفع في رأسه من الزبد وكان يطلق في الشام على باعة نقيع الزبيب . الاقسماويون من الاقسما وهو شراب قد يجعل من اللبس ويثلج كالسويق قال الشهابي المنصوري :

أيا سيداً قد أشهد الله أنه أناب فلم يحسُ الشراب المحرماً

هلم فإني لا إخالك مقسماً وإن كنت لم تشرب مداً فأقسماً

وأهملوا لفظة الشرايين باعة الأشربة ولفظ المثلث عصير العنب يطبخ قبل أن يملأ ويشد حتى يذهب ثلثاه وكانت مستعملة في مصر في القرن الثالث واعتاضوا عن الطاهي بالطباخ أو العشي . وأهملت الفاظ كانت تطلق على أمور بطلت في الاستعمال مثل سوق العطارين وكان أصحابها يبيعون فيها العطور فأطلقت على باعة البذور والسكر والأرز والأفاويه ومثل الأبارين والمسلائين صناع الابر والمسلات والمرادين صناع المرادن آلات الغزل القديمة تعمل من خشب السامم أو التنط الأحمر والفاخرانيين صناع الزبادي والسلطانيات من الحصى المطحون والغضاريين باعة الكيزان والقزازين صناع القز وباعته والبزازين صناع البز أو القماش والبزوريين باعة البزور والسكريين باعة السكر والامشاطيين باعة الأمشاط والسدارين والبواردين يطلقونها على من يصنعون الأمشاط .

ويطحنون السدر وهو من المطهرات كالصابون والدلوك والأشنان والبوارد طعام البقول المطبوخة وكان فيها سوق الدباغين والصباغين والدقاقين والقماحين والناطفانيين (الناطف نوع من الحلواء) وسوق الخريزاتية الذين يخرزون الأواني وتناسوا لفظ الاقباعيين صناع الأقباع جمع قبع وهي الطاقية أو العرقية وكان في دمشق لكل من هذه الصناعات سوق خاص ومنها سوق الحرير وسوق القطن وسوق القشر (قشر القنب) وسوق القوافين من كاف الأديم يكوفه كوفاً كف جانبه وهو اعداد الجلد لعمل النعال، قلبت كافها قافاً. ومنه سوق المناخلين باعة المناخل وصناعها وسوق الزرايليين صناع الزرايل جمع زربول وسوق السروجيين صناع السروج وسوق النحاسين وسوق الحدادين وسوق القصاعين باعة القصاع ومنها سوق الزنوطيين وفي معجم دوزي أن زنوط لغة مصرية معناها الطاقية ران كانت من زنط جمع زنط فمعناها السيور والسياط وسوق القلباجية والقالباق من أكسية الرأس التركية والدماجية صناع الدما وهي أثواب تعمل من الفزل ولا يزال سوق الخليل وسوق الجمال وسوق الغنم وسوق البقر وسوق الحمير بالطبع ويقال لمخزن الحطب الشونة وهي مصرية ويضمون شينها وكانت لهم أسواق بحسب أيام الأسبوع فسوق الجمعة وسوق الأحد وسوق الثلاثاء تباع فيها أصناف المأكول والملبوس، فمن هذه الألفاظ ما بطل استعماله بإبطال ما كان يطلق عليه وباختراع ما غنى عنه وعن اسمه. ولكل عصر ألفاظه كما أن لكل عصر أدبه. فبعض الألفاظ التي راجت في القرن الثالث والرابع نسبت في القرن السابع والثامن وما راج في هذين القرنين نسي في العاشر وما بعده. فالفاظ عهد المماليك في مصر غير الفاظ الترك بعدم فقد كانوا مثلاً يستعملون كلمة التقليد والتصرف فأبدلوهما بالتولية ثم بالتعيين والنصب والاستخدام وكانوا يستعملون لفظ القماحين والدقاقين ويقولون اليوم تجار الحبوب والطحانة. والفاظ مصر زمن المماليك وحدها تحتاج إلى بحث خاص برأسه. ومن نظر نظراً خفيفاً في الألفاظ في كل قطر عربي لا يلبث أن يرى أن ما كان شائعاً في

العراق لم يشع في الشام ومصر وما كان في مصر لا يعرفه الغرب الأقصى ولا الأندلس من قبل .

وفي كتب الحسبة ، وبعضها الى الآن لم يطبع ، كثير من الألفاظ دوت المعاجم بعضها ولا نستعملها اليوم نسقط على نموذج منها في كتاب نشوار المحاضرة للمحسن التنوخي وفي كتاب سيرة احمد بن طولون للبلوي . منها (اليزبون) ضرب من نسيج البزاز من رقيق الديباج (المطبق) كمحسن السجن تحت الأرض (الفامي) بائع الفوم اي الخنطة والحمص وسائر انواع الحبوب التي تخبز . (الزيرباج) أكلة بلحم وحمص وخل وسكر ولوز (البزماورد) طعام من اللحم والبيض (العصيدة) دقيق يلت بالسمن ويطبخ . ومنها (المطالب) الكنوز (البذرة) الخفارة (الفيح) رسول السلطان . . . الخ . وهذه الألفاظ تتطلب درساً خاصاً كما تتطلب ما كل العرب في الجاهلية وما كلهم في الاسلام دراسات أخرى . وأطعمة العرب ما تعدت الألبان والتمور واللحوم : تنقل فيها الخضراوات والبقول وكلها بين مطبوخ وملتبس وملبون ومتمور ومسمون ومعسول .

سادتي :

أوردت مثالا ضئيلاً من أشغال هذا المجمع الثني وذلك بقدر ما يتسع له الوقت وأرجو ألا أكون ادخلت الملل على نفوسكم أعاننا المولي على القيام بواجبنا في خدمة لغتنا المحبوبة وحياتكم وأحيائكم .

محمد كرد علي

ابو الهذيل العلاف

- ٢ -

٦ - فلسفة أبي الهذيل

إن أبا الهذيل فيلسوف معتزلي ، وافق أهل الاعتزال في فلسفتهم العامة ، وانفرد عنهم في مسائل خاصة .

أما فلسفة الاعتزال العامة التي وضع مبادئها وأصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، وعثمان الطويل وغيرهم من أهل الاعتزال ، فتتضمن في أصول خمسة هي : القول بالتوحيد ، والعدل ، والوعد ، والوعيد ، ووجوب المعرفة بالعقل قبل ورود السمع ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فالقول بالتوحيد إنما وضع للرد على الرافضة والمجسمة . وفيه أن الله واحد لا شريك له من أي جهة ، ولا كثرة في ذاته . وهو قديم عالم لذاته ، قادر لذاته حي لذاته ، لا يعلم وقدره وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة به . وهو خالق الجسم وليس بجسم ، محدث الأشياء وليس كالأشياء ، منزّه عن المخلوق ، لا يرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة .

والقول بالعدل وضع للرد على المجبرة من الجهمية والرافضة . وفيه أن الله تعالى حكيم عادل لا يجوز أن يضاف إليه شر وظلم ، ولا يجوز أن يريد من عباده خلاف ما يأمرهم به . وهو لا يحب الفساد ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يريد ظلاماً للعالمين . وأفعال العباد من خير وشر وإيمان وكفر وطاعة ومعصية منسوبة إليهم ، يفعلونها بقدره خلقها الله فيهم . ويستحيل أن يقول الله لعبده افعل ، وهو لا يستطيع أن يفعل ، بل العبد قادر خالق لأفعاله خيرا وشرها ، مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة .

والقول بالوعد والوعيد إنما ذهبوا إليه لاعتقادهم أن الله تعالى صادق في وعده . ووعيده ، لا يبدل لكلماته ، فلا يفقر عن كبيرة إلا بعد التوبة فاذا خرج

المؤمن من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب ، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار ، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار . فصاحب الكبيرة ليس بمؤمن مطلق ، ولا بكافر مطلق ، لكنه في منزلة بين المنزلتين ، لأنه فاسق . والفسق حال متوسطة بين الكفر والايان^(١) .

وأما وجوب المعرفة بالعقل فيرجع الى ان الانسان يستطيع بعقله قبل ورود السمع ان يعرف الحسن ويعتقه ، ويدرك القبيح ويحتنبه . وما ورود التكليف إلا اللطاف للباري تعالى أرسلها الى العباد بتوسط الأنبياء امتحاناً واختباراً ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيى عن بينة .

واما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيتضمن تكليف المؤمنين الجهاد ، وإقامة حكم الله على كل من خالف أمره أو نهيه سواء أكان كافراً أم فاسقاً . لقد ذهب ابو الهذيل العلاف كغيره من المعتزلة الى هذه الأصول الخمسة ، وانفرد عن أصحابه بأراء خاصة في حقيقة الأجسام ، والجزء الذي لا يتجزأ ، والحركة ، والسكون ، والصفات الإلهية ، والقدر ، والنفس الانسانية ، وحركات أهل الجنة والنار ، ونعيمهم ، وعذابهم ، والطاعة ، والاستطاعة ، والخلق ، والآجال ، وشروط الحجبة عن طريق الأخبار وغيرها .

ان نظرة بسيطة الى هذه المسائل تدلنا على ان الاحاطة بها تحتاج الى عدة مقالات . فلنقتصر اذن في مقالنا هذا على بحث المسائل الرئيسية فقط .

من المسائل الرئيسية التي يبحثها ابو الهذيل مسألة الصفات الإلهية . فقد كان بعض المتكلمين ممن تقدم ابا الهذيل يقولون ان الله عالم وعلمه قديم . وكان

(١) راجع كتاب الانتصار للغياط ص - ١٢٦ . قال الحياط : « وليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة : التوحيد ، والعدل ، والوعد ، والوعد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » .

أما نحن فقد جمعنا القول بالوعد والوعد والمنزلة بين المنزلتين في أصل واحد . واعتبرنا القول بوجوب المعرفة بالعقل قبل ورود السمع أصلاً خامساً لما للعقل في نظر المعتزلة من أثر مهم في التمييز بين الخير والشر والحق والباطل . راجع أيضاً كتاب الملل والنحل للشهرستاني .

بعضهم الآخر يقول ان الله عالم لذاته لا يعلم . فكان قول الفريق الأول يؤدي الى القول بتعدد القديم ، وكان قول الفريق الثاني يؤدي الى نفي العلم ونفي غيره من الصفات عن الذات الالهية . فذهب ابو الهذيل في هذه المسألة الى رأي متوسط بين الرأيين السالفين فقال : ان الله تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته ، قادر بقدرته وقدرته ذاته ، حي بحياة وحياته ذاته . اي ان علم الله تعالى هو هو ، وكذلك سمعه وبصره وحكمته . فهو يرى اذن ان الصفة هي عين الذات . والفرق بين قولنا ان الله عالم لذاته لا يعلم ، وبين قولنا عالم بعلم هو ذاته ، انا في القول الأول ننفي عن الله صفة العلم ، وفي الثاني ثبت ذاتاً هي بعينها صفة ، أو ثبت صفة هي بعينها ذات . وكان ابو الهذيل اذا قيل له حدثنا عن علم الله الذي تقول انه ذاته . أتزعم أنه قدرته أيضاً ، أبى ذلك . فاذا قيل له ، فهو غير قدرته ! أنكر ذلك أيضاً . ويظهر ان ابا الهذيل لم يذهب الى هذا القول الا لرغبته في الابتعاد عما وقعت فيه الرافضة من التجسيم ، وما أدى اليه قول بعض المتكلمين من تعدد القديم . فقد كانت المجسمة تعتقد ان ربها ذو هيئة وصورة ، يتحرك ويسكن ، ويزول وينتقل ، وانه كان غير عالم ، ثم علم ، وانه يريد الشيء ثم يبدو له سبب آخر فيريد غيره . وذكر ابو الهذيل في بعض كتبه ان هشام ابن الحكم قال له : ان ربه جسم ذاهب جاء . فيتحرك تارة ويسكن أخرى ، ويقعد مرة ويقوم أخرى . وانه طويل عريض . لأن ما لم يكن كذلك في زعمه دخل في حد الثلاثي . قال فقلت له فأيا أعظم إلهك أم هذا الجبل وأومات الى أبي قيس فقال هذا الجبل أعظم منه . وذكر ابن الروندي أيضاً ان هشام ابن الحكم كان يقول ان بين الهه وبين الاجسام المشاهدة تشابهاً من جهة من الجهات لو لا ذلك ما دلت عليه . فهذه الملاحظات وغيرها ساقط ابا الهذيل الى القول بالتجريد ، فنفي عن الله تعالى شبه خلقه من كل وجه ، وأثبتته واحداً ليس بجسم ولا بذى هيئة ولا صورة ولا حد ، وانه ليس كمثل شيء . وأبو الهذيل يسمي العلم والقدرة والحياة وجوهاً ثلاثة للذات الالهية . وهذه الوجوه الثلاثة التي اقتبسها ابو الهذيل من الفلسفة الأفلاطونية الحديثة شبيهة بأقانيم المسيحية .

قال أبو الهذيل: ولقولي هذا نظائر عند أهل التوحيد . انهم بأجمعهم يقولون ان وجه الله هو الله . وقد قد ان يكون لله وجه هو بعضه أو وجهه قديم هو معه . فلم يبق الا ان يكون وجهه هو ذاته كما يقال هذا وجه الأمر ، وهذا وجه الرأي . وهذا الأمر نفسه ، وهذا الرأي نفسه . على ان ابا الهذيل قد نفى العلم من حيث اوهم أنه أثبتته ، لأنه لم يثبت في النهاية إلا الذات الالوية ، وكان اذا قيل له : فلم اختلفت الصفات فقل عالم ، وقيل قادر ، وقيل حي ، قال لاختلاف المعلوم والمقدور . ويرى ابو الهذيل ان السمع والبصر صفات ازلية ، فالله تعالى لم يزل سميعاً بصيراً بمعنى انه سيسمع وسيبصر : وكذلك لم يزل غفوراً رحيماً محسناً ، خالقاً رازقاً ، مثيباً معاقباً ، موالياً معادياً ، آمراً ناهياً ، بمعنى ان ذلك سيكون منه . وكان سهلاً عليه ان يؤول هذه الصفات تأويلاً ينفي عنها الصفة الحسية ، لأنه كان يعتبر السمع والبصر من اعمال الروح ، لا من اعمال الحواس . وقد ساقته نظرية الصفات هذه الى القول بارادات لا محل لها ، يكون الله تعالى مريداً بها . فارادة الله لكون الشيء هي غير الشيء المكوّن . وارادته للايمان هي غير الايمان والأمر به . ففرق على هذه الصورة بين الارادة والشيء المراد ، كما فرق بين الارادة الخالقة والارادة الشارعة . فارادة الخلق هي الخلق بذاته ، وهي تختلف عن المخلوق لأنها ليست في مكان . ثم انه ذهب في تقسيم كلام الباري تعالى الى ما ذهب اليه في تقسيم الارادة . فقال هو قسمان احدهما يحتاج الى مكان ، والآخر لا يحتاج الى مكان . فكلمة الخلق . وهي قول الله للشيء « كُنْ » هي عين الخلق . وهي ليست في مكان ، وليس بجائز أن يخلق الله شيئاً ولا يقول له كُنْ . فكان كلمة التكوين ، كما قال بعض الفلاسفة ، في المكان الاوسط بين الخالق الأزلي وبين العالم المخلوق . او كأنها جوهر شبيه بالمثل الأفلاطونية . أو عقول الأفلاك التي أشار اليها الفارابي وابن سينا في صدور الأشياء عن المدير الأول . أما سائر كلام الله من أمر ونهي وخبر واستخبار ، فهو في مكان ، لأن أمر التكليف غير أمر التكوين . فكلمة الخلق

ليست بمخلوقة ، أما الكلام المشتمل على الأوامر والنواهي والوحي فهو مخلوق ، لأنه عرض من الأعراض . وهذا يدل على أن أمر التكليف مقصور على العالم الثاني . لا يخضع الإنسان لأحكامه إلا في هذه الحياة . وهو يقتضي القول باختيار الإنسان ، وحرية ، وبقدرته في هذا العالم على فعل ما يختاره من الخير والشر . أما في العالم الثاني ، فينقذ الإنسان حرية واختياره ، ويرجع كل شيء فيه إلى إرادة الله . لذلك قال الشهرستاني : إن أبا الهذيل قدري الدنيا جبري الآخرة . وفي الجنة والنار تكون حركات الإنسان ضرورة لا قدرة له عليها . فهي مقيدة وليس لأحد قدرة على اكتساب فعل ، ولا على اكتساب قول . والله خالق فيها أقوال العباد وحركاتهم . فالدنيا دار عمل وأمر ونهي ومحنة واختبار . والآخرة دار جزاء واضطرار . ولو كان أهل الجنة يجوز منهم اختيار الأفعال ووقوعها ، لكانوا مأمورين منهيين ، ولو وقعت منهم الطاعة والمعصية . ولكانت الجنة دار محنة وأمر ونهي ، لا دار ثواب ، وكان سبيلها سبيل الدنيا ، ولوقع ثواب أهلها في دار سواها ، وتسلسل الأمر إلى ما لا نهاية له .

ويرى أبو الهذيل أن حركات أهل الجنة والنار لا تبقى ، بل تنتهي بانتهاء العالم ، وتنقلب إلى سكون دائم . لأن ما له ابتداء لا بد من أن يكون له انتهاء . وفي هذا السكون الدائم تجتمع اللذات كلها لأهل الجنة ، ويجمع العذاب كله لأهل النار . وهذا قريب من مذهب جهنم بن صفوان إذ حكم بفناء الجنة والنار . قال الأشعري في مقالات الإسلاميين : « أجمع أهل الإسلام جميعاً إلا الجهم أن نعيم أهل الجنة دائم لا انقطاع له ، وكذلك عذاب الكفار في النار . وقال جهنم بن صفوان أن الجنة والنار تفنيان وتبددان ، ويفنى من فيها ، حتى لا يبقى إلا الله وحده كما كان وحده لا شيء معه » (١) .

وقال البغدادى في كتاب « الفرق بين الفرق » : ومذهب أبي الهذيل في ذلك شر من مذهب جهنم ، لأن جهماً ، وإن قال بفناء الجنة والنار ، فقد قال : إن الله قادر بعد فنائهما أن يخلق غيرهما . وأبو الهذيل زعم أن ربه لا يقدر بعد انتهاء الحركات على تحريك ساكن ، أو إحياء ميت ، أو أحداث شيء .

وظاهر ان رأي ابي الهذيل ، في سكون حركات أهل الجنة والنار ، لا يستند الى أي أساس ديني ، بل يرجع الى رأيه في تنامي الحركات . فالحركة عند تنقسم في الجسم على جميع أجزائه ، وما يجوز على الأجسام يجوز أيضاً على الجوهر الواحد ، والجزء الذي لا يتجزأ . ولكن ماهو الجسم . قال ابو الهذيل :

« الجسم هو ماله يمين وشمال وظهر وبطن وأعلى وأسفل . وأقل ما يكون الجسم ستة أجزاء احدهما يمين والآخر شمال ، وأحدهما ظهر والآخر بطن ، وأحدهما أعلى والآخر أسفل ، وان الجزء الواحد الذي لا يتجزأ يماس ستة أمثاله . وانه يتحرك ويسكن ، ويجمع غيره ، ويجوز عليه الكون والمماسه ، ولا يحتمل اللون والطعم والرائحة ، ولا شيئاً من الاعراض غير ما ذكرنا ، حتى تجتمع هذه الستة الأجزاء ، فاذا اجتمعت فهي الجسم ، وحينئذ يحتمل ما وصفنا » ^(١)

فالجسم إذن منقسم وهو يحمل الاعراض كاللون والطعم والرائحة والحركة . وليس كل جوهر جسماً ، بل الجوهر الواحد الذي لا ينقسم محال ان يكون جسماً ، لأن الجسم هو الطويل العريض العميق . وليس الجوهر الواحد كذلك ^(٢)

« واختلف الناس في الجسم هل يجوز ان يتفرق أو يبطل ما فيه من الاجتماع حتى يصير جزءاً لا يتجزأ أم لا يجوز ذلك . . . فقال ابو الهذيل : ان الجسم يجوز ان يفرقه الله سبحانه ، ويبطل ما فيه من الاجتماع حتى يصير جزءاً لا يتجزأ ، وان الجزء الذي لا يتجزأ لا طول له ولا عرض له ولا عمق له ، ولا اجتماع فيه ولا اقتراق ، وأنه قد يجوز ان يجمع غيره وان يفارق غيره ، وان الخردلة يجوز ان تتجزأ نصفين ثم اربعة ثم ثمانية الى ان يصير كل جزء فيها لا يتجزأ » ^(٣)

فالله يستطيع اذن ان يبطل ما في الجسم من الاجتماع حتى يصير جزءاً لا يتجزأ . ويستطيع ان يفرد الجزء الذي لا يتجزأ قتره العيون ويخلق فينا رؤية له وإدراكاً له .

والاعراض هي الحركات والسكون والقيام والقعود والاجتماع والافتراق والطول

(١) الأشعري ، مقالات الاسلاميين ، ص ٣٠٢ (٢) المصدر نفسه ، ص ٣٠٧

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣١٥

والعرض والألوان والطعوم والأرايح والأصوات والكلام والسكرات والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة . فبعضها يجوز على الجسم والجزء الذي لا يتجزأ معاً ، وبعضها لا يجوز إلا على الجسم ، فالحركة مثلاً تجوز على الجسم والجزء الذي لا يتجزأ ، أما اللون والطعم والرائحة فلا تجوز إلا على الجسم . قال أبو الهذيل : والاعراض قسمان « منها ما يبقى ومنها ما لا يبقى . والحركات كلها لا تبقى . والسكون منه ما يبقى ومنه ما لا يبقى . وسكون أهل الجنة سكون باق ، وكذلك أكوانهم ، وحركاتهم منقطعة منقضية لها آخر » (١) .

وقال أيضاً : ان الألوان والطعوم والأرايح والحياة والقدرة تبقى كلها ، وكذلك الذات والآلام . فالأهل النار باقية فيهم ، ولذات أهل الجنة باقية فيهم . فالحركات اذن في نظر أبي الهذيل تجوز على الجسم والجزء الذي لا يتجزأ وهي مع ذلك لا تبقى ، أما الألوان والطعوم والأرايح فلا تجوز الا على الجسم وهي مع ذلك تبقى بعد انتهاء العالم . فهناك اذن أعراض موجودة لا في جسم ، ويجوز أيضاً ان تعاد . أما الحركات والسكون وما يتولد عنها كالتأليف والتفريق والأصوات وسائر ما يعرف الناس كيفيته فلا يجوز ان يعاد .

فالسبب اذن في قول أبي الهذيل بانتهاء حركات أهل الجنة والنار يرجع اذن الى رأيه في حقيقة الأجسام والحركات وبقاء الاعراض وانتهائها . قال اني لا أقول بحركات لا تنهاى آخرأ ، كما لا أقول بحركات لا تنهاى أولأ ، ونسي أن ما لزمه في الحركة يلزمه أيضاً في السكون . اضع الى ذلك ان قوله بانقسام الاعراض الى قسمين أحدهما يبقى والآخر لا يبقى لا يستند الى أي أساس معقول .

فأبو الهذيل قد قال اذن ببقاء الاعراض التي لا تجوز الا على الجسم ، وبعدم بقاء الحركات رغم جوازها على الجسم وعلى الجزء الذي لا يتجزأ معاً .

(١) الاشعري : مقالات الاسلاميين ، ص ٣٥٩ . قال أبو الهذيل : « يجوز أن يتحرك الجسم لا عن شيء ولا الى شيء » . المصدر نفسه ٣٢٣ . وقال أيضاً : « الأجسام قد تتحرك في الحقيقة ، وتسكن في الحقيقة ، والحركة والسكون هما غير الكون ، والجسم في حال خلق الله سبحانه له لا ساكن ولا متحرك » المصدر نفسه ٣٢٥ .

ولو قال بقاء الدنيا والآخرة ، كما قال الجهم ، لما وقع في هذه الشبهة ، ولاستغنى عن هذا السكون الدائم الذي قلب أهل الجنة والنار الى أصنام جامدة في مدينة مسحورة .

ومع ذلك فإن لرأي أبي الهذيل في انتهاء حركات أهل الجنة والنار خطورة عظيمة ، لأنه كان كما قال الشهرستاني قدري الدنيا جبري الآخرة . فالإنسان في نظره قادر على خلق أفعاله في هذه الدنيا لأنه حر . أما في الآخرة فإنه يصير مقيداً بالحالة التي انتهى إليها . والمشهور عن الفلاسفة الأقدمين أن النفس تشارك الجسد في أفعاله وانفعالاته ما دامت مقيدة به ، وإن حررتها مقيدة في هذا العالم بما يصل إليها عن طريق الجسد من الاحساسات والأفكار والعواطف ، أما إذا فارقت الجسم فإنها تعود الى العالم الأرفع ، وتمزق سلاسل المادة وقيود الزمان والمكان وتصبح حرة طليقة . أما أبو الهذيل فقد ذهب في ذلك مذهباً مخالفاً لآراء المتقدمين ، وزعم أن النفس حرة في الدنيا مقيدة في الآخرة . وفي هذا الرأي فكرة عميقة تدل على قوة إبداعه ، وشدة حدسه . إلا أنها تحتاج رغم ذلك الى مقدمات برهانية لم نعتز عليها فيما وصل إلينا من أفكاره .

ويرى أبو الهذيل أن في الإنسان علماً فطرياً يؤدي بالضرورة الى معرفة الله ، فمن واجبه أن يعرف الحق ، وأن يميز الخير من الشر بعقله الطبيعي ، من غير خاطر ولا وحى . وإن قصر في هذه المعرفة استوجب العقوبة . وعليه أيضاً أن ينهم حسن الحسن وقبح القبيح ، وأن يقدم على الحسن كالصدق والعدل ، وأن يعرض عن القبيح كالكذب والجور . والله يثيب كل محسن على قدر طاعته وصدقه وعدله . ويعاقب كل مسيء على قدر معصيته وكذبه وجوره . فهناك إذن طاعات من الخلق لا يراد الله بها ، وليس على وجه الأرض دهرى زعم أنه لا رب ولا خالق ، ولا ثواب ولا عقاب ، إلا وهو مطيع بضرب من الطاعات . فهو عاص بدهريته ، ولكنه مطيع بما يقدم عليه من الخير ، كما أن المؤمن مطيع بإيمانه ، عاص بما قد يقدم عليه من الشر .

ومسؤولية الانسان تتوقف على معرفة اللحظة التي يوجد فيها الفعل . ولا تكون المسؤولية تامة الا اذا كان الفعل تام الحدوث . لذلك فرق ابو الهذيل بين افعال القلوب وأفعال الجوارح ، اي بين الأفعال النفسية والأفعال الطبيعية . فقال ان حال (يفعل) هي غير حال (فعل) . والمسؤولية لا توجد في أفعال القلوب الا اذا وجدت الاستطاعة مع الفعل . أما في أفعال الجوارح فقد تتقدم الاستطاعة على الفعل ، فاذا لم يتم الفعل الا بعد موت الفاعل او عجزه كانت الفعل منسوبة اليه لا إلى غيره ، ويمكن ان يقال مجازاً ان الموتي يقتلون الأحياء . فالارادة لا توجد اذن تامة الا اذا كانت الجوارح قادرة على تنفيذها ، ولا يكون العمل اختيارياً الا اذا قام الانسان به من غير قسر . قال ابو الهذيل : « الاستطاعة يحتاج اليها قبل الفعل . فاذا وجد الفعل لم يكن بالانسان اليها حاجة بوجه من الوجوه . وقد يجوز وقوع العجز في الوقت الثاني فيكون مجامعاً للفعل ، ويكون عجزاً عن فعل ، لأن العجز لا يكون عجزاً عن موجود . فيكون الفعل واقعاً بقدرة معدومة » ^(١) .

وهذا يدل على أن أبا الهذيل قد جوز الفعل مع الموت بالاستطاعة المتقدمة . كما جوز أقل قليل الكلام مع الخرس ، ولم يجوز وجود العلم مع الموت ، ولا وجود الارادة مع الموت . وقد حكى عنه انه كان ينكر أن توجد الارادة بقدرة معدومة حتى يكون العجز مجامعاً لها ^(٢) . والانسان انما يفعل في غيره الأفعال بالأسباب التي يحدثها في نفسه . فلو زعم انسان انساناً بسهم ثم مات الرامي قبل وصول السهم الى الرمي ، ثم وصل السهم الى الرمي فألمه وقتله ، لحدث القتل والألم بعد موت الرامي بنفس السبب الذي أحدثه الرامي وهو حي .

وقد فرق ابو الهذيل بين الأمور التي يقدر الله عباده عليها ، وبين الأمور التي لا يقدرهم على فعلها . فالحركات والسكون والأصوات والآلام وسائر ما نعرف كيفيته هي من الأمور التي يقدر الله عباده عليها . أما الاعراض التي لا نعرف كيفيتها كالألوان والطعوم والأرايح والحياة والموت والعجز والقدرة ،

(١) الاشعري ، مقالات الاسلاميين ص ٢٣٢ (٢) الاشعري ، مقالات الاسلاميين ص ٣١٣

فليس يجوز أن يوصف الباري بالقدرة على أن يقدر عباده عليها . والله لا يوصف بالقدرة على شيء ، تقدر عليه عباده ، لأنه محال أن يكون هناك مقدور واحد لقادرين . فأفعال الانسان لا تشبه أفعال الباري بوجه من الوجوه . والله يضطر عباده في الآخرة الى صدق يكونون به صادقين وكلام يكونون به متكلمين ، ولكنه لا يضطرهم الى كفر يكونون به كافرين وجور يكونون به جائرين . وهو قادر على الظلم ، الا انه لا يفعله لحكمته ورحمته . ومحال ان يفعل شيئاً من ذلك ، أن قدرته مقيدة بعدله ورحمته وحكمته .

٧ - النتيجة

هذه لمحة سريعة من آراء أبي الهذيل في التوحيد ، وحركات اهل الجنة والنار ، والأجسام ، والجزء الذي لا يتجزأ ، والجواهر والاعراض ، والعلم ، والمسؤولية ، والاستطاعة ، والعدل ، ناظر فيها كثيرين من أقرانه كبشر بن المعتز والأصم وهشام بن الحكم والنظام كما ناظر المجوس والثوية واصحاب النجوم والدهرية . ولا حاجة الى القول ان أبا الهذيل قد ابتعد بآرائه هذه عن اجماع المسلمين ، فتصدى للرد عليه كثيرون من أهل الحديث وعلماء الكلام ، الذين لم يروا رأيه ، ولا قالوا بمقاتلته فوضع (المردار) كتاباً في الرد عليه سماه « فضائح أبي الهذيل » ، والف الجبائي كتاباً في الرد على أبي الهذيل في الخلق ، وصنف جعفر بن حرب كتاباً سماه « توبيخ أبي الهذيل » كثره فيه . وذكر ان قوله يجر الى الدهرية . وقد كان لهذه الردود أثر عظيم في شهرة أبي الهذيل حتى قال المأمون : أطل ابو الهذيل على الكلام كاطلال الغمام على الأنام . وقال الفضل بن العميد ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة . أما الفقه فعلى أبي حنيفة ، وأما الكلام فعلى أبي الهذيل ، وأما البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة فعلى أبي عثمان الجاحظ . وكان ابو علي الجبائي يقول ليس بيني وبين أبي الهذيل خلاف الا في أربعين مسألة . وما كان في الدنيا بعد الصحابة اعظم عنده من أبي الهذيل .

ويظهر أن ابا الهذيل كان في مناظراته أشبه برؤساء الأحزاب والخطباء والمحامين منه بالفلاسفة الهادئين ، الذين يسرون على منهج علمي واضح دقيق . وطريقة هذا شأنها تدخل على أسلوب العلم شيئاً من الضعف والتردد والعدول عن سواء السبيل . وكل فلسفة تقوم على أساس الجدل والمناظرة ، تكون مسائلها مقيدة بآراء المخالفين . ومن نازل عدواً قوياً اضطر الى التقيد بشروط قتاله ، وبقلب أحواله ، واتباع حركاته وسكناته ، وقيامه وقعوده . وقد تؤثر فيه روح العدو وحيلته ، فتبدل خطته وغايته . ومعركة الأفكار لا تختلف من هذه الناحية عن معارك الرجال . بل كثيراً ما يكون تأثير العدو في تكوين الأفكار أقوى من تأثير الحليف . وفرق بين ان يبني الانسان بيته بنفسه وفقاً لخطط معقول ، وبين ان ينشئه وفقاً لما تقتضيه الحاجة العملية المباشرة . وفرق بين ان يكون الفكر مستقلاً في وضع المسائل وتأليفها ، وبين ان تكون مسائله تابعة للعناصر المقتبسة من آراء المخالفين . ففي أعمال المدافعين أمور كثيرة لا بقاء لها . وينبغي ان تزول بزوال أسبابها ، وان تهجر ويستبدل بها غيرها ، وان يوثق بما هو احسن منها وأصوب . وربما كان ابو الهذيل غير بريء من ذلك ، حتى لقد أدرك هو نفسه ان آراءه قد جرت به الى الخروج على الاجماع . وان كثيرين من الملحددين قد تعلقوا عليه بها . فتاب من الكلام فيها قبل موته . ولعله لم يتب من الخوض فيها الا بعد ان أدرك خلافة المتوكل ، وكف بصره ، وخرف في آخر عمره ، وقصر عن منازلة المناظرين . ومما يمكن من أمر فان ابا الهذيل قد مهد السبيل بمجده لظهور الفلسفة في الاسلام ، فخدم الاسلام ، عن طريق الجدل والمناظرة اكثر مما خدمه القواد عن طريق الفتح ، حتى لقد أسلم على يده ثلاثة آلاف رجل . وكانت فلسفته أقرب الى روح الاسلام من آراء الفلاسفة المشائين ، الذين أخذوا آراءهم عن أفلاطون وأرسطو . وكان في دفاعه عن الاسلام يعمل على نشر الدعوة العربية ويؤيد سياسة الخلفاء العباسيين في التخلص من سيطرة الفرس . وكانت نيته في عمله صادقة ، والنية هي ميزان العمل . وانما الأعمال بالنيات .

٨ - المصادر

آ. حياة أبي الهذيل

- ١ - الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ج ٣ ، ص ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٧٠
- ٢ - ابن خلكان ، وفیات الأعيان ، ج ١ ، ص ٤٨٠
- ٣ - ياقوت ، الارشاد ، ج ٣ ، ص ١٤٧٤
- ٤ - الجاحظ ، البيان والتبيين ج ١ ، ص ٧٨ في التامش عن النظام - ج ١ ، ص ١٠٤ في الهامش في ترجمة بشر بن المعتمر - ج ١ ، ص ٥٠ في ترجمة صالح بن عبد القدوس .
- ٥ - الجاحظ ، كتاب الخلاء ، ج ١ - ص ١١٨ ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة
- ٦ - العسقلاني ، لسان الميزان ، ج ٥ ، ص ٤١٣
- ٧ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٨ ، ص ٣٠٠ - ٣٠٢
- ٨ - ابن قتيبة ، عيون الأخبار : ج ٢ ، ص ٢٠٤ ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٨
- ٩ - ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث ، ص ٥٣
- ١٠ - كتاب المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل لأحمد بن يحيى المرتضى ، ص ٦ ، ٣٠ ، ٢١ ، ٢٩ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٧٥ . طبعة دائرة المعارف النظامية بمبدر آباد الدكن سنة ١٣١٩ هـ .
- ١١ - محمد بن شاكر الكتي ، عيون التواريخ ، جزء ٦ ، ص ١٢٠ مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق رقم ٤٧ .
- ١٢ - ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ ، طبعة دار الكتب المصرية .
- ١٣ - أبو حيان التوحيد ، الامتاع والمؤانسة ، جزء ٢ ، ص ٩٠ ، مصر ١٩٤٢
- ١٤ - صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، كتاب نكت الهميان في نكت العميان ، ص ٢٧٧ - ٢٧٩ ، مصر ، المطبعة الجمالية ١٩١١ .
- ١٥ - أمالي السيد المرتضى ، الجزء الاول ، ص ١٠٠ ، ١٢٤ .
- ١٦ - ابن النديم ، الفهرست ، ص ٥٥ ، ٥٥ ، ٢٥٥ ، الملحق ص ٣٠١

- ١٧ — الذهبي ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ٥٤٧ .
 ١٨ — الفرر والدرر ، ١٢٤ .
 ١٩ — روضات الجنان ، ١٥٨ .
 ٢٠ — تاريخ العيني لسنة ٢٢٦ .
 ٢١ — المنتظم لابن الجوزي ، ٩٨١ .
 ٢٢ — طبقات المعتزلة لقاضي القضاة ، وهو ابو الحسن عبد الجبار بن احمد ابن عبد الجبار الهمذاني الاسترآبادي .
 ٢٣ — منهج المقال في تحقيق أحوال الرجال تأليف ميرزا محمد الاسترآبادي مع تعليقات محمد باقر البهبهاني ، طبع بالحجر بطهران سنة ١٣٠٧ .
 ٢٤ — قاموس الأعلام ، لشمس الدين سامي ، ٤٦٠ .

ب — فلسفة أبي الهذيل

- ١ — الأشعري ، مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، عني بتصحيحه ه . ريتز ، استانبول ، مطبعة الدولة ١٩٢٩ .
 ٢ — البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٤٨ ، ٤٩ ، ١٠٢ ، مطبعة المعارف ، مصر .
 ٣ — دائرة المعارف الاسلامية ، « ابو الهذيل الملا » .
 ٤ — الخياط ، كتاب الانتصار ، ص ١٧ ، ٦٧ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٧٢ ، ١٧٩ .
 ٥ — الجوزي ، تليس ابليس ، ص ٨٨ .
 ٦ — فخر الدين الرازي ، اعتقادات فرق المسلمين والمشر كين ، ص ٤١ .
 ٧ — الشهرستاني ، الملل والنحل ، ١٨ ، ٣٤ .
 ٨ — صوان الحكمة ، لظهير الدين البهقي ، ٩٦٦ .
 ٩ — دي بوثر ، تاريخ فلاسفة الاسلام .
 ١٠ — الايجي ، المواقف .

١١ — Carra de Vaux - Avicenne , p. 21 24

جميل صليبا

Les penseurs de l'Islam — ١٢

أقرب الموارد

- ٢ -

ت ج ر - قال في جمع التاجر تجر وضبطها بالشكل فتحاً وكسراً والصواب فيها الفتح وجاء فيها تجر بالضم ولعلها جمع تجار وأما الكسر فلم أرَ أحداً نصَّ عليه .
ت ر ز - وقال ت ر ز (ن . و . ل) تروزاً غلط وييس أي أنها من بابي علم ونصر . والصواب أنها من بابي علم وجلس . ت ر ز ت ر زاً وت ر ز ي ت ر ز تروزاً .
ت س ع - قال تسيم أخذ تسع أموالهم . هكذا كسر التاء والصواب ضمها وقال التاسوعاء اليوم التاسع من الشهر . هكذا أطلقه . مع أنه خاص بالمحرم من الشهور وهو قبل يوم عاشوراء ، قال صاحب الصحاح . وأظنه مولداً . وليس الأمر كما ظنه لأنها ردت في الحديث الشريف عن النبي المصطفى أفصح الخلق وأعرفهم بأنواع الكلام .

ت ع ع - وقال نع ن نعا وتعة استرخى . فجعله من باب نصر مع أنه مضاعف ثلاثي لازم والقياس في مثله باب ضرب ولم يذكره في الشواذ أحد من الأئمة .
ت ل ل - وقال تل الرجل اليه تصرع . هكذا بالضاد المعجمة . وفيه اللسان تل هو يتل تصرع (هكذا بالصاد المهملة) وتله للجبين صرعه كما تقول كبه لوجهه وألتل بفتح الميم المصرع وبكسرهما الذي يتل به أي يصرع وألتال الصريع كالتلول والتليل .

ت و ج - وقال التوحي الصقر المنسوب إلى توّج (انخ) هكذا ضم التاء في كل ما جاء به منها في هذه المادة والصواب فتح التاء ووزنها صاحب القاموس بيقم ونص على أن هذا وزن للأفعال ولم يرد منه للأسماء غير بقم وتوّج وأسماء أخرى .
ث ب ب - جعل ثب ثباباً من باب نصر وهو من باب ضرب قياساً وسماً .
ث ب ر - وقال ثبر البحر : زجر وصوابه جزر من الجزر ضد المد .

ث ج ج — وقال ثَجَّ الماء والدم ثَجًا وثَجوجًا : سال فجعلها من باب نصر وهي من باب ضرب ان كان الماء مفعولاً (أي متعدية) ومن باب ضرب اذا كان الماء فاعلاً (أي لازمة) وكان عليه أن يفصل ذلك .

ث د ن — وقال : انه مُثَدَّن اليد أي مُخَدَّج . هكذا بالتشديد والصواب مُثَدَّن ومُخَدَّج . قال في اللسان . قال ابن بري هو اسم مفعول من ائدنت الشيء اذا قصرته والمُثَدَّن الناقص المخلق وقيل مُثَدَّن اليد مُخَدَّج اليد . وأما المَثَدَّن بالتشديد فهو المسترخي اللحم الكثير .

ث ر د — وقال الثَّرد بالتحريك المطر الضيف وتشقق الشفتين . ونص القاموس انه بالتحريك لتشقق الشفتين وبالتسكين للمطر .

ث ر ن — وقال ثَرَن : أذى صديقه وجاره ولكن عبارة التهذيب كما اوردها صاحب اللسان ثَرَن الرجل : آذى صديقه أو جاره .

ث غ ي — وقال الثغية: الجوع والاثغار يقال أصاب الحي ثغية اي جوع واثغار ونص اللسان قال ابن سيده في المعتل بالياء الثغية الجوع واثغار الحي .

ث ف ل — وقال : ثفل الرحى وزان حمل ثفالها ولكن القاموس نص على انها بالضم أي وزان قفل .

ث ل ب — جعل من لغات الإِثْلِب الإِثْلَبُ . أي بكسر ففتح وهذه ليست هي من لغاته وإنما ذكروا فيه لتين فتح الهمزة واللام معاً وكسرها معاً والفتح أكثر وأظنه توهم من عبارة القاموس وهي قوله (الإِثْلَب وبكسر) ان الكسر للهمزة خاصة وليس كذلك بنص اللسان .

ث ل ع — وقال . المثلَّع : المشدَّخ من البسر وغيره — هكذا وزان مقتل وصوابه المثلَّع كعظم .

ث ل ل — وقال . ثَلَّة البئر ما اخرج من ترايبها ج ثَلَّ أي بكسر التاء وزان عتب وفي القاموس وزان مُصَرَّد (نصاً) .

ت ن ث ل — وقال تنثل تعذر . . . وصوابه تقذر . . .

ج أ ب — استشهد بقول الشاعر :

تَعَرَّضَ جَابَةُ الْمَذْرَى خَذُولٌ بِصَاخَةِ سَيْفٍ امْرَتَهَا السَّلَامُ
فَنَضَبَ خَذُولٌ بِالرَّفْعِ مَعَ أَنَّهَا صِفَةُ الْجَابَةِ الْمَجْرُورَةِ بِالْإِضَافَةِ وَحَقُّهَا الْجَرِّ ثُمَّ ضَبَطَ
صَاخَةً بِإِلْهَاءِ الْمَجْمُوعَةِ وَهِيَ صَاخَةٌ بِالْهَاءِ الْمَهْمَلَةِ كَمَا فِي اللِّسَانِ وَفِي التَّاجِ وَفَسَّرَاهَا بِأَنَّهَا جَبَلٌ .
ج ب أ — وقال : الجبَاءُ طَرَفُ قَرْنِ الثَّوْرِ فُجَاءَ بِهِ كَسَحَابٍ وَصَرِيحُ التَّاجِ أَنَّهُ كَشَدَّادٌ .
ج ث ث — وقال : الْجَبَّةُ شَخْصُ الْإِنْسَانِ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا . وَالصَّوَابُ أَوْ نَائِمًا
وَفِي اللِّسَانِ الْجَبَّةُ شَخْصُ الْإِنْسَانِ قَاعِدًا أَوْ نَائِمًا وَقِيلَ جَبَّةُ الْإِنْسَانِ شَخْصُهُ مَتَكِّئًا
أَوْ مُضْطَجِعًا . . . فَأَمَّا الْقَائِمُ فَلَا يُقَالُ جَبَّتْهُ إِنَّمَا يُقَالُ قَمَّتْهُ وَفِي التَّاجِ إِنَّمَا يُقَالُ قَامَتْهُ ^(١)
ج ح ر — وقال : خَرَجَ عَلَيْهِ حَيَّةٌ مِنْ حَجْرٍ هَا . هَكَذَا قَدِمَ الْهَاءُ عَلَى الْجِيمِ
وَجَعَلَ الْحَيَّةُ جِيمَ فَجَاءَ .

ج خ ف — وَقَدْ جُمِعَ الْجَخِيفُ (بِمَعْنَى صَوْتِ بَطْنِ الْإِنْسَانِ) عَلَى مُجْخَفٍ وَإِنَّمَا
مُجْخَفٌ جَمْعٌ لِلْجَخِيفِ بِمَعْنَى التَّقْصِيرِ لِأَنَّ الْأَوَّلَى مُصَدِّرٌ وَالْمُصَدِّرُ لَا يَجْمَعُ إِلَّا
بِثَبْتِ تَقْوِيلِ سَمْعَتِ جَخِيفِ النَّائِمِينَ وَلَا تَقُلُ مُجْخَفُ النَّائِمِينَ . وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَهِيَ
الَّتِي تَجْمَعُ عَلَى مُجْخَفٍ كَسَرِيرٍ وَمُسْرُورٍ .

ج د د — وقال صرحت بِجِدَاتٍ هَكَذَا بِضَمِّ الْجِيمِ وَالصَّوَابُ كَسَرُهَا
كَمَا فِي كِتَابِ الْأُئِمَّةِ .

ج د ف — جعلها من باب نصر والصواب انها من باب ضرب كما نصت
ج ذ ب — عليه كتب الأئمة .

ج ر ب — وقال اجرتني اجر ثبأ : مثل اشرب زنة ومعنى وأظنه لغة فيه .
هذا كلامه وإنما التي على زنة اشرب وبمعناها هي اجرأب وأما الاجرباء فهو
النوم بلا وسادة وهو غير معنى اشرب ولا بوزنه .

ج ر ذ — وقال : جرذت القرحة ن جرذاً تعقدت فجعله من باب نصر
وهو من باب فرح كما ضبطه الصاغاني .

(١) جاء في عبارة التاج المطبوع بمصر الجئة شخص الانسان قاعداً أو قائماً فأما القائم فلا
يقال له جئة تقوله أو قائماً غلط من الناسخ أو سبق قلم بدل عليه قوله فأما القائم فلا يقال له جئة

ح رس — وقال زيد نُجْرَسٌ لعمره هكذا ضم الميم وأورد الشاهد كذلك مضموم الميم وفي لسان العرب نُجْرَسٌ بفتح الميم وفي الشاهد كذلك مفتوحها ثم كذلك في كلام أبي حنيفة .

ج ر ع — جاء بالشاهد هكذا :

بأجرع مقفار مَرَب محلل

ولكنه في اللسان بأجرع مَرَباع وهو المناسب لقولهم في تفسيره ولا يكون مَرَبًا محلاً إلا وهو ينبت النبات .

ج ر ف — وقال الجرف بالضم وبضمتين . . . ج أجرف (أي وزان اكلب) وفي اللسان ج اجراف وُجِرُوف (أي وزان ضروب) وجِرْفَة ولم يذكر أجرف ولا القياس يقتضيه .

ج ر م ز — وقال اجرَمَزَ فشدد الزاي والصواب اجرَمَزَ بتشديد الميم .
ج زر — وقال الجزار والجزير والزاجر . وصوابه والجازر وأحسبه غلطاً مطبعياً .
ج ع ج ع — وقال . . . من وجع أصابعه وصوابه من وجع أصابه ولعله غلط مطبعي .
ج ف س — وقال جَفَسَ جفاسة أي بكسر الجيم والصواب جفاسة كسحابة كما نص عليه صاحب التاج .

ج ف ل — جفله جفلاً جرفه . جعلها من باب نصر والصواب انها من باب ضرب .
— الا جفلى كسر همزتها والصواب فتحها .

ج ق ق — جق الطائر جعلها من باب نصر والصواب انها من باب ضرب .
ج ل ح — الجُلَحَ الاكول جعلها كُكْرَم والصواب انها كجذَث للاكول وكعظم للأكول .

ج ل ط — قال جالطه كابده بالياء المثناة التحتية وصوابه كابده بالياء الموحدة كما في القاموس^(١) وفي الشرح نسبه الى ابن الاعرابي .

(١) وربما كان الصحيح أو الأصح أن جالطه كاذبه قال في اللسان ومن كلام العرب الصحيح جالط الرجل يجلط اذا كذب والجلاط المكاذبة .

ج ل م د - وقال الجلمد الرجل الشديد الصلب . وفي كتب الأئمة الجلمد الرجل الشديد الصوت كالجلمدة قاله الليث .

ج م خ - جعل جمع جمعاً اذا فخر وتكبر من باب نصر وفي اللسان وغيره من باب منع .

ج م خ ر - وقال الجمخر القصب الأسود من قصب العظام والصواب القصب الأجوف منها .
ج م ع - وقال الجماعة الغل لضرب من الحلبي لأنها تجمع اليدين الى العنق هكذا يعالها . وليس في الحلبي ضرب يجمع اليدين الى العنق والصواب أن يقول هكذا الجماعة الغل لأنها تجمع اليدين الى العنق والجماعة ضرب من الحلبي وبهذا تسلم عبارته .

ج م ن - وقال الجمانى الرجل الطويل أُلجَمَة على غير قياس . فكأنه منسوب الى الجمان كصواب والصواب أُلجَمَانِي يجمع مضمومة بعدها ميم مشددة نسبة الى أُلجَمَة .
ج ن ك - أُلجَنك من آلات الطرب هكذا ضم الجيم والصواب فتحها كما في شفاء الغليل .

ج ه د - وقال المجاهد السهران . ونص الأئمة غرثان جاهد شهوان يجهد الطعام لا يترك منه شيئاً (مجاز) . فصحف وابدل .

ج ه ر - وقال الحروف المجهورة المهموسة وظاهر عبارته ان المهموسة تفسر للمجهورة وليس الأمر كذلك وصحة العبارة ان يقول الحروف المجهورة ضد المهموسة ولعل كلمة ضد سقطت من الطابع .

ج و ب - وقال الجوبة الحفرة . . . ج مَجُوب نادر لأن قياس فَعْلَة ان يجمع على فعال كشمرة وثمار والصواب الجوبة بإسكان الواو وجمعها جُوبَات وُجُوب كصُرْد قال صاحب التاج وهذا الأخير نادر . وذلك لأن فَعْلًا جمع فَعْلَة مضموم العين كغُرْفَة وُغُرَف ولم يذكر احد من الأئمة فيما أعلم الجوبة محركة لمعنى الحفرة .

ج و ر - قال ومنه في القرآن . أهل النار نكّل جمعظري جَوَاطِر ، وليس

- هذا من القرآن بسبب ولا صلة ولو دقق في ما ينقله لقال وفي الحديث كما في النهاية .
- ج و ف — قال وتلعة جائفة قصيرة وصوابه قعيرة أي بعيدة القعر .
- ج و ل — وقال الجليل بالفتح الجال ونص القاموس وشرحه (و) الجول (ناحية القبر والبئر ... كالجيل) بالكسر (والجال) كل ذلك في المحكم .
- والجيل واوى العين وانما حلت الياء محل الواو لمكان كسر الجيم كما لا يخفى .
- ج و م — جمع الجمام على تجوم بالفتح وصوابه مجوم كما في القاموس .
- ج ي س ر — وقال الجيسران جنس من أفخر النخل معرب كبيران بالفارسية .
- أورده صاحب القاموس في مادة ج ي س ، الجيسوان . بالواو وقال هو معرب كبسوان وأصله فارسي .
- ح ب ب — جمع الحب للجرة على حبة بفتح الحاء والصواب كسرهما كعنبية .
- ح ب س — جمع الحيس الموقوف على حصى والصواب في جمعه حبس قال في اللسان والحبس جمع الحيس يقع على كل شيء وقفه صاحبه (الخ)
- ح ب ط — وقال في الحبط (حركة) انها الآثار الوارمة التي تشقق وصوابه التي لم تشقق .
- ح ب ل — وقال الحابل الكثر وهو جبل ... وصوابه الكثر بالفتح .
- ح ت ر ف — وقال حترفه : زعرعه وصوابه حترفه بالثاء المثناة كما في القاموس .
- ح ث م — وجعل حثمه من باب نصر وصوابه انه من باب ضرب كما في المختار
- ح ت م — وجاء في الشاهد على حلة وصوابه على حالة .
- ح ج ر — جاء في حديث الأحنف قد رميت بحجر الأرض فاجعل معه ابن عياض صوابه ابن عباس .
- ح ج ز — وقال حمز : زنج لمرض في المعى صوابه زنج (بالجيم) والزنج حركة اسم لمرض في المعى والمصارين صرح بذلك الأئمة .
- ح ج ل — وقال الحبال : البراق وصوابه البريق كما في القاموس .
- ر ب ج ل : لعبة ... وصوابه دوبي بالدال

- ح ج ل — التحجيل يياض . . . من آثار الطراد وصوابه من آثار الصرار .
 = جاوز الأديساغ وصوابه الأديساغ (جمع رسيغ) .
- ح ج ن — جعل حجن العود من باب نصر والصواب انه من باب ضرب .
- ح د ب — جعل من جموع الحديب بكسر الدال للرجل الأحدب . أحداب .
 وإنما الأحداب جمع حديب الرمل بفتح الدال وقيل لا تجمع على أفعال قياسا .
- ح د ب — وقال وحديب كقطام موضع ويعرب ممنوعا . . . قال جرير :
 (لقد جردت يوم الحدياب نساؤكم) . واميح الموضع الحدياب بكسر الحاء وهو
 في بيت جرير كذلك كما في اللسان
- ح ذ ل — وقال الحذال . مستدار ذيل القميص وصوابه الحذال وزان جبال .
 = = الحذال صمغ الطلح والصواب الحذال بضم الحاء وفتحها
 وفسروه بشيء يكون في الطلح شبيه الصمغ .
- ح ر د — وقال قطا حرود بالضم سراع كما في القاموس . والذي في القاموس
 حرود وزان عنق .
- ح ر د — وقال حاروت حالي : تنكرت وصوابه تنكرت بالدال .
 = = وتر حرود : بعض قواه أطول من بعض وصوابه وتر وزان جبال .
- ح ر ر ب — = الحران بصورة التثنية والحرايبي وهما اخوان فغلب الحرة على
 ابي كما في الأب والأم ونص اللسان والحران الحرة وأخوه أثري . . . كان
 أحدهما أشهر من الآخر سميا جميعا باسم الأشهر والعجب من المؤلف كيف
 عدل عن عبارة اللسان الواضحة الى عبارته هذه المعسلة .
- ح ر س — وقال : قالوا ولا يقال حارمي الا اذا ذهب به الى معنى الحراسة
 دون الجنس والصواب لا يقال حارس (بدون ياء النسبة)
 = الحارمي واحد حرس السلطان نج حرسية . ان هذا الجمع غريب
 وأحسبه عاميا ونص الأئمة الحراس .
- = وقال فلان يأكل الحراسات وصوابه الحراسات بكسر الحاء كما في اللسان

ح ر ص - جاء في جمع الحريص على مَحْرَاصٍ وصوابه مَحْرَاصٌ كَحَكِيمٍ
وحَكَماءٍ واحسبه غلطاً مطبعياً .

ح ز ن - وقال حَزَنَهُ حَزَنًا . . . لغة تميم واحزنه مثل حَزَنَهُ وحَزَنَهُ لغة قريش .
والذي جاء في اللسان هكذا . الجوهري حَزَنَهُ لغة قريش وأحزنه لغة تميم وقد قري
بهما اه . وحكي عن ثعلب ان الثلاثي لغة قريش وأقرهما الأزهري وهو قول ابي عمرو .
ح س ب - وقال استعطاني فاحتسبته ا كثر له (الاساس) لكن عبارة
الأساس فأحسبته أي على فعل لا على افتعل ويشترط في النقل الأمانة .

ح س ر - وقال وكل ما في القرآن من حسرة فهي الندامة الا قوله فيجعل
الله قلوبهم حسرة فان معناه الحزن أما الآية فقد حَرَّفَهَا ونصها : « ليجعل الله ذلك
حسرة في قلوبهم » (آل عمران) وقد قيل في معنى الحسرة في هذه الآية الندامة
وجاءت الحسرة في القرآن لغير الندامة في قوله تعالى : « يا حسرة على العباد
ما يأتينهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » . فكلمته هذه منقوضة على ان الأصل
في معنى الحسرة الكشف والمراد بها الغم بما انكشف من فوات شيء هكذا قالوا .
ح س ب - وقال والحسبان بالضم الحساب ومنه في القرآن : « الشمس والقمر
بحسبان » أي يجريان بحساب معلوم مقدر . و - السهام الصغار الواحد حسبانة .
وهذا كل ما جاء في أقرب الموارد في معنى الحسبان . وأما ما جاء في كتابي
(متن اللغة) في معناها فهو « الحسبان يكون جمعاً للحساب كشباب وشبهان .
ومصدر الحسب نحو الشكران والغفران واسماً للمصدر و - العذاب و - البلاء
والشر و - الجراد و - العجاج و - النار و - سهام يرمي بها الرجل في جوف
قصة ينزع في القوس ثم يرمي بها فاذا نزع في القصة خرجت الحسبان كأنها
غنية مطرت ففرقت في الناس واحدها حسبانة وأصل الحسبان السهام التي ترمى
لتجري في طلق واحد وكان ذلك من رمي الأساورة وأصل الباب الحساب وإنما
يقال لما يرمى به حسان لأنه يكثر كثرة الحساب ويطلق اليوم على السوائل
المنهبة التي يقذف بها في الحرب ويصيح إطلاقه على بنادق الرشاش المعروفة اليوم .

ح س ن — وقال ومنه في القرآن : قل هل تربصون الا احدى الحسنيين
سقط من الآية بنا بعد تربصون .

ح ش ش — وقال قام فلان الى فلان فاستحمه اي حضر معه هكذا جاء
بها من معنى الحضور وصوابه اي فصر معه من الصغر أو من الصغار .

ح ط ط — وقال في مصدر حط البعير الخطاط وصوابه الخطاط بالكسر وقد انصواعليه
منكب مُحَطَّ ليس بمرتفع ولا مُسْتَفِل (هكذا بالفاء) والصواب
المنحط وهو من المناكب المُسْتَفِل الذي ليس بمرتفع ولا مُسْتَقِل ومعنى المستقل
(بالفاء) المخطوط والمستقل (بالقاف) المرتفع والعطف هنا عطف تفسير .

ح ط ط — وقال حط الرجل خطاً : حذر من علو الى سفلى هكذا أورد
الرجل بالجيم مرفوعاً على انه فاعل وصوابه خطَّ الرَّحْلُ بالخاء منصوباً على انه
مفعول وذلك اذا حذره من أعلى الى أسفل .

ح ف د — وقال المحفد كجلس شيء تعلَّقَ فيه الدواب والصواب تعلف وقد
أورده على صحته في المحفد كمنبر فكان هذا غلطاً مطبعياً .

ح ف ن — وقال الحفنة بالضم ملء الكفين وكرر ذلك بهذا الضبط
والصواب فتح الخاء في سائر موارد هذا المعنى كما في اللسان .

—•••••—

أخطاء مطبعية

جاء في كلمتي المنشورة في الجزء السابق من هذه المجلة أخطاء مطبعية فلتصحح بالقلم :

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطأ	صواب
١	١١٩	بالمنشار	بالمئشار	٧	١٢٢	در عيني	و — عيني
١٢	١١٩	آنح	آنح	٢	١٢٢	اني الله	اني أنا الله
١٧	١١٩	البانورنج	البايونج	١٧	١٢٤	الحي	الحي بالتاء المثناة

أحمد رضا

(جبل عامل)

النبطية

الملك الظاهر بيبرس (١)

— ٢ —

وكان أول ما صنعه بيبرس مكانية ملوك الأطراف وأمراء الشام بأمر
تسليمه عرش المملكة المصرية . ومن هؤلاء الملوك صاحب حماة الذي بايعه
مفتبطاً جذلان . ولم يتخلف عن طاعته سوى (الأمير سنجر الحلبي) نائب دمشق
فانه حلف أمراءها لنفسه . ثم دعا اليه صاحب حماة الملك المنصور فأبى قائلاً :
(أنا مع من يملك الديار المصرية كائناً من كان) . وجعل سنجر يحب أهل
دمشق بنفسه . وعرف منهم حبّ الله فيسر لهم أسبابه . وأمر بتجديد القلعة .
فعملوا في بنائها حتى النساء أنفسهن . ولما كملت زفوها بالمغاني والطبول والبوقات .
فكان يوماً مشهوداً . وبلغت قلعة ومروقه من الطاعة بيبرس فاتخذ خطة حازمة أدت
أخيراً الى خضوع سنجر فولى مكانه على دمشق سيده الأول (الأمير أيدبكين
البنقداري) وأخذ بيبرس يتتبع أخبار أمراء الأطراف الذين يخشى انتقاضهم عليه :
فكان يلتقطهم الواحد بعد الآخر : بكل بهم أو يسجنهم أو يستصفهم وينعم عليهم .
واهتم أشد الاهتمام بأمر الخلافة العباسية التي أسقطها التتار وأراد استئثار هذا
الأمر سيفه مصلحته وتثبيت مملكته والتفوق على منافيه من الملوك ولا سيما
بني أيوب فهو باحتضانه الخلافة العباسية يصبح هو وحده حامياً والمفوض من
قبأها في حماية الاسلام . وصيانة بلاد الاسلام .

وقد بلغه أن التتار بعد أن قتلوا الخليفة المستعصم أطلقوا من في سجنه من
أهله . وكان فيهم (ابو القاسم أحمد) الذي لقب (بالمستنصر الثاني) فلجأ الى
عرب العراق وجعل يتنصّر أخبار بيبرس متشوقاً اليه . ويبيبرس أكثر شوقاً

(١) القسم الثاني من محاضرة الأستاذ المغربي التي ألقاها في ردهة المجمع العلمي العربي بدمشق
بتاريخ ٢١ كانون الأول سنة ١٩٤٥ وقد نشر القسم الأول في العدد السابق .

اليه . وأشدُّ رغبة فيه . وبقيت الخلافة شاغرةً مدة ثلاث سنوات ونصف حتى وفد المستنصر أخيراً على بيبرس في حماية أمير عرب الفضل (عيسى بن مهنا) فركب الملك للقائه وأقيمت المهرجانات في القاهرة عند قدومه . وبويع المستنصر بالخلافة . وكان أول من بايعه قاضي القضاة ثم بايعه بيبرس فالعلماء والأمرء . وبعد ان تمت البيعة للخليفة جاء دور إعلان ملكية بيبرس . فعقدت لذلك حفلة كبرى . وكان الخليفة أمر بتفصيل خلعة سوداء وبحمل طوق من ذهب . وقيد من ذهب . وبكتابة تقليد بالسلطنة . فقريّ التقليد ، وألبس الخليفة بيبرس الخلعة السوداء بيده ، وطوق عنقه بالطوق الذهبي ، وقيد رجله بالقيد الذهبي . وشقّ القاهرة بموكبه ، والأمرء يمشون بين يديه . فكان يوماً يقصر اللسان عن وصفه .

ولا غرابة في أن يطوق الملك بطوق الذهب ، فقد كان ذلك مألوفاً في تزاوين الملوك الأقدمين ، وآيين احتفالاتهم ، ولكننا لم نفهم معنى للقيد الذهبي في رجل بيبرس ، فهل كان الغرض منه أن يكون خلخالاً للزينة كالطوق ؟ أو هو رمز إلى أن بيبرس سوف يبقى عبداً للخلافة مقيداً بخدمتها ، وأسيراً لفضلها ومنّتها !

وقد جاء في تقليد الخليفة لبيبرس مانصه : (وأمر المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع . ويعترف أنه لولا اهتمامك لاتسع الخرق على الراقع . وقد قللك الديار المصرية والشامية والفراتية والحجازية واليمينية ، وما يتجدد من الفتوحات غوراً ونجداً . وفوض أمرها إليك حين أصبحت للمكارم فرداً) .

وهكذا انتقل الأمر والنهي من سلطة العرب إلى سلطة الأعاجم وبقي الخليفة في مصر لا شأن له . وكان أشبه بالسجين لكنه كان يزور أحياناً الأمرء والكتاب والقضاة : يهنئهم بالأعياد ، فالملك الظاهر إنما أعاد الخلافة العباسية لأجل أن يتلقى منها السلطة الشرعية ، ويحتجّ بها على منافسيه ، ثم أمهلها حتى قام زميله الأعجمي الآخر (السلطان سليم العثماني) فنقل الخلافة من

مضرا الى الامتانة وهناك طمس اسمها ، ومحي رسمها ، حتي قام السلطان (عبد الحميد الثاني) فحاول إحياءها والاستفادة من قداستها ، فلم يرق ذلك لمن يدهم السيطرة العالمية فاحتالوا على إسقاطها في الامتانة ، ثم أرادت ان تنهض في مكة ولكنهم عادوا فأماتوها في قبرص .

ومنصب الخلافة أيها السادة ثالث ثلاثة محاور تدور عليها جامعة الاسلام ، فان كانت ماتت خلافة فإن القرآن والكعبة حيان لن يموتا ، بل ان فيها الكفاية لدوي الألباب .

وحصل في بلاد الشام خلاف بين أمرائها أدى الى وقائع ومناوشات فاتخذ بيبرس من نزاعهم ذريعة الى زيارتها ، وهناك شيء آخر قام في نفسه : وهو ان يصطحب الخليفة الجديد ويجهزه الى استرداد بغداد من ايدي التتار فدخل بيبرس دمشق وهو معه .

وهذه أولى سفرات بيبرس الى الديار الشامية ، وقد بلغت سفراته اليها ست عشرة سفرة ، ومدة سلطنته ثماني عشرة سنة ، فيصيب كل سنة وشهرين من أيام سلطنته سفرة واحدة الى الشام . وسنذكر ما جرى له في تلك السفرات ملخصاً تلخيصاً ، أما تفاصيلها فمدونة في كتب التاريخ لمن أرادها .

ولما نزل دمشق كان أول من جاءه فيها ملك حماة (المنصور) الذي أتى أن يشتره خوف الشر اللامع في عينيه لكن بيبرس لم يألف من الحفاوة به والاحسان اليه : فخلع عليه وأعطاه ثمانين ألف درهم ، وهدايا أخر ، وثبته في مملكة حماة الى ما شاء الله حتى كان من ذريته المؤرخ (ابو الفدا) ملك حماة ومفخرتها . وأخذ بيبرس في إعداد حملة للخليفة (المستنصر) وتجهيزها بكل وسائل الأبهة والعظمة ، حتى قيل إنه أنفق عليها أكثر من مليون دينار ، وسار الخليفة وفي ركابه عدة ملوك ، أما بيبرس فلم يصحبه ، ولم يلق بنفسه في الأتوت : ذلك أن الخليفة لما دخل العراق اتقاد اليه بعض مدنها ، واستعصى عليه بعضها ، وصمد اليه (قرايوغا) عظيم التتار يجنوده وذلك سنة (٦٦٠ هـ) ولم يكن مع

الخليفة من الجنود الا التركمان وجماعة من العربان . وتسلل من رافقه من الملوك . فلم يشهدوا الواقعة معندين بقولهم (مامعنا مرسوم بذلك) يعنون من بيبرس فهل كان هذا التدبير من مكاييد بيبرس للتخلص من الخليفة الأسود اللون والمشكوك في نسبته الى بني العباس ، فورطه في هذه الفتنة التتارية حتى غرق فيها . ولم يظهر له أثر بعدها ؟ وهذا ما حدث : فان المستنصر لما التقى بالتتار أحاطوا به فنجوا بعض أمرائه ومنهم أمير عرب الفضل (ابن مهنا) وقتل بعضهم . أما هو فلم يوقف له على خبر : قيل قتل ، وقيل نجا مجروحاً ومات في منازل العربان ، وقيل سلم وأضمرته البلاد ، وهكذا تم ما أراد بيبرس وتخلص من الخليفة بعد أن أصبح ملكاً شرعياً بمبايعته له .

ولعل بيبرس لم يرد هذا وانما اراد بهذه الحملة أن يعجز عود التتار ومبلغ قوتهم ، ولم يشأ أن يخامر بنفسه وهو بعد في السنة الثالثة من ملكه ، فلم تتوفر لديه القوة ولا أسبابها من عتاد وسلاح ، ولم يطمئن بعد الى من حوله من الأمراء الطامعين في الملك : فان بعضهم ما زال يراوغ ويضمر السوء ، وينزو هنا وهناك تزوان الثعالب . ومنهم الأمير (آقوش البرونلي) الذي أراد أن يستبد بحلب ثم عاد فخضع .

ورجع الملك الظاهر الى مصر من دون أن يكون معه خليفة ، غير أن مصر أصبحت مطمح أنظار الطامعين بالخلافة من آل العباس فقصدوها منهم (الحاكم بأمر الله) فاحتفى به بيبرس وعقد مجلساً لمبايعته فبويع لكنه رَمَمَ عليه أن يبقى في القلعة شبه سجين .

وفي سنة (٦٦٣ هـ) كثرت الشكاوي على قاضي مصر (ابن بنت الأعز) ونسبوا اليه التراخي في الأحكام فرأى الملك أن يجعل القضاة أربعة : لكل مذهب قاض في مصر وفي دمشق أيضاً ، واتفق ان كان من قضاة دمشق ثلاثة ، كل منهم كان يلقب . بشمس الدين : شمس الدين بن خلّكاف الشافعي . وشمس الدين الأذرعي الحنفي ، وشمس الدين بن أبي عمر الحنبلي . فقامت دمشق

تشكروا، نوتقول : ما الفائدة من هذه الشموس . وظلام الجور مخيم فوق الرؤوس ،
وقال شاعرهم : بدمشق آية قد ظهرت للناس عاما
كلما ازدادوا شمساً زادت الدنيا ظلاما

وكان التجاسد والتنازع حول الوظائف الدينية بالغاً مبلغه في ذلك العهد : من
ذلك ما ذكره (ابن أبي عذيبه) في تاريخه : ان التتار لما وصلوا الى حمص جمع
الشيخ (محي الدين بن النكي) صدر دمشق في ذلك العهد علماءها ، وأهل المناصب
فيها وأشار عليهم أن يهيئوا هدية سنية يتوجه بها الى حمص ويقدمها الى ملك
التتار باسم مدينة دمشق ملتسماً منه عدم التعرض لها بسوء ، فاستحسنوا رأيه ،
وأخذ الهدية وقدمها اليه فقبلها شاكراً وولاه قضاء الشام . فكبر الأمر على
منافسيه من علماءها ، فجازوه على حسن صنيعه : بأن أرسلوا الى (الملك الظاهر)
يقولون : ان الشيخ النكي اقتطع لنفسه من الهدية قسمًا كبيراً وطلبوا محاسبته ،
فاستدعاه الملك الى مصر وسأله عن القضية فشرحها له ، ولما تبين صدقه كفّس
به أن يعيش في دمشق بين أولئك الحسدة فأبقاه لديه في مصر .

ولما استقرت الحالة الداخلية في المملكة أخذ الظاهر يفكر في الحالة الخارجية
وكان يهجم في الأكثر تطهير البلاد من الصليبيين ، فخرج من مصر الى الشام
وهي سفرة الثانية وذلك سنة ٦٦٤ هـ ونزل عين جات قرب نابلس ، ومنها بث
جنوده فأغاروا على عكا وصور وطرابلس فسبوا وغنموا . ثم نهض هو الى صفد
فامتعت عليه إلا أن يحلف لهم هو نفسه على شروط الصلح ، وكان في صدره
خزاية عليهم فمكر بهم مكرأ حاسبه عليه التاريخ ، ولأمره ميور الانكليزي بسببه
أشد اللوم : ذلك أنه اجلس على كرسيه أحد أمراءه (كرمون آغا التاري)
فحلف كرمون آغا ليرسل صفد وعم يظنونهم الملك الظاهر لشدة شبهه به .

وتسلم الملك القلعة ، وبلغه ان أهلها أخذوا بعض ماله قيمة من التحف وكانوا
تعهدوا أن لا يفعلوا . فأمر بضرب رقابهم ، ورجع الى مصر وكان أمر بعارة
جسز على نهر الشريعة فظهر خلل في بعض أركانه وتعذر إصلاحه بسبب طغيان

المياه فقلق الملك واتفق ابن وقعت قطعة من الجبال على المجاري فاقطع الماء . فأصلحوا الجسر وعادت المياه الى مجاريها . وُعدَّ هذا من حسن طالع الملك . ثم رجع بيبرس الى الشام لمتاجزة الصليبيين في ٧ جمادى الآخرة سنة ٦٦٥ فاستولى على انطاكية في ٤ رمضان : ففي خلال الثلاثة الأشهر إلا أياماً اجتاز بيبرس قفار صحراء مصر وطور سيناء حتى بلغ يافا ففتحها وفتح بعدها شقيب أرنون واكتسح أرباض طرابلس وحصن الأكراد وصرَّ بحمص وحماة وأفاميا حتى انطاكية ففتحها : معازل حصينة ، وعدوٌّ جبار مسلَّح ، ومسافات طويلة تبلغ زهاء ألف كيلو متر ، ولا سكك حديد ، ولا سيارات نقل ، ولا طائرات ، ولا بخار ، ولا كهرباء ، ولا تلفونات . أليس كل هذا من خوارق همم جارنا الملك الظاهر ، وشدة مضائه ، وعجيب عزائمه ! وماذا كان شأن بيبرس في الشام بعد هذا الفتح ؟ كان شأنه في الشام كما كان شأنه في مصر : قلق واضطراب وحذر وسوء ظن يجعله لا يستقر على حال ، ولا يهدأ له بال . كان وهو في مصر يفكر في حال أمراء بلاد الشام وملوكها : أم باقون على ولائهم مستسكون بطاعته ؟ يفكر في بقايا الصليبيين أما حان جلاؤهم عن البلاد ؟ وهناك أرمن وتتر على الحدود في الشمال والشرق ما فتئوا يعيشون ويتربصون الدوائر بالبلاد — كل ذلك كان يزعجه فيعجل من مصر الى الشام فيعمل ما سمعته نموذجاً منه آنفاً . حتى اذا استقر في الشام أخذ يفكر في مصر وأمرائها : أباقون هم على طاعته والنصح له والالتفاف حول وليّ عهده وجميعه في قبره (الملك السعيد) فيهب من فوره ويسرع الى مصر . وهكذا قضى سني ملكه يراوح بين الرحلتين . ويتزنى تنزّي النمر بين القطرين .

اكتسح الشام وفتح انطاكية وعيّد في دمشق . وعاد الى مصر فدخلها في ١١ ذي الحجة سنة ٦٦٥ ورأى ابن يحتفل بولاية العهد لابنه السعيد ففعل وأخذ القضاة يحلفون الأمراء على بيعته وإحماض النصح في خدمته . وخرج الموكب من القلعة بأبهة السلطنة والظاهر بيبرس ماشٍ على قدميه أمام ابنه ، وولي عهده .

كل ذلك زيادة في تمكين السلطان له ، وتقريره في نفوس الأمراء : فلا يتحدثهم أنفسهم بالانتقاض عليه ، واختلي به يوماً فقال له : (إنك صبي وهؤلاء الأمراء الأكابر يرونك بعين الصبي فمن بلغك عنه ما يشوش عليك ملكك وتحقق ذلك منه فاضرب عنقه ، ولا تستشر أحداً فيه ، وافعل ما أمرتك به وإلا ضاعت مصلحتك) .
ولما هدأ باله من جهة ابنه سافر الى الشام لمقابلة رسل التتار فأترلم في القلعة واستقبلهم فيها وأدّوا رسالة ملكهم (ابنا بن هولاكو) وبما قال له فيها :
(وأنت لو صعدت الى السماء أو هبطت الى الأرض ما تخلص منا . فالمصلحة ان تجعل بيننا صلحاً . وإنما أنت مملوك أبيت في سيواس (أي عرضت للبيع فيها) فكيف تشاقت مملوك الأرض وأولاد مملوكها ؟)

فوسّع الملك الظاهر صدره لهذا التهديد والتعيير ، وصرف الرسل برسالة ملخصها : إنه عامل على استرداد ما بأيديهم من بلاد الاسلام وسيروث .
ثم تسلّل يبدرس عائداً الى القاهرة خفية ، والناس في دمشق يظنونونه مريضاً :
تغدو الأطباء عليه وتروح .

وبفهم من كلام المؤرخ (ابن تغري بردي) ان يبدرس غادر بلاد الشام في ١٨ شعبان وعاد اليها في ٢٩ منه ، فكانت مدة غيابه احد عشر يوماً : منها أربعة أيام أقامها بمصر والباقي سبعة أيام للذهاب والإياب . أليست هذه السرعة في قطع المسافات من مواضع العجب إن لم تكن من مواضع الشك في صدق الخبر وضبط الأرقام ؟ اللهم الا اذا ادعى مدع بأن يبدرس كان يمتطي خيل البريد المهيأة له في المنازل وهو منذ حدوثه في بلاده اعتاد ركوب الأفراس والطراد عليها ، وكأن شربه حليها . أورثه صبرها ودؤوبها . وجعل اعصابه من أعصابها ، ووثوب الفهد ليس من العجيب . وقديماً قالوا الكل مسمى من اسمه نصيب .
وكان غرضه من تعجيل الزيارة لمصر الوقوف على أحوال ولده وحسن قيامه بأعباء الملك واخلاص الأمراء له والاطمئنان الى خلو الجو من الدسائس والمؤامرات ؟ كل هذا كان يخافه الظاهر يبدرس لأنه درس طبيعة ذلك العصر

وأخلاق أهله منذ حدثته : فهو يعرف ان الابن أحياناً يخون أباه وبالعكس ،
والخشداش^(١) يخامر علي 'خشداشه' ويسلمه إلى الهلاكة . فلا تعجبوا أيها السادة
من سوء ظن جارنا الملك الظاهر وشدة حذره .

وفي سفرته هذه إلى الشام شخص منها إلى الحجاز فأدى الفريضة وزار
المدينة المنورة فهرب منها المتغلب عليها (جَمَّاز بن شَيْخة) من امراء عرب
الفضل . فعجب بيبرس لهروبه . قال : ولو ظفرتُ به لما قتلتهُ لأنه في حرم
النبي ﷺ . ورجع إلى مكة فطاف وسعى وصعد الكعبة وغسلها بيده بماء الورد
وعاد إلى الشام فمصر فأغدق الهدايا والخلع والمال على أمراءه ، ثم عاد إلى الشام
وهذه هي السفرة السادسة من سفراته ، وأريحوني أيها السادة من تعيين مقدار
الأيام التي كان يمكثها هنا وهناك وفي الطريق فقد عرفتُم نماذجها مما مرّ . وأنا
أشعر أنكم مذ تصورون قلقلة الظاهر ركابه في سفراته . ونشاطه في غدواته وروحاته
تقارنون بينها وبين سكونه الأبدى في هذه الحفرة الضيقة التي وصفها سيدنا علي
فقال : (لو زيد في 'فسحتها' ، وأوسعت يدا حافرها ، لأضغطها الحجر والمدّرة -
ولسدّ 'فرجها' التراب المتراكم) .

وقد أمرَ بيبرس وهو في الشام ابن اخت ملك عكا ، وبلغه ان مراكب
الافرنج دخلت ميناء الاسكندرية واستولت على مركبين للمسلمين فهبّ مسرعاً
إلى مصر ، وبلغه هناك ان مراكب الافرنج عادت فنهبت ميناء الاسكندرية
فأمر بتقوية وسائل الدفاع عنها : من ذلك أن تقتل كلابها ، وتغلق حوائيتها
ليلاً وان لا يوقد فيها نار ليلاً . ونهض إلى الشام . وهذه هي سفرته السابعة
فمر بعسقلان فهدم سورها فوجد تجته كوزين فيها ألفا دينار ذهباً ففرّقها على
إصحابه . ولم يصل هذه المرة إلى دمشق بل عاد إلى مصر ثم لم يلبث أن عاد

(١) الخشداش كلمة تركية شاع استعمالها بين ممالك ذلك العهد ، وكان الواحد منهم يطلقها
على مملوك آخر توثقت بينهما أواصر الود مذ كانا مملوكين لسيد واحد ، وجعلها بعضهم
مرادفة لكلمة Camarade الافرنسية .

الى الشام فدوَّخ وفتح وأسر من الصليبيين حتى التى عصا التسيار أخيراً على
(حصن الأكراد) المعقل المنيع المشهور بين حمص وطرابلس فهدم أسواره
واستولى عليه . وعلى البلاد التي حواليه .

ثم قصد طرابلس وشدَّد الحصار عليها . وفي آخر الأمر هادن صاحبها (ييموند)
على شروط : ومن تلك الشروط أن تكون عَرَقَة وتُقرأها (وهي ست وخمسون
قرية) صدقة من يبرس على البرنس ، وهذه إحدى دُعابات جارتنا الملك . فأنف
البرنس (ييموند) وتوقَّف عن توقيع الاتفاقية وأبى يبرس إلا إبقاء هذا الشرط
بهذا التعبير . وفي آخر الأمر وقع البرنس الاتفاقية مكرهاً .

وعاد الظاهر الى مصر بعد أن أُنقِى في هذه السفرة على عسكره ثمانمائة ألف
دينار . وكان بلغه أن طائفة من الأمراء تأمروا عليه وهو ما كان يحشاه
ويقلق راحته فقبض عليهم ومجنهم في القلعة .

وبلغه ان صاحب قبرص جاء الى عكا فاغتنم يبرس فرصة غيابه وأرسل الى
قبرص حملةً بحرية فعصفت بها الرياح وتحطم من شوانيتها (أي سفنها) أحد عشر
من سبعة عشر شونياً . وأخذ من فيها أمرى ، وكانوا ألفاً وثمانمائة . فعظم ذلك
على الملك وأمر بمنع الخمر فأريقت . وكان التزامها ألف دينار كل يوم .

(لها بقية)

المغربي

ضرب المخطوطة على جميع المخطوطات

للمحافظ محمد بن طولون الدمشقي الحنفي رحمه الله

نشرها نشرًا جديدًا وعلق عليها الدكتور محمد أسعد طلس

(القسم الثاني)

ترجمة المؤلف

ابن طولون : هو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن احمد المدعو بمحمد ابن علي بن خمارويه ابن طولون الصالحى الدمشقي الحنفي المكنى بأبي الفضل . ولد بصالحية دمشق في حكر الحجاج المشهور في زمنه باسم حكر بني القلانسي قبل مدرسة الشيخ ابي عمر كما يقول هو عن نفسه ^(١) ويقول ابن العماد في شذرات الذهب : انه ولد بالسهم الأعلى قرب المدرسة الحاجبية . قلت ولا تناقض فان السهم الأعلى اسم يشمل المدرستين العبرية والحاجبية وما حولهما وكل ذلك زال في يومنا هذا وانما يطلق عليه اسم حارة لاكراد . والعبرية باقى اكثر مرافقها أما الحاجبية فلم يبق منها الا حيطانها ولا تزال معروفة باسم الحاجبية ^(٢) . وكان مولده في ربيع الأول من شهور سنة ثمان وثمانمائة تقريباً كما يقول هو عن نفسه . مات والده — ازدان التركية — فعنى به أبوه وتعلم الخط بمكتب المدرسة الحاجبية ثم حفظ القرآن بمكتب مسجد الكوافي الشهير الآن بمسجد العساكرة بالسهم الأعلى وصلى به في هذا المسجد في رمضان سنة سبع وثمانين وحضر خلفه في الصلاة شيخ الاسلام زين الدين بن العيني الصالحى وشمس الدين محمد بن عيسى البغدادي . ثم حفظ المختار في الفقه الحنفي وعرضه على الزين العيني بمحل تدريسه

(١) انظر رسالة « الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون » لابن طولون نفسه وقد ترجم

فيها نفسه ونشرها السيد حسام الدين القدسي باسم رسائل تاريخية رقم [١] بمطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٢٨

(٢) انظر كتاب منادمة الأطلال للرحوم بدران . وكتاب تمار المقاصد لابن عبد الهادي

الذي نشرناه وعلقنا عليه وذيلائه .

بالجامع الأموي ، ثم حفظ كتاب المنار في أصول الفقه الحنفي للحافظ النسفي
وكتاب الخلاصة الألفية لابن مالك النحوي . والآجرومية لابن آجروم ،
وكتاب الحدود لأبي عبد الله الأبيدي والمقدمة الجزرية لشمس الدين بن الجزري
وعرض هذه الكتب سنة اربع وتسعين وثمانمائة على جماعة منهم شيخ الحنفية
بدمشق العز بن الحمراء ، وشيخ الشافعية التقي بن قاضي عجلون ، وشيخ الحنابلة
الشهاب العسكري ، وقاضي قضاة الحنفية الحب بن القصيف ، وقاضي قضاة الشافعية
الشهاب بن القرفور ، وقاضي قضاة الحنابلة النجم بن مفلح ، والقاضي التقي بن قاضي
زرع ، والقاضي المسند البرهان القطب . ثم حفظ تلخيص المفتاح للجلال القزويني
والشمسية في المنطق ، والفية الحديث للعراقي ، وحرز الأمان ووجه التها في
القراءات السبع لأبي القاسم الشاطبي ، والدرة في القراءات الثلاث نعمة العشرة
لابن الجزري ، وعرضها على الجمال يوسف بن عبد الهادي . وقرأ القرآن بالسبع
أفراداً وجمعاً على محي الدين الأربدي ، وبالثلاث نعمة العشرة على الشيخ شمس الدين
ابن البصير امام باشورة الباب الصغير . ثم اقبل على رواية الحديث النبوي عن
جماعة منهم : ناصر الدين ابو البقاء محمد بن أبي بكر بن ابي عمر الصالح الشهير
بابن زريق ، قرأ عليه في مدة عشر سنين أكثر أمهات كتب الحديث وقد
سمماها باسمائها في الفلك المشحون^(١) كما أطال بذكر ترجمة شيخه هناك . وقرأ أيضاً
على أبي الفتح المزي ، وخديجة الارموية . وكان يعني أثناء ذلك بالاشتغال
بعلم الحديث النبوي دراسة فقرأ على الشيخ المحدث جمال الدين يوسف بن عبد الهادي
المشهور بابن المبرد بعض كتب السنة وكتاب النخبة وشرحها لابن حجر ، وقرأ على
شمس الدين بن رمضان حل الفية الحافظ العراقي ، وقرأ على عمه الجمال بن طولون
شرح الفية العراقي لزين الدين بن العيني ، ثم قرأ علم الكلام على جماعة منهم
الملا عبد النبي شيخ المالكية : قرأ عليه شرح العقائد النسفية للتفتازاني مع حاشية
الخيالي ، ثم شرح الطوالع للاصفهاني ، وقرأ علم الاصول على جماعة منهم البرهان
ابن عون ، قرأ عليه شرح المنار لابن فرشته ثم شرح المغني للقاءاتي ثم شرح

التنقيح لصدر الشريعة . وقرأ علم أصول النحو على جماعة منهم عبد الصمد الهندي
قرأ عليه : الاقتراح للسيوطي . وقرأ علم النحو على جماعة منهم الشهابي بن شكم :
قرأ عليه الأجرومية والبصروية للشمس البصري ، والملحة للحريري ، وقواعد
الاعراب والتذور وشرحه لابن هشام ، ثم الفية ابن مالك وشرحها لولده . وقرأ
علم التصريف على جماعة منهم الشمس بن رمضان قرأ عليه شرح العزى للتقنازاني ،
ومنهم الشمس الصفدي قرأ شرح المراح ، ومنهم المنلا عبد النبي الهندي قرأ
قرأ عليه بعض شرح الشافية للجاربردي . وقرأ علم المنطق على جمع منهم المنلا
شمس الدين قرأ عليه الرسالة الأثيرية لأثير الدين الأبهري المشهورة بإساغوجي
ثم شرحها للكافي ثم لابن الفري ، ومنهم المنلا عبد النبي قرأ عليه الشمسية
ثم شرحها للقطب والتقنازاني ، ثم شرح المطالع للقطب وجل الخونجي وشرحها
للسيد وقرأ علم التفسير على جماعة منهم الشهاب العسكري : قرأ عليه بعض اتقان
السيوطي ، ومنهم المنلا جلال الدواني قرأ عليه تفسير الفاتحة من الكشف ثم
تفسير آية الكرسي للشرواني ، وقرأ علم العروض على جماعة منهم : الشهاب بن شكم
قرأ عليه الأندلسية لأبي الجيش الأندلسي ، ومنهم الشمس بن نصير قرأ عليه
الخزرجية . وقرأ علم القوافي على جمع منهم : الشهاب بن شكم والشمس بن نصير
وقرأ عليه الكافي لابن بري . وقرأ علم الطب على جمع : منهم رئيس الأطباء بدمشق
الشمس بن مكي قرأ عليه متن الكليات للإبلاقي ثم شرح كليات القانون للرازي
ثم الموجز لابن نفيس ، وبعض شرح فصول ابقراط لابن القف ، وشرح المنلا
نفيس على الأسباب والعلامات للسمرقندي وكتاب المنصوري ، ومنهم الجمال
ابن المبرد قرأ عليه كتابه في الأعشاب والطب النبوي ، ومنهم الشهاب القرعوني
قرأ عليه اماكن من كتاب الامتياز في الحيات لموسى اليلداني ، وقرأ علم الهيئة
على جماعة : منهم الشمس بن مكي قرأ عليه الملخص للجفميني وشرحه للسيد الشريف .
وقرأ علم الهندسة على جماعة : منهم الشمس بن مكي قرأ عليه أشكال التأسيس للشمس

إلتحق بقندي ثم شرحه للسيد الشريف ، وقرأ علم المعاني على جمع منهم الشمس
ابن رمضان ، وعلم البيان على الشمس وعلى عبد الصمد الهندي ، وعلم البديع على
الشمس والعلاء بن مليك . وقرأ علم الحساب على عرفة الوراق والمنلا عبد النبي
الهندي . وعلم الفرائض على عمه الجمال بن طولون وعرفة الوراق والبرهان بن
عون . وقرأ علم الميقات على جمع منهم ابو الحسن المنوفي ؛ قرأ عليه رسالة المقنطرات
للشرف الخليلي ثم رسالة الجيب للشمس التيزيني ؛ ومنهم عرفة الوراق قرأ عليه
منظومة المقنطرات للبرهان الزمزمي ، ومنهم الشيخ الشمس بن ابي الفتح قرأ عليه
رسائله الشمسية في الأعمال الجيبية ، ثم كتاب تحفة الاحباب في الباذننج ونصب
المحراب لأبي العباس ابن المجدي ، وقرأ علم الفلك على جمع : منهم الشمس بن ابي الفتح
قرأ عليه كشف الحقائق في حساب الدرج والدقائق لأبي العباس بن المجدي ،
ورسالة حساب الدرج والدقائق بجدول النسبة الستينية لأبي الفضل الموقت ،
وكتاب التيرين من زيج ابن الشاطر ، ومنهم ابو الفضل المؤذن قرأ عليه الكواكب
السبعة من مختصر زيج ابن الشاطر الملقب بالدر الفاخر اختصار الشهاب الحلبي .
وقرأ علم الطبيعي على جمع منهم الشمس بن مكّي قرأ عليه الهداية لأثير الدين
الأبهري ثم شرحها للمنلا زاده ، وقرأ علم الآلهي على جمع منهم : الشمس بن مكّي
وقرأ عليه الهداية . وقرأ علم التاريخ على جماعة منهم : يوسف بن عبد الهادي
قرأ عليه الشماريخ في علم التاريخ للسيوطي ، وقرأ علم اللغة على جماعة منهم
الشهاب العسكري قرأ عليه أماكن من المزهر للسيوطي ، وقرأ علم التصوف
على جماعة منهم : ابو الفتح الاسكندري قرأ عليه أماكن من كتابة ابتغاء القربة
باللباس والصحبة ، منهم الجمال يوسف بن عبد الهادي قرأ عليه كتابه صدق التشوف
في علم التصوف وكتاب يد العلقه بلبس الخرقة والبسه ايها ومنهم ابو عرافية
وقرأ عليه عوارف المعارف ثم البسه الخرقة ايضاً . وقرأ علم الفقه على جمع منهم
الزين بن الغيني قرأ عليه بعض كتاب المختار للفتوي للشيخ المجد البغدادي ،
ومنهم البرهان بن القطب قرأ عليه بعض كتاب المختار ، ومنهم شيخ القجاسية

الشمس بن رمضان قرأ عليه بعض الكتاب المذكور والكثير للحافظ النيسفي واجازه بالتدريس في ٧ ربيع الأول سنة ٩٩٩ هـ ومنهم امام الحنفية البرهان بن عوف قرأ عليه مجمع البحرين لابن الساعاتي ، والهداية للمرغيناني ، اجازه بالافتاء في سنة ١٠٩١١ هـ وقال في كتابه الفلك المشحون بعد ذكر ما تقدم : وقد اشتغلت بعلوم اخر على اشياخ غرباء اعرضت عن ذكرها هنا لقلة اهتمامي بها ومن اراد الاطلاع على معرفة ما تبسر لي نوع الإمام به من انواع العلوم فعليه بكتابي المسمى باللؤلؤ المظوم فاني ذكرت في كل واحد منها ما تبسر لي من رسمه وموضوعه وغايته وعمن اخذته وماذا كتابي فيه واي شيء لي فيه من تأليف الى حين وضعي هذا المؤلف وفائدة مهمة منه وغالباً لا اخل بذكرها اجمع اذ هي الفرض وربما يستفاد منها أمور اخرى بالعرض ومجموع ما ذكرت فيه من العلوم ثمانية وثلاثون علماً على عدد موالي النبي صلى الله عليه وسلم وفي ضمنها علوم آخر تزيد مع هذه على اثنين وسبعين علماً . ثم سرد بعض أجازاته فارجع اليها اذا شئت^(١) اما الوظائف التي وليها فهي انه كان اول امره يعقد الأنكحة باذن من الخليفة بمصر وقد ذكر طرفاً من صيغ عقود هذه في كتاب الفلك المشحون فارجع اليها^(٢) ومن وظائفه قراءة القرآن تحت قبة النسر بالجامع الأموي وذلك حسب وقف السلطان المؤيد شيخ ، وقراءة القرآن بالتربة الشهائية بسفح قاسيون ، وقراءة القرآن ايضاً بالتربة الاسعدية [السعربية] بالجسر الأبيض ، وقراءته بالسبع في المدرسة العمرية الى غير ذلك من القراءات القرآنية التي احصاها في ترجمته^(٣) ومن وظائفه قراءة الحديث النبوي بالمدرسة العزية بالشرف الأعلى^(٤) وقراءة صحيح البخاري ومسلم في وقف آسية بنت السعدي بربوان تربة اهلها بالجامع الجديد . وقراءة البخاري المنسوبة لم والده الخواجا برهان بن

(١) الفلك المشحون من ص ١٨ الى ص ٢٠ (٢) المصدر السابق ص ٢٠ - ٢٣

(٣) للمصدر السابق ص ٢٢ - ٢٣ (٤) أقول هي المدرسة العزية ولا تزال

موجودة أمام مدرسة التجهيز وانظر كتابنا ثمار المقاصد .

تدليل^١ . ومن وظائفه امامة الخانقاه اليونسية بالشرف الأعلى وكان ساكناً فيها في ٨ ربيع الآخر سنة ٩٠٨^(١) ومنها امامة الزاوية السيوفية بمحلة الفواخير في سلخ رجب سنة ٩٠٨ هـ وامامة عمارة السلطان سليم بالصاحلية وهو أول من وليها في مستهل محرم سنة ٩٢٤ . ومن وظائفه خطابة المدرسة الركنية بسفح قاسيون في ١٢ ذي القعدة سنة ٩٠١ الى ان خربت محلتها . ومن وظائفه المشاركة والنظر على المدرسة المرشدية وكان له ربع اجرة المشاركة . ومن وظائفه تفرقة الربرة بالمدرسة الجوهرية في ١٢ رجب سنة ٩٠٩ . ومن وظائفه خدمة الكتب الخفية بالمدرسة العمرية ، وخدمة الكتب المنسوبة لبد الرحمن بن العيني الموضوعة في تربته بالخاتونية داخل الجامع الجديد بالصاحلية ، وخدمة الكتب المنسوبة للعلاء البخاري الموضوعة بمشهد عمروة بالجامع الأموي وقام بذلك سنين عن عمه الجلال ومن وظائفه كتابة الغيبة بالمدرسة الجوهرية . ومن وظائفه تدريس التصوف بالخانقاه اليونسية والخانقاه الحسامية بالقرب من الشبلية^(٢) . ومن وظائفه أيضاً الفقه في الماردانية والخاتونية البرانية وفي ابواب الجامع الجديد ، والمدرسة الجوهرية والمرشدية والمنجكية ، والدماغية داخل باب قلعة دمشق ، والجمالية والشبلية الجوانية^(٣) ومن وظائفه الاعادة بالمقدمة الجوانية . ومن الوظائف التي كان يشغلها التدريس في الماردانية ، والعذراوية ، والخفية بالمدرسة العمرية ومن وظائفه أيضاً المشيخة بزاوية المنجية بالربوة ، وبالخانقاه اليونسية ، وبالزاوية السيوفية ، ومن وظائفه نيابة النظر في الخانقاه اليونسية ووقفها ، والزاوية المنجية بالربوة ووقفها ، والنظر على زاوية السيوفي ووقفها ، ووقف ذريته ، والنظر على مكتبة العلاء البخاري ، وفي سنة ٩٤٦ عرض عليه قاضي دمشق محمد باك الاصطنبولي خطابة الجامع الأموي فاعتذر لضعف بدنه . وفي سنة ٩٥٠ عقيب موت مفتي الخفية القطب

(١) الخانقاه اليونسية هي التي يسميها العامة في هذه الأيام بجامع الطاووسية ولها بابان أحدهما من البصرة والثاني من طريق الصاحلية وانظر أيضاً كتابنا ثمار المقاصد (٢) انظر ثمار المقاصد (٣) وهناك مدارس أخرى ذكر ان له فيها (فقه) وما أدري ما المراد بهذه الكلمة ولكن المراد بها انه كان مسجلاً في هذه المدارس كفتيه يطلب العلم وله شيء من وقفها .

محمد بن الكمال الصالحى عرض عليه افتاء الحنفية فاعتذر وتعلل بتوالي الأوجاع^(١) وظل على تدريسه ووظائفه الى ان ادركه الأجل يوم الأحد حادي عشر أو ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة ودفن بتربتهم عند عمه الجمال بن طولون بالسفح قبلي الكهف والحوارزمية، هكذا يقول النجم الغزي^(٢) في كتابه الكواكب السائرة في اعيان المائة العاشرة وابن العماد في الشذرات وقد فتشت طويلاً بين القبور هناك فلم أعر على قبره كما فتش عليه من قبلي السيد حسام الدين القدسي فلم يهتد اليه . ولم يعقب أحداً ولم يكن له زوجة حين مات رحمه الله .

تتميزه وآثاره : قال النجم الغزي في الكواكب : أخذ عن ابن طولون جماعة من الأعيان وبرعوا في حال حياته كالشهاب الطنبي شيخ الوعاظ والمحدثين والعلاء بن العماد ، والنجم البهنسي خطيب دمشق ، وشيخ الاسلام اسماعيل النابلسي مفتي الشافعية والزين بن سلطان مفتي الحنفية ، والشمس العيناوي مفتي الشافعية الآن ، وشيخ الاسلام شهاب الدين الوفاي مفتي الحنابلة الآن ، وقريبة القاضي أكمل الدين بن مفلح وغيرهم .

أما كتبه فأكثر من ان تعد هنا . قال ابن العماد في الشذرات كانت أوقاته معمورة بالتدريس والافادة والتأليف كتب بخطه كثيراً من الكتب وعلق ستين جزءاً وسماها بالتعليقات كل جزء منها مشتمل على مؤلفات كثيرة أكثرها من جمعه وبعضها لغيره ومنها كثير من تأليفات شيخه (أي بالاجازة) السيوطي . وقد أحصى في آخر ترجمته لنفسه كتبه وتآليفه ومردّها بترتيب الحروف الابدية وقد جاءت في نحو من ٢٣ صحيفة بالحرف الدقيق ذكرها أيضاً السيد جميل العظم في كتابه فلائد الجواهر فيمن لم خمسون تأليفاً فأكثر مع بعض تحريفات في اسمائها . وهذه المؤلفات في أغلب الظن رسائل لطيفة كالتى نشرها الآن

(١) انظر الفلك ص ٢٥

(٢) منها نسخة مخطوطة بالظاهرية وقد نشر الجزء الأول منه الأستاذ جيور ييروت .

وقد نشر له منها ثلاث رسائل السيد حسام الدين القديسي منها رسالة « الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون » في ٥٤ صحيفة ، ورسالة « الشمعة المضيئة في أخبار القلعة الدمشقية » في ٢٨ صحيفة ، ورسالة « المعزة فيما قيل في المزة » في ٢٦ صحيفة . وكثير من هذه الرسائل لطيف طريف في بحثه فلعل الزمن يتيح للعلماء نشر ذلك واليك اسماء بعض هذه الرسائل الطريفة مما له علاقة بهذه الرسالة او مما له خطر وشأن .

رسالة : الأحاديث المروية في البساتين النيرية .

≡ : هجة الأنام في فضل الشام .

≡ : التوجهات الست الى كف النساء عن قبر الست .

≡ : تفريج المم في زيارة مغارة الدم .

كتاب : القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية .

≡ : نزهة الأفكار فيما قيل في دمشق من الأشعار .

≡ : نزهة السامعين في المسلسل بالدمشقيين .

≡ : الذيل على طبقات الخنفية لعبد القادر القرشي في ٣ مجلدات

≡ : الذيل على كتاب تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب

≡ : الذيل على التوقيف في آداب التأليف .

≡ : فرائد الفوائد في احكام المساجد .

≡ : الهادي الى ترجمة شيخنا المحدث الجمال بن عبد الهادي .

≡ : المهجاج من أخبار الحلاج .

رسالة : الامام بأمثال العوام .

≡ : اعلام الوري بمن ولي نائباً بدمشق الشام الكبرى .

≡ : الأحاديث المسنوعة في دور انقرآن بدمشق وضواحيها .

≡ : في جوامع دمشق وضواحيها .

≡ : في احدى مدارس الخنفية أو الشافعية أو المالكية

أو الحنابلة بدمشق وضواحيها .

- رسالة : البرق السامي في تعداد منازل الحاج الشامي .
- ≡ : تبيض القراطيس فيمن دفن بباب الفرديس .
- ≡ : تبليغ البشرى بأحاديث داريا الكبرى .
- ≡ : جزء ذكر دور الحديث بدمشق .
- ≡ : الدر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام .
- ديوان شعري الأكبر وقد غسلته في مرض عرض اشرفت فيه على الموت ، وديواني الأصغر وقد غيرت فيه كثيراً في ديواني الهالك
- ≡ : شرح أعلام الوري الأعلام بمن ولي قضاء الشام .
- ≡ : نهاية العبر في نفوذ القضاء والقدر بمدرسة شيخ الاسلام ابي عمر .
- ≡ : نهاية الاتعاظ وغاية الاعتبار فيما وجد على القبور من الأشعار .
- ≡ : النطق المبني عن ترجمة الشيخ المحيوي بن عربي^(١) .
- (١) الفوطة اسم مشتق من الغائط وهو المطمئن من الأرض . وجمعة غيطان وأغواط . وقال ياقوت بعد ذكره بيت حسان بن ثابت الأنصاري :
- يستقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل
البريص اسم يطلق على الفوطة بأجمعها . وقال الأستاذ كرد علي : مساحة
الفوطة ٤٠٦٠٠ هكتار أي نحو خمسة وستين ألف فدان والفدان ست دونمات
وكسر والدونم مبذر مد من الحنطة . والفدان ٥٧١٣ متراً مربعاً ، والدونم ٩١٩
متراً مربعاً . انظر مجلة المجمع العلمي ١٠ / ص ١٥٨ .
- (٢) قال الأستاذ كرد علي : ذكر ابن طولون ان في الفوطة سبعين قرية
وبعضها الآن دارس وقرى الفوطة اثنتان وأربعون قرية واهمها من حيث وفرة
السكان دومة حاضرة الفوطة الشمالية وداريا حاضرة الفوطة الجنوبية . أقول أما
القرى التي ذكرها ابن طولون في الرسالة التي نشرها فثمان وستون لاسبعون كما يذكر
الأستاذ كرد علي . وقد اندرست قرى رمزنا إليها في العدد الماضي بنجمة هكذا [*]
- (٣) قال الأستاذ كرد علي كانت قرب عرييل وقال ياقوت هي من قرى
- (١) هنا تبدأ التعليقات على الرسالة المنتورة في العدد الماضي ابتداء من ص ١٥٢ .

دمشق خرج منها احمد بن مكّي وقال Dussaud ص ٢٩٤ عنها وعن ارزة انها قد اندرستا ولا يعرف بالضبط موضعها . وانظر ياقوت ٢٠٨/١

(٤) هكذا يياض بالأصل وفي الخزانة الشرقية الزيات ص ٢٣ : (ولي الآن بها بيت) وهو محرف ويقول (ولها حدود) بدل (ولها حكر) وهو تحريف أيضاً .
(٥) البحدلية ويقال لها دير بجدل قال عنها Dussaud ص ٢٩٤ هي جنوب شرقي الشام وأما بيت رانس ويقال لها أيضاً بيت ارانس فانظر ما قال عنها ياقوت ص ٢٧٥ وانظر Dussaud ص ٢٩٥ .

(٦) في المخطوطة (بيت شحم) ويقول الأستاذ كرد علي [بيت شحم] بالسين وهي اليوم مشهورة بذلك .

(٧) قال ابن بطوطة : في شرق البلد [دمشق] قرب بيت إلهية وكان فيها كنيسة وهي الآن مسجد جامع بديع مزين بفصوص الرخام الملون المنقطة بأعجب نظام وهي غير بيت لاهما التي بين انطاكية وحلب . انظر ياقوت فانه يقول عنها بيت لها كذا بلفظ به والصحيح بيت الآلهة . ويقول Dussaud ص ٢٩٥ ان موضعها بالضبط : شمال دمشق بين طريق برزة .

(٨) قال الاستاذ كرد علي كانت موضع طاحون الأشنان في غرب دمشق تدخل فيها قرية التيرب .

(٩) رد على هذه الأقوال وعلى من قال ان سيدنا ابراهيم ولد فيها ياقوت في كلامه على — برزة — فارجع اليه وانظر ما كتبناه في كتاب ثمار المقاصد لابن عبد الهادي الذي نشرناه وانظر Dussaud ص ٢٩٦ .

(١٠) هكذا في الأصل ولم اهتمد الى المراد به فليحقق وفي الخزانة ص ٤٤ وادي الجوز (١١) برزة هي شرقي جبل الصالحية وحارة الأكراد اليوم ومنها يذهب الى وادي حلبون وزبددين وبعبك (انظر Dussaud ص ٢٨٦ وص ٢٩٦) وبخصوص برزة انظر ما كتبه Lady Burton في كتابها [Enner life of Syria] chap.X. (١٢) يقول Dussaud ص ٢٩٤ : بالا : هي شرقي زبددين ما يزال

فيها بعض أعمدة وآثار هيكل المذبح . وانظر ما كتبه عنها : Souvire في
II , 159 , 238J . A. Descr . Damas

(١٣) لم أعثر على ذكر لهذه القرية فيما بين يدي من المصادر وفي الخزنة
ص ٤٤ برنابا [بالياء] .

(١٤) يقول Dussaud ص ٢٩٥ : هي شرقي جسرين وقد ذكرها Souvairé
في II , 265 Descr Damas .

(١٥) يقول Dussaud ص ٢٩٦ : هي غرب جسرين والنسبة اليها بسواني .
وقد ذكرها باقوت ج ١ ص ٧٧٨ . و LeSrtange في Palestine under the
Souvairé : MusIems p. 205 في II 239 , Descr . Damas .

(١٦) يقول Dussaud ص ٣١٢ تل شعير هي شرقي صحيا ولا يزيد .
(١٧) لا يذكر = هذه القرية وانما يذكر تل الذهب قرب جسر الشفور
ص ١٦١ وتل الذهب قرب حماة ص ٢١٢

(١٨) يقول Dussaud ص ٣١٢ تل كردي بين عذرا وريحان .
(١٩) يريد بقوله «أهلها» [أهل الفوطة] . ويقول الأستاذ كرد علي : أصبح سكان
الفوطة على توالي السنين مسلمين من أهل السنة وليس بها لعهدنا سوى بضع
مئات من المسيحيين في داريا وعرييل وصحنايا والأشرفية وفيها مئات من المسلمين
الدروز في جرمانا وصحنايا الشرقية وكانت جميع أهل جوهر يهوداً الى ما بعد
القرون الوسطى وقد استغرب ابن طولون ان أهل جرمانا تيامنة وقال وهذا عجيب . . .
انخ . اما ياقوت فيذكر جرمانا ثم يذكر جرمانس ويقول ولعلها جرمانا . وانظر
ما قاله Dussaud ص ٢٩٩ .

(٢٠) يقول Dussaud ص ٢٩٩ جوهر شمال شرقي دمشق وفيها كنيس يؤمه
يهود دمشق وينقل عن Memoires D'Arvioux , II , 461 ؛ انها في زمنه
كانت كل سكانها يهوداً .

(٢١) يذكرها ياقوت ٢/٨٢ و Le Strange ص ٦٤ و Souvairé 1994.I.398

ويقول Dussaud ص ٢٩٩ هي شرقي بيت سوا وفيها بقايا آثار قديمة وكانت أرضها تنتج كثيراً من الخشب .

(٢٢) ذكرها Dussaud ص ٢٩٩ وقال هي غربي العتبية . وأما وظيفة ثالث مقدمي الألوف فأحدي وظائف الممالك ومقدمو الألوف أربعة انظر ما كتبه عنهم دومومبين في كتابه سوريا في عهد الممالك , Gaudefroy - Demombynes La Syrie à l'époque des Mamlouks . Paris 1923

(٢٣) يذكرها Dussaud ص ٣٠٣ ويقول انها غربي بيت سوا .

(٢٤) يسميها الناس الآن حموري [بالف ممالة نحو الكسرة Hammore] ويقول Dussaud هي شرقي دمشق وينبغي ان تكون هي قرية حمورية القديمة وفي الغالب أنها غير قصر الحميرة التي ستذكر فيما بعد . ونجد في النصوص القديمة ذكر قرية اسمها حمارة في المرج الشمالي ، وقد ذكرها ياقوت ٣٢٠/٢ و Le Strange ص ٤٤٨ و 1894, II, 340, 1, 428 Souvair

(٢٥) يذكر هذه القرية Dussaud ص ٣٠٤ .

(٢٦) يذكر ياقوت قربتين باسم حرستا (احدهما) مأهولة كثيرة السكان تبعد مرحلة عن دمشق وهي على طريق حمص أقول وهي التي تسمى اليوم حرستا البصل وهي التي سماها ابن طولوت حرستا الزيتون . وهي التي حاول بعض المستشرقين ان يسميها قرية Carsatos القديمة التي كانت تبعد أربعة أميال عن دمشق والتي كان فيها كنيسة للقديس تيودوروس انظر الهامش رقم (٥) من ص ٣٠٢ في كتاب Dussaud . (والثانية) شرقي دمشق وهي المسماة بحرستا القنطرة وربما حرفها بعضهم الى حرستا المنطرة يقول Dussaud ص ٣٠٢ ان طابع كتاب ياقوت قد حرفها خطأ الى حرستا المنطرة . أقول وقد وجدت هذا الاسم هكذا في كتاب ثمار المقاصد في ذكر المساجد لابن عبد الهادي فقد كتبها بخطه حرستا المنطرة فلعلها تسمى بالاسمين . وهي اليوم مشهورة باسم القنطرة . ويذكر Dussaud ان سكان حرستا القنطرة وعقربا تر كوهما مرة حينما أغار الصليبيون على دمشق .

ص . أسعد طلس

(يتبع)

تاج الدين الكندي

هو تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير بن الحارث ذي رعين الأصغر الكندي^(١) وهو الذي تنسب إليه المقصورة التاجية في الجامع الأموي بدمشق .

نسبته : ولد سنة (٥٢٠) ببغداد . وتوفي سنة (٦١٣) بدمشق^(٢) فكانت مدة حياته (٩٣) سنة اتصل منذ بدء دراسته بأبي محمد سبط أبي منصور الخياط وكان مقرئاً لغويّاً نحويّاً حنبلي المذهب فتأثر الكندي بثقافة شيخه فكان مثله مقرئاً لغويّاً حنبليّاً وكان أصغر تلامذته وأنبههم وآخرهم قراءة عليه .

وتطور عقل تاج الدين بعد ذلك فترك المذهب الحنبلي الى المذهب الحنفي ولا نعلم العامل له على ذلك وفي أي سنة من سني حياته كان هذا التحول .

ولكننا نعلم انه في شبابه غادر بغداد معقل الحنابلة وأخذ عن علماء الشام وان آخر عهده ببغداد سنة (٥٦٣) فاستوطن مدينة حلب يتاجر بالخليع من الثياب فيبتاعها ويسافر الى بلاد الروم (الأناضول) ثم يعود الى حلب^(٣) فمن الجائز ان يكون في هذا التاريخ امتزج بعلماء الروم الذين أكثرهم حنفية وان يكون تحوله الى المذهب الحنفي حول هذا التاريخ .

(١) معجم الأدباء طبع مصر [١١ - ١٧٢] وبغية الوفاة [٢٢٩] وفيها (زيد بن الحسن) مكررة ثلاثاً (٢) يتفق كل من ترجمه على وفاته في هذا العام إلا ما جاء في معجم الأدباء لياقوت من ان وفاته سنة [٥٩٧] ولا شك في خطأ هذا النص خصوصاً وان اجازة الكندي بشرح معاني الآثار التي وقع في آخرها يده كان تاريخها في سنة [٥٩٨] ومن الغريب أن يشير لياقوت اليه في عدة مواضع في معجبه بقوله : شيخنا ولا يشير الى ذلك في ترجمته ويناط في تاريخ وفاته مع ان الراجح ان اجتماع لياقوت بالتاج الكندي كان بعد سنة [٥٩٧] وهذا ما يجعلنا نرجح بأن تدليلاً وقصداً وقفاً النسخة الخطية التي طبع عنها معجم الأدباء في ترجمة الكندي (٣) ابن خلكان [١ - ٢١٥] وانباء الرواة للقفطي راجع [١١ - ١٧١] معجم الأدباء لياقوت طبع مصر .

سيرة في علم القراءات : اعتنى به شيخه سبط الخياط عنابة فائقة لشدة ذكائه وصغر سنه فحفظه القرآن الكريم ثم أقرأه بكل ما قرأ به على شيوخه من علم القراءات ككتب أبي العز القلانسي ، والكامل للهذلي ، والاتصاح والايضاح والوجيز والاقناع الأربعة للاهوازي وغير ذلك من الكتب ولم يكتف في تلقينه ما عنده من علم ورواية بل جهزه الى أبي القاسم هبة الله بن الطبر فقرأ عليه ست روايات أخرى ثم جهزه الى أبي منصور بن خيرون وأبي بكر خطيب الموصل وأبي الفضل بن المهدي فقرأ عليه بالروايات الكثيرة فكان قارئاً من الطراز الأول ويذكرون من شدة ذكائه وقوة حافظته انه حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين وجمع الروايات العشر وهو ابن عشر ويعتبره ابن الجزري وغيره بأنه اعلا اهل عصره اسناداً في القراءات والحديث لأنه عاش ثلاثاً وثمانين عاماً بعد أن جمع القراءات ^(١) .

سيرة في الحديث : روى علم الحديث عن ابن قاصر وابن السعري والانماطي وسعد الخير ومحمد بن عبد الباقي الانصاري وأبي منصور القزاز وغيرهم ^(٢) .

سيرة في الأدب والعربية : معظم مشايخه في اللغة العربية من أساتذة المدرسة النظامية كأبي منصور الجواليقي وأبي السعادات ابن الشجري وابن الخشاب فقرأ عليهم كتاب سيبويه والمقتضب للمبرد والحجة لأبي علي الفارسي وأمثال هذه الكتب ^(٣) .

اشتغاله بالتجارة : كان شديد الاعتداد بنفسه ، والاعتماد على جده فلم يسلك مسلك الفقهاء والعلماء في ميلهم للوظائف بل كان يشتغل بالتجارة واتخذ مدينة حلب مركزاً له كما مر ^(٤) ولذلك لا نجد له ذكراً في أسماء القضاة والكتاب والمدرسين أرباب الوظائف في المدارس .

(١) ذيل الروضتين لأبي شامة نسخة مصورة بالمجمع العلمي بدمشق وقاية النهاية [١-٣٩٧] وتبني الطالب مخطوط وشذرات الذهب [٥ - ٦] وبغية الوعاة [٢٤٩]
(٢) و (٣) المصادر السابقة (٤) إنباء الرواة بأخبار النحاة للقفطي [في تعليقات معجم الأدباء لياقوت طبع مصر ١٥ - ١٧١] وابن خلكان ١ - ٢٤٥ .

اتصاله بالملوك الأيوبيين : دخل مترجمنا دمشق فصر واقفى عدداً من الكتب القيمة التي يبت من خزائن الفاطميين ^(١) واتصل بالقاضي الفاضل فكان يتردد لزيارته في داره . وصدق أن زار عن الدين فرخشا بن شاهنشاه ^(٢) ابن أيوب القاضي الفاضل في داره فجرى ذكر بيت من شعر أبي الطيب المتنبي وكان تاج الدين حاضراً فشرح البيت شرحاً أعجب به فرخشا فسأل القاضي عنه فأجاب بأنه العلامة تاج الدين الكندي فنهض فرخشا وقبض على يد تاج الدين وخرج به إلى منزله ودام اتصاله به ^(٣) ومن هذا الوقت أصبح تاج الدين أستاذ الملوك الأيوبيين فقرأ عليه عن الدين فرخشا وابنه الأديب الشاعر الملك الأجد صاحب بعلبك . والملك الأفضل ملك دمشق وأخوه الملك المحسن وهذان ابنا صلاح الدين . وعالم ملوك بني أيوب وفاضلهم المعظم عيسى ملك دمشق وفلسطين كان ينزل من قصره في قلعة دمشق يتأبط كتابه كالطلبة فيأتي دار أستاذه الكندي في درب العجسي في جيرون (اليوم حارة النوفرة شرقي باب الجامع الأموي الشرقي) وربما تأخر الدرس الذي يتقدم درسه فينتظر إلى أن تأتي نوبته . وقد قرأ عليه المفضل للزخشي والإيضاح لأبي علي الفارسي ، وكتاب سيبويه وشرحه لابن درستويه وديوان الحماسة وأمثال هذه الكتب ^(٤) .

(١) انباء الرواة ، وابن خلكان .

(٢) شاهنشاه هو أخو صلاح الدين الأيوبي استشهد سنة (٥٤٣ هـ) حينما حاصر الأفرنج دمشق وهو جد ملوك حماة وبعلبك الأيوبيين . أما ولده عن الدين فرخشا فهو أول ملوك بعلبك وكان عمه صلاح الدين يجعله نائباً عنه على دمشق حين يغيب عنها ويقول صاحب الشذرات عنه : كان ذا معروف وبر وتواضع وأدب وكان للتاج الكندي به اختصاص توفي بدمشق سنة (٥٧٨) ودفن في قبته التي بمدرسته المطلة على الميدان في الشرف الشمالي — ولا تزال القبة موجودة حتى الآن غربي مدرسة التجهيز الأولى المطلة على المرجة — وله شرح حسن منه :

إذا شئت أن تعطي الأمور حقوقها وتوقع حكم العدل أحسن موقفه

فلا تسنم المعروف مع غير أهله فظلمك وضع النبي في غير موضعه

(٣) ذيل الروضتين لأبي شامة . (٤) ذيل الروضتين .

تميزه : لا نكوت من المغالين اذا قلنا انه كان أكثر علماء عصره تلامذة وطلاباً . ومن يتبع تراجم أهل عصره ومن بعده يجد ان أكثر العلماء والأدباء والشعراء والرواة والمحدثين ينتسبون الى التلمذة عليه ويجد أكثر الأسانيد تنجي . عن طريقه . ويقول ابو شامة عن درب المعجمي الذي كانت فيه دار التاج الكندي : فكم ازدحم في ذلك الدرب من شيوخ العلم وطلبة ، اولاد الملوك وخدمته ، ومتى ما أريد اعتبار ذلك فلينظر في الكتب التي عليها طبقات السماع عليه ، ليعلم جلالة من كان يتردد اليه ^(١) فمن اخذ عنه ياقوت الحموي صاحب معجمي الأدبا والبلدان ، وعمر بن احمد الشهير بابن العديم ، وسبط ابن الجوزي صاحب مرآة الزمان ورضوان بن محمد بن رستم الساعاتي وعبد الرحمن المسجف الشاعران وابن معطي النحوي صاحب الألفية ولو أردنا استقصاء من اخذ عنه من علماء وأدباء وشعراء وحكماء وأطباء ومحدثين ومحدثات وقراء ونحاة لبلغ عددهم المآت .

ومن حسن الصدف اتنا وقفنا على المجلة الرابعة من شرح معاني الآثار وعليها طبقات سماع بعد أن قرئت عليه في المقصورة التاجية وسنشر نصها في العدد الآتي من هذه المجلة .

مميزاته العلمية : امتاز باللغة العربية وعلم الأدب في الدرجة الأولى فتخرج به عدد كبير من أدباء الشام ومصر والعراق . والظاهر ان علم العربية لم يبلغ في الشام الدرجة التي كان عليها بغداد الا بواسطة الكندي . وكأنه نقل طريقة المدرسة النظامية في علم العربية الى الشام . ويقول ابو الحسن السخاوي في شرح المفصل : لقيت جماعة من أهل العربية منهم الشيخ الفاضل ابو اليعمن زبد بن الحسن الكندي وكان عنده في هذا الشأن ما لم يكن عند غيره واخذت عنه كتاب سيبويه وقرأت عليه كتاب الايضاح لأبي علي مستشراحاً وأخذت

عنه كتاب اللمع لأبي الفتح . وكان واسع الرواية ومن العجب ان سيبويه
اسمه عمرو والكندي اسمه زيد فقلت في ذلك :

لم يكن في عصر عمرو مثله وكذا الكندي في آخر عصر
فها زيد وعمرو انما بني النحو على زيد وعمرو^(١)

أما مميزاته في الدرجة الثانية فهي علما القراءات والحديث قصده الطلاب من
أنحاء العالم الاسلامي لعلو اسناده فيها . قال الحافظ الذهبي : كان أعلا أهل
الأرض اسناداً في القراءات . فاني لا أعلم أحداً من الأئمة عاش بعد ما قرأ
القراءات ثلاثاً وثمانين سنة غيره . . . ثم انه سمع الحديث على الكبار وبقي
مسند الزمان في القراءات والحديث^(٢) .

أخلاقه : لئن وصفه تلامذته واصدقاؤه بمائة الأخلاق وحسن العشرة^(٣)
فقد وصفه بعض معاصريه بسوء المعاشرة وشراسة النفس . وبالحقيقة كان حسن
المعاشرة لجماعته وأصدقائه وشديداً قاسياً على الصلفين المتعاضمين من أقرانه
ومنافسيه . وبديهي ان من نال منزلة مثل منزلته وحظوة عند الملوك مثل حظوته
ان لا يترك غيره في مجلسه يرتع في صلفه ، ويزهو في تعاظمه وكبريائه .
فبعد اللطيف البغدادي المعجب بنفسه ، والمنتقص لأكثر علماء عصره اجتمع به
فلم يجد لنفسه مرتعاً خصباً في مجلسه فيقول عنه : اجتمعت بالكندي البغدادي
النحوي^(٤) وكان شيئاً بهياً ذكياً مثرياً له جانب من السلطان لكنه كان
معجباً بنفسه مؤذياً لجليسه وجري بيننا مباحثات فأظهرني الله تعالى عليه في
مسائل كثيرة . ثم اني اهملت جانبه فكان يتأذى باهمالي له اكثر مما يتأذى
الناس منه^(٥) ونرى التاج الكندي يحترق عبد اللطيف البغدادي فيلقبه
بالجدي المتحج^(٦) .

(١) ذيل الروضتين (٢) النجوم الزاهرة ٦ : ٢١٧ (٣) ذيل الروضتين . البداية
والنهاية ٣ - ٧٢ . الصفيدي في الوافي بواسطة تبيينه الطالب مخطوط بنية الوفاة للسيوطي .
(٤) اجتماعه به كان في دمشق (٥) عيون الأنباء ٢ - ٢٠٦ (٦) فوات الوفيات ٢ - ٨

وتجد القاضي جمال الدين القفطي - وهو قد نال في حلب حظوة عند ملكها لا تقل عن حظوة الكندي عند ملك دمشق وعنده من الاعجاب بنفسه ما عند الكندي - حينما يترجم الكندي بقول عنه : كان ليناً في الرواية معجباً بنفسه فيما يذكره ويرويه ويقول له . واذا نظر جبهه بالقبح واستطال بغير الحقيقة ولم يكن موثوق القلم فيما يطره ^(١) .

وجرت له مهارة مع ابن دحية الكلبي لما دخل دمشق سنة (٦٠٥) فقد جمعها مجلس عند الوزير الصفي بن شكر فأورد ابن دحية في كلامه حديث الشفاعة حتى انتهى الى قول ابراهيم عليه السلام (انما كنت خليلاً من وراء وراء) بفتح اللفظتين فقال الكندي وراء وراء بضمها فقال ابن دحية للوزير ابن شكر من هذا ؟ فقال هذا ابو اليمن الكندي . فقال منه ابن دحية وكان جريئاً . فقال الكندي : هو من ؟ كلب بفتح ^(٢) أنت تكذب في نسبك الى دحية الكلبي ودحية باجماع المحدثين ما عقب وقد قال فيك ابن عنين :

دحية لم يعقب فلم تنحني اليه باليهتان والافك

ماصح عند الناس فيه سوى انك من كلب بلا شك ^(٣)

ثم الف ابن دحية كتاباً سماه الصارم المندى في الرد على الكندي ولف الكندي كتاباً سماه : تنف اللحية من ابن دحية ^(٤)

وحكي عن الشيخ تاج الدين الكندي انه قال أحلت على ديوان حمزة برزق فسرت اليها لأجل ذلك فلما حلتها جمع الجماعة بيني وبين ابن ظفر ^(٥) وجرت بيننا مناظرة في النحو واللغة فأوردت عليه مسائل في النحو فلم يمش فيها وكان حاله في اللغة قريباً فلما كاد المجلس يتقوض قال ابن ظفر : الشيخ تاج الدين أعلم مني بالنحو وأنا أعلم منه باللغة . فقلت الأول مسلم والثاني ممنوع وتفرقنا ^(٦)

(١) انباء الرواة (٢) البداية والنهاية ١٣ - ٥١ (٣) شذرات ٥ - ١٦٠

(٤) معجم الأدباء ١١ - ٢٧٥ (٥) هو محمد بن ظفر الصقلي صاحب التأليف

المتعة منها كتاب سلوان الطاع توفي سنة [٥٦٥] تراجم ترجمته في ابن خلكان [١ : ٦٦٠]

(٦) المصدر نفسه .

مؤلفاته : قليل من العلماء الذين يجتمع لهم حظ التأليف مع حظ كثرة الطلاب والتدريس . لأن التدريس يتطلب الشهرة والاختلاط بالناس . والتأليف يتطلب الهدوء والسكينة والابتعاد عن الناس وشيخنا الكندي — وهو قد نال جاهاً عظيماً عند الملوك والأعيان وصار له المال الوفير والممالك العديدة الذين أعتقهم ورفدهم بعلمه وماله — غير مدفوع عن التأليف والتصنيف ولكن لم يكن له متسع لذلك بعد أن كرس وقته للافادة والتدريس وخلف مئات من تلامذته الذين أصبحوا فيما بعد من كبار العلماء والأدباء والمؤرخين والقراء والمحدثين . وقد ذكر ياقوت في معجمه أن مؤلفاته هي : تعليقات على ديوان المتنبي ، وأخرى على خطب ابن نباتة ، وكتاب تنف اللحية من ابن دحية رده على ابن دحية في كتابه الذي سماه الصارم الهندي في الرد على الكندي ، وكتاب في الفرق بين قول القائل : طلقك أن دخلت الدار وبين أن دخلت الدار طلقك الفه جواباً لسؤال ورد عليه ، وله غير ذلك ويتضح مما ذكر أن تأليفه هي أشبه بالتعليقات والمقالات منها بالكتب الكبيرة .

مواليه : كان الكندي كثير الاحسان الى الموالي والرقيق فقد اشترى عدداً منهم ورباهم أحسن تربية وأعتقهم منهم « النجيب ابو الدر ياقوت » سمي صاحب معجمي البلدان والأدباء ومعاصره . ويقول عنه ابن كثير : كان لديه فضيلة وأدب شعر جيد وتوفي ببغداد سنة (٦٢٣)^(١) وورد اسمه فيمن كان يسمع على الكندي في المقصورة التاجية .

ومن مواليه وتلميذاته « ست العرب » روى عنها شيخ الاسلام ابن تيمية في الأربعين التي رواها عن أربعين من كبار مشيخته رجالاً ونساء قال : أخبرتنا الشيخة الصالحة أم الخير ست العرب بنت يحيى بن قايماز بن عبد الله الكندية قراءة عليها وأنا اسمع في رمضان سنة (٦٨١)^(٢) وترجمها صاحب الشذرات بقوله : ست العرب بنت يحيى بن قايماز أم الخير الدمشقية الكندية سمعت من مولاها تاج الكندي وحضرت على ابن طبرزد الغيلانيات توفيت في الحرم عن خمس وثمانين سنة (٦٨٤)^(٣)

(١) راجع تاريخ ابن كثير ١٣ - ١٦ ومجلة المجمع ١٢٩ من هذه السنة (٢) الأربعين المذكورة [المطبعة السلفية بدمشق ١٣٢١] ص ٣٤ (٣) شذرات الذهب ٦ - ٣٨٥

شعره : وللشيخ تاج الدين كثير من الشعر المبثوث في مطاوي الكتب .
منه قوله في الربوة أعظم متزهات دمشق لما جدد بناءها نور الدين محمود بن زنكي
وجعل الأكل والنوم فيها مجاناً :

ان نور الدين لما رأى في البساتين قصور الأغنياء
عمر الربوة قصرأ شاهقاً تزهة مطلقه للفقراء ^(١)
وكتب الى صديقه مذهب الدين ابي طالب محمد المعروف بابن الخيمي :
أيها صاحب المحافظ قد حملتنا من وفاء عهدك دينا
نحن بالشام رهن شوق اليكم هل لديكم بمصر شوق الينا
قد غلبنا بما حرمننا عليكم وغلبتم بما رزقتم علينا
فعجزنا عن ان ترونا لديكم وعجزتم عن أن نراكم لدينا
حفظ الله عهد من حفظ العهد وأوفى به كما قد وفينا ^(٢)
ومن شعره فيما رواه عنه الرشيد العطار :

أرى المرء يهوى أن تطول حياته وفي طولها ارهاق ذل وازهاق
تميت في شرح الشبية اني أعمر والأعمار لا شك ارزاق
فلا أتاني ما تميت ساءني من العمر ما قد كنت أهوى وأشتاق
عمرتني أعراض شديد مراسها علي وهم ليس لي فيه اغراق
وها أنا في احدى وتسعين حجة لها في ارعاد مخوف وابراق ^(٣)

وفاته : توفي سنة (٦١٣) ودفن بسفح قاسيون وبني عليه قبة وجعلت
له تربة وقد ترجم لها النعمي في تنبيه الطالب وكذا العلوي والبقاعي (بالتربة
التاجية) وذكروا انها بالصالحية في سفح قاسيون . أما في عصرنا فهي مجهولة لدينا .

محمد احمد دهمان

(١) تزهة الأنام للبدر ص ٨٤ (٢) وفيات الأعيان ١-١٢٦ (٣) المصدر نفسه
وانباء الرواة للتفطي في تعليقات معجم الأدباء ١١-١٧١ (٤) معجم الأدباء لياقوت ١١-١٢٦

مخطوطات ومطبوعات

سُروح سقط الزند (قسمها الأول)

كنت قلت في بعض ما كتبتُه عن المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري (أرأيت السيل بعد مضيئه وانقطاع مدده كيف يترك وراءه ربعا ممرعا للمنتجين ونزولا كريما للمجدين . كذلك مهرجان أبي العلاء فانه ترك بعد انقضائه آثارا لأبي العلاء وفي أبي العلاء لا تحصى فوائدها ولا تنفذ فرائدها) وقد كانت أنشط العاملين في إبراز تلك الآثار العلائية وزارة المعارف المصرية فانها ألفت لجنة دعيتها (لجنة إحياء آثار أبي العلاء) عكفت على جمع أخباره ونشر ما انطوى من مختلف آثاره . وعزمت على إصدار تلك الأخبار والآثار أسفارا متسلسلة فكان السفر الأول هو الذي سمته (تعريف القدماء بأبي العلاء) وضمنته النصوص المتعلقة بتراجم أبي العلاء وأخباره الخاصة ، وطبعته ونشرته سنة ١٩٤٤م أي خلال أيام المهرجان وقد قرظناه في مجلة المجمع (مجلد ١٩ ص ٥٤٥) وها هي ذي اللجنة اليوم تهدي البنا السفر الثاني من تلك السلسلة المطبوع سنة ١٩٤٥م (قسمه الأول) وسيتألف بالطبع ثلاثة الأقسام الأخرى وقد ضمنت هذه الأقسام الأربعة شروحا ثلاثة لأشعار أبي العلاء المسماة (سقط الزند) واقتصرت اللجنة من شروحه الثانية المشهورة على نشر هذه الشروح الثلاثة وهي : (١) شرح التبريزي (أبي زكريا يحيى بن علي تلميذ المعري ٤٢١ - ٥٠٢) و (٢) شرح البطليمي (أبي محمد عبد الله بن السيد ٤٤٤ - ٥٢١) و (٣) شرح الخوارزمي (أبي الفضل قاسم بن حسين ٥٥٥ - ٦١٧) وانما اقتصرت اللجنة على الثلاثة من الثانية لأن ثلاثة منها مفقودة لم تظهر اللجنة بها . وواحدا منها (وهو الشرح الذي صنفه أبو العلاء نفسه) مختصر مدمج في شرح تلميذه التبريزي . والواحد الباقي وهو شرح التنوير استعني عنه لأب مؤلفه أبا يعقوب الخواري (تناول شرح التبريزي بالتهذيب والتنقيح وسار معه في كثير من المواضع على نهج واحد حتى أنه نقل كثيرا من عباراته كما هي ولهذا التقارب والتشابه ولأنه طبع قبل اليوم عدة طبعات ضربت

اللجنة صفحاً عن نشره) وقد افتتحت اللجنة هذا القسم الأول الذي أصدرته (بتقديم) استوعبت فيه جميع ما ينبغي ان يقال في هذا المقام من وصف الشروح الثمانية التي وصل اليها علمها ثم وصف الثلاثة التي نشرتها وتراجم أصحابها وطبع نموذجات من مخطوطاتها وغير ذلك من الملاحظات التي فيها متعة للقاري وهداية للحريص . وقد سلكت في طبع الشروح الثلاثة طريقة بكرة تسهل على القاري فهم ما يقرأ من أشعار سقط الزند . ذلك انها تذكر البيت من القصيدة وتذكر ما قاله التبريزي في شرحه عليه أولاً وتعقبه بما قاله البطلومي ثانياً ثم الخوارزمي ثالثاً ثم تعود الى البيت الثاني من القصيدة نقحها فتذكر ما قاله الثلاثة بنحسب ترتيبهم السابق . حتى تمّ للجنة اربع عشرة قصيدة من أشعار السقط مطبوعة على ورق جيد طبعاً حسناً في مطبعة دار الكتب المصرية . وقد ضبط بعض الكلمات بالشكل وخصص بعض المواطن المتعلقة بالشرح . فجاء هذا القسم من السفر في ٤٧٠ صفحة كبيرة ليس بعد ما فيها من الايقان استزادة لمستزيد . ثم ان قول اللجنة في المقدمة بصدد الشروح الثمانية التي وصفتها : (ولست هي كل الشروح التي تصدّت لسقط الزند ولكنها مبلغ ما وصل علمنا اليه . وأمكنا استخلاصه من التاريخ) — قولها هذا يفسح لي المجال لذكر الشرح المخطوط الذي في مكتبي وأرجح انه المخطوط الوحيد لهذا الشرح واسمه (سقط العقيان والحلى لعروس ديوان ابي العلا) أو (ضوء الفند من سقط الزند) والشارح هو العلامة الشيخ محمد ابن نور الدين الدرداء الدمشقي المتوفى سنة ١٠٦٥ هـ ونسخ المخطوطة كان بعد وفاة المؤلف بثلاثين سنة . وقد ترجم المحي للمؤلف في تاريخه خلاصة الأثر (جزء ٤ ص ٢٤٩) ووصفنا نحن هذا المخطوط وصفاً مسهباً في كلمة لنا منشورة في الكتاب الذي أصدره مجمعنا العلمي وسماه (المهرجان الألفي لأبي العلا المعري) ص ٢٧٠ ولعل (لجنة إحياء آثار أبي العلا) اطلمت على كلمتنا في وصف هذا الشرح وأضافت اسمه الى الشروح التي أحصتها . وهي لعمري جديرة بالشكر والثناء على ما تبذله من العناية وعظيم الجهد في تتبع هذه الآثار . وإصدار هذه الأسفار .

المغربي

(٥)

من وصي المرأة

للشاعر المصري عبد الرحمن صدقي

ديوان صغير الحجم في ٦٠ صفحة يشتمل على نيف وثلاثين قطعة من الشعر بين قصيدة ومقطوعة . كله في رثاء امرأة الشاعر ماري التي نذر لها التأبد بعدها وفاء لها ورعاية لماضي صحبتها . فقضى غير مشفق على نفسه بالتبتل وقلبه بالألا يخفق لربة دل أو تطمع باصطياده دات حسن أو غنج وقد شاء ان يكون هذا بهود أخذها على نفسه وسجلها في ختام بعض قصائده فمنها قوله :

سأحيا كيت لم يغيب بلحده يظلمني ليل من المم مظلم
وأضرب في صحراي في غير غاية الى ان يوافيني القضاء المحتم
وقوله: أجل. كان لي قلب وزوج حبيبة فلما قضت زوجي قضيت على قلبي
وهأنذا ان طال بي العمر صائر لشيخوخة حسرى بغير معان

ولا يخفى ان هذا النوع من الوفاء بالاعراض عن النساء جملة ان حسن عند بعض فلا يعدو أنه ضرب من ضروب تعذيب النفس وشيء من العقوبة لها على ما ليس لها فيه جريرة أو ذنب . كما انه لا يخلو من تأديب لها وتهذيب على ما فرط من اندفاعها وشدة استرسالها في التعلق بما لا ضمان ببقائه .

ولهذا او لما هو اشد منه ظهوراً أو توارياً من الاحتفاظ بالرجولة تامة والجري في طاعة نخوة الفجولة كاملة والحذر من الصيرورة الى ما قد يفضي الى الخور رغب العرب الا القليل منهم عن الجهر بيسكاء المرأة زوجة وذهبوا بأنفسهم صعداً عن رثائها حليلة .

فمن بعض الأدلة على هذا ان الفرزدق لما ماتت زوجته النوار وامتنع عليه الشعر فيما زعموا في رثائها لعتجبيته وجفائه لم يجد بداً وقد حزن به الأمر وزعزعت من أركانها الفاجعة من أن يركب أحد حدي شر اما اكراه طبعه على شعر ييكها به واما التمثل من قصيدة أعدى أعدائه جرير في رثاء خالدة أم أولاد

جرير بما يتنفس من كربيه ويذهب بعض الشيء بجزئه وسرعات ما ركب
أهون الشرين وفضل أيسر الخطبين وما هو أقل زبلاً من نخوته وكسراً لانفته
فتمثل بملء فيه :

لولا الحياء لما جني استعمار ولزرت قبرك والحبيب يزار
ولَّهت قلبي إذ علتني كبرة وذوو التائب من بنيك صغار
ولقد أراك كسبت أجمل منظر ومع الجمال مكينة ووقار
لا يلبث القرناء أن يفرقوا ليل بكر عليهم ونهار

. إلى آخر ما تمثل به ولو وجد الفرزدق في شعر غير جرير ما يترجم عن لوعته
ويبرد شيئاً من غلته لفزع إليه ولجعل معرجه عليه ولكن متناهياً بعيداً عن
قصيدة ثلاثة أرباعها في هجائه .

وان في قول جرير لولا الحياء لدليلاً كل الدليل على ما وقر في نفس العربي
من العزة عن بكاء المرأة ورثائها حتى عن زيارة نبرها ولا غرو فقد كان هذا
من العرب وما هو أشد منه حين كان عهدهم بالبداوة قريباً ونفوسهم على ما تأصل
فيها من قسوة وامتناع وصعوبة انقياد إلى ما توجه به الحضارة من دماثة ولين .
على أنه لن يحسن بنا في حال أن ننسى أن الناس معها بلغت في بعضهم صلابه
الأكباد وقسوة الأفتدة إلا الجبايرة العتاة من التمردين على ذلة العشق وهوان
الهوى وضراعة الحب ، مدينون لهذا القريب من الشعراء حملة الأكباد المقرحة
والقلوب المتصدعة والأحشاء الكليمة والثرائب الملتهمية بذكرون الناس كلما نسي
الناس برقائق الاعراب وحرقت أهل الحضر وذوي اللوعات الصادقة الوفيه منهم .
وأنى لا يكون الناس مدينين لهم وقد عمدوا إلى افتدشهم وأكبادهم ونفوسهم
وأرواحهم فصهروها في بوتقة الألم على لهب التوجع والتفجع ثم مكبوها دموعاً
وأرسلوا النموع شعراً تركوه وفقاً على كل ثا كل بمثل ما ثكلوا يبكي بها
متى شاء كما يشاء . إذ ليس في طوق أحد أن يعير أو يستعير عيناً يبكي بها .
من ذا يعيرك عينه تبكي بها أرأيت عيناً للبكاء تعار

ولكن في استطاعة أي انسان ان يعتمد الى هذا النوع من الدموع المسكوبة شعراً يعود به بقدر ما ينقع من غلته كما فعل الفرزدق وهو ما هو شاعرية وترفعاً وكبرياء وقد تخلل الديوان رسائل ثلاث الى صاحبه من الأساتذة الأدباء توفيق الحكيم وعباس محمود العقاد وعزيز أباظة فيها من الثناء على ما وفق اليه الشاعر في تصوير آلامه وهول فجيئته وارسال لوعته ما يشير الى الصدى وبعد المدى الذي أحدثته بين الأدباء قصائد (من وحي المرأة) أيام نشرها متفرقة في الرسالة والثقافة وذلك مما يغبط عليه الشاعر وينها .

فالديوان يحملته آية من آيات حفاظ عهد المرأة وازماع الإقامة على مودتها بعد الموت فلما يعثر على مثله في مختلف الأعصار والأمصاير وسيبقى مع أمثاله مفزعة لكل من تعتمد الدهر فجميعتهم يجلائلهم الغاليات . فهو يوشك أن يكون ثالث ثلاثة لشعر متمم بن نويرة في أخيه مالك وديوان الخنساء في أخيها صخر وما يستوقف نظر القاري في (من وحي المرأة) غير حرارة التعبير عن العاطفة الحائرة والحسرة المتأججة والحرقه الغالبة هو تلك القوة التي أرادها الشاعر ارادة وعمد اليها عمداً حين خشي ان يقوده الضعف عن احتمال الكارثة الى الضعف في حوك الشعر ونسجه فكان حربصاً كل الحريص على ألا يطلع به على الناس إلا مزوداً بنصيبه من الجزالة وحظه من القوة التي كانت تسير الشاعر في أكثر خطواته وهو ينظم ديوانه حتى لقد انتهت به الى النجوة من أكثر ما يتعرض له معالجو شؤون المرأة وما تقتضيه من سعي وراء الرقة والنعومة مما قد يكون مدرجة الى اللين ومنجذراً الى الركة .

فن الأدلة على ارادته هذه من تجنب الضعف ولياذه بكنف الجزالة انه لزم البحر الطويل بحر القوة ومعرض الفخامة والفحولة في كل الديوان فلم يخرج عنه الا في قصيدة واحدة هي لوعته الأولى (أنة الزوج الثاقل) في عنفوان الصدمة قبل التفكير . كما أنه مما يثب عن الشك ولو الى قليل من اليقين ان كثيراً من عواطف الشاعر أو ما يجب أن يكون من العواطف قد حجبت ارادة

القوة هذه أو حالت دونها فبقي متغلغلاً في جوانح الشاعر معتصماً بين الصلب والترائب يأبى أن يزحزح إلا إلى مطمأن من رقة اللفظ ونعومة مس الوزن فهو جاد في استثارته بما يقذف به إلى الصحف من القصائد وإن كان مقياً على وفائه للبحر الطويل .

وأما احتشاد الشاعر وحفاوته بأن تكون لغة الديوان سليمة تدل على ما انتهى إليه حدقه اللغوي وتخرجه من الوقوع فيما لا يرضي العريية والساهرين لها وعليها فهو ظاهرة من خواهر الديوان ملموسة تلازم القاري ملازمة تحول بينه وبين أن ينصرف عنها أو يتلها بسواها . هذا وإن كان هناك الفاظ أدنى إليها الإسراع في إخراج الديوان على ما قذفته القرينة لا ما يقتضيه التنقيح والتهذيب مما لم يخل من مثله ديوان أو كتاب ولو لا ذلك لكان للشاعر عنها مندوحة واسعة ومستتراد رحب . فمن تلك الألفاظ على قلتها (بضعة) في قوله في صدر الديوان :

فأمسيت مني في صحيفة أخبار وبضعة أشعار وصورة تذكاري

وفي الديوان ما يربني على الثلاثين و (الموصد) أرى بابك المطروق اسمي موصداً و (المحتم) . إلى أن يوافيني القضاء المحتم . وحتم والمحتم وتحم بنتها قلما كتبت النجاة منها لكاتب أو شاعر اليوم على أنه إن صح ما يدعو إليه بعض أهل اللغة من أن وجود تفعل اللازم المطاوع لفعل المشدد دليل على وجود فعل هذا وصح ما حكاه الفيومي في المصباح وهو قوله (انحتم وتحم الأمر وجب وجوباً لا يمكن اسقاطه) فهي حينئذ صحيحة : ولكن قولة صاحب المصباح هذه حكاية انقرد بها ولم يعزها إلى أحد وليس أحد من شراح الحديث يشاركه بروايتها والظن كل الظن أنها عن اخوانه الفقهاء ذكرها غفلة أو عصبية لم فهي بلفظها وتفسيرها من بضاعتهم وتعابيرهم وعليها طابعهم معدودة على الفيومي في جملة ما انقرد به في مصباحه مما يجب أن يفرد له كلمة فيما سها ذوو المعجمات فأثبتوه ذهولاً عما أخذوه على أنفسهم من عدم الخروج عن أمانة النقل .

محمد البرزم

هنري برجسون : منبعنا اليوناني واللاتيني

تأليف سامي الدروبي وعبد الله الدائم ، طبع بمطبعة الاعتماد بمصر

عدد صفحاته ٢٨٥ من القطع الوسط

كان المترجمون المعاصرون لا يعنون اختيار الكتب التي يترجمونها ، فينقلون الى اللغة العربية كتباً سهلة لا تليق مطالعتها الا لجمهور القراء من غير الاختصاصيين . فكان القاري العربي يظن مثلاً ان أعظم فيلسوف اجتماعي فرنسي هو (غوستاف لويون) لأن احمد فتحي زغلول وغيره قد ترجموا بعض كتبه ، مع ان (غوستاف لويون) ليس من علماء الطبقة الأولى . وما أورده في علم الاجتماع والتربية كثير الشكوك . واذا أخذ علم الاجتماع عن (غوستاف لويون) دون ان يرجع الى ما جاء به (دور كهايم) و (لني برول) لم يوصل به الى الكمال .

والسبب في ميل المترجمين الى اختيار الكتب السهلة يرجع الى خوفهم من التعب ، او الى عجزهم عن تفهم كتب الاختصاص ، او الى رغبتهم في الربح المادي والشهرة السريعة . لذلك بقيت كتب لوك ولينينز وهييجل وكنت وشوبنهاور وبرجسون مجهولة عندنا . وما نقل الى اللغة العربية من مذاهب هؤلاء الفلاسفة ، خال من الصفة العلمية الحقيقية . حتى ان كبار المترجمين الذين نقلوا بعض كتب أرسطو الى اللغة العربية لم ينقلوها عن اليونانية بل عن الفرنسية .

أما السيدان سامي الدروبي وعبد الله الدائم فقد أحسنا الاختيار ونقلنا كتاب منبني الأخلاق والدين الى اللغة العربية بكل أمانة علمية . ومع ان بعض عبارات ترجمتها لا تخلو من الغموض ، فانها لم يخرجنا بالجملة عن الأصل . حتى لقد أدت رغبتها في المحافظة على الأصل الى ضياع قسم كبير من سحر الاسلوب البرجسوني . وقد صدرا الكتاب بمقدمة عامة مشتملة على مذهب (برجسون) في الابداع والديمومة ووثبة الحياة . وذكرنا كيف انتهت الفلسفة البرجسونية الى البحث في

الأخلاق ، وكيف أتم هذا الكتاب الجديد مذهب برغسون في الخلق الدائم والزمان والتطور . فقد فرق فيلسوف الحدس في كتاب الزمان والحرية بين المكان والزمان ، وفي كتاب المادة والذاكرة بين الادراك المحض والذاكرة المحضة ، وفي كتاب التطور المبدع بين العقل والغريزة ، كما ميز في كتاب منبعي الأخلاق والدين الأخلاق « المغلقة » من الأخلاق « المفتوحة » .

وفي المقدمة شرح صحيح لمذهب (برغسون) في الأخلاق حاول المترجمون أن يحتفظوا فيه بعبق من نفحات برغسون وسحر أسلوبه وشذا صوفيته . إلا أنها حاولا كغيرهما من المؤلفين أن يرتبوا مبادئ برغسون ، وبيننا تسلسلها بعضها من بعض . فما جاء في المقدمة قولها : « ان الدين والأخلاق من التوق والاندفاع ، والتوق والاندفاع من الانفعال المبدع والعاطفة الحرة ، والانفعال والعاطفة من التوازن والحركة ، والحركة من الديمومة ، والديمومة من الوثبة الحيوية » (ص - ٨) . فكان المترجمين يعتقدان ان الفكرة الأولى في فلسفة (برغسون) هي الوثبة الحيوية ، وان الديمومة مشتقة منها ، مع ان (برغسون) صرح غير مرة بأن الديمومة هي الفكرة المركزية في فلسفته كلها . وما المادة والحياة والنفس إلا ظواهر مختلفة لجوهر واحد هو الديمومة ، حتى لقد ذهب بعضهم الى ان الديمومة عنده هي الله .

ومما يكن من أمر فان تعريب هذا الكتاب يدل على اتجاه جديد في الترجمة لم يكنف صاحبا بنقل كتاب سهل لا قيمة له ، بل استهلا الصعب وعزما على ترجمة كتب برغسون كلها ككتاب الزمان والحرية ، وكتاب التطور المبدع ، وكتاب الضحك ، وكتاب المادة والذاكرة . فاذا تم لها ذلك اضافة الى لغتنا العربية ثروة فكرية جديدة هي في أشد الحاجة اليها .

جميل صليبا

هنري برجسون : رسالة في معطيات الوجدان البديهية

ترجمة كمال يوسف الحاج • منشورات كنوز الفكر الغربي - بيروت ١٩٤٥

عدد صفحاته ١٣٨ من القطع الوسط

عنوان هذا الكتاب باللغة الفرنسية « Essai sur les données immédiates

de la Conscience » ، وكنا نود لو أطلق عليه باللغة العربية اسم **الزمان والحرية** . لأنه يبحث قبل كل شيء ، في مسألة الزمان ويبحث أيضاً في مسألة الجبر والحرية . حتى أن (هنري برجسون) لما سئل عن الاسم الذي يجب أن يطلق على كتابه في اللغات الأجنبية فضل هذا العنوان على غيره . وربما كان العنوان الفرنسي أدل على موضوع الكتاب من هذا العنوان الفلسفي المجرد ، لأنه يدل على أن حقائق الوجدان كالأحاساس والعواطف والأهواء وغيرها يجب أن تعرى من جميع العادات المكتسبة والاعتقادات والأفكار والرموز . إلا أن في ترجمة العنوان على النحو الذي اختاره المترجم شيئاً من اللبس والغموض . ونحن نفضل عنوان الزمان والحرية ، رغم صفة المجردة ، على هذا العنوان المفصل ، الذي لا تطابق كلماته كلمات العنوان الفرنسي .

أما ترجمة الكتاب فهي صحيحة بالجملة . إلا أنه ينقصها الضبط في بعض الاصطلاحات ، كما يعوزها الوضوح في بعض المعاني . أضف إلى ذلك أن المترجم لم يوفق في ترجمته إلى إعطاء الأسلوب الرجسوني حلة عربية قشبية . بل أدت محافظته على الأصل إلى التمسك بالحروف ، فجاءت ترجمته مشوبة بكثير من الغموض . قال هنري برجسون : « ان كل تلخيص لنظرياتي يفسدها في مجموعها » . ونحن نقول ان كل ترجمة لكتبه تفقدها روعتها . فقد امتاز (برجسون) بقوة أسلوبه ، وتبدو هذه القوة في تشابهه الجميلة ، واستعاراته اللطيفة ، وقدرته على إيضاح المعاني العميقة بألفاظ واضحة وصور حسنة . ومن السهل على الكاتب أن

يتحوى في اللغة العربية نحو (برجسون) في اللغة الفرنسية ، إلا أنه من الصعب جداً على المترجم ان يجمع بين ضبط المعاني وروعة الأسلوب . لأن لكل لغة خصائص يصعب نقلها الى غيرها . فكما ان كثيراً من التراكيب الفرنسية تفقد قوتها وجمالها اذا عرّبت تعريباً حرفياً ، كذلك تفقد بعض التراكيب العربية بلاغتها وروعتها اذا نقلت الى اللغات الأجنبية . فلا بد اذن في الترجمة العلمية من الاقتصار على ضبط الاصطلاحات ووضوح المعاني . ولو لاءمت اصطلاحات المترجم معانيه وأغراضه ، وجاءت عباراته مطابقة للأصل لا كتفينا بذلك وضحينا بالأسلوب . ولكن بعض اصطلاحاته بعيدة عن الغرض الذي وضعت له ، كما ان بعض عباراته مشتتة على معان لا وجود لها في الأصل .

ومما يمكن من أمر فان هذه الترجمة لا يتخلو من الفائدة لاشتغالها على مقدمة بين فيها المترجم منزلة (هنري برجسون) ومنزلة كتابه هذا . والترجمة جيدة الطبع صقيلة الورق ، متقنة الترتيب ، أثبت المترجم في آخرها بعض الاصطلاحات الفلسفية باللغتين العربية والفرنسية . ومن عانى قراءة كتب (برجسون) وما اشتملت عليه من المعاني العويصة ، ادرك ما لقيه المترجم من المشاق والمصاعب في شق هذا المسلك الوعر . ولو سلك المترجمون طريقته في اختيار الكتب ونقلها الى لغتنا لأنموا ثروتنا الأدبية ، ووسعوا أفق تفكيرنا ، وفتحوا لنا طريق الانتاج .

ج . ص



و . ج ما كبرابر : مركب النقص

ترجمه الأستاذ نوري الحافظ ، وقدم له الدكتور فاضل الجمالي
طبع بمطبعة المعارف في بغداد ، وهو من منشورات مجلة المعلم الجديد
عدد صفحاته ٦٣ من القطع الوسط .

المركبات النفسية كثيرة : فمنها مركب (فايل) وهو حالة نفسية تدفع
الأخوة والآخوات الى التطاحن لامتلاك شيء من الأشياء . ومنها مركب

(اوديب) وهو مجموعة من النزعات والعواطف تدفع الطفل مثلاً الى حب أمه وكره أبيه . ومنها مركب النقص ، وهو صفة الرجل الذي أصبح غير واثق من نفسه يكدح تحت عبء الشعور بالخوف والنقص .

وقد أطلق الدكتور (فرويد) هذا الاصطلاح على العواطف السلبية الناشئة عن الخوف من عجز الأعضاء التناسلية . وبين الدكتور (آدلر) ان مركب النقص قد يظهر في عدة حالات لا علاقة لها بالقضايا الجنسية ، كشعور الطفل مثلاً بنقص عضوي في تكوينه يلزمه كل ايام حياته . فالدافع الأساسي للسلوك عنده هو « تأكيد الذات » ، وكل احباط لهذا الدافع ناشئ عن نقص وراثي او كسبي يولد مركب النقص ، ويؤدي في النهاية الى الوقوع في المرض النفسي . ولمركب النقص صفات رئيسية ترجع الى اختبارات نفسية مكبوتة كالخوف والابتعاد عن الواقع ، والاختفاق في الحب ، واللجوء الى الأوحام والأحلام . وله صفات ثانوية ، تنشأ عن سوء التربية كالقلق ، والتهيب الاجتماعي ، والعزلة وشدة الاحساس ، وسذاجة التفكير ، وعدم الاعتدال ، والميل الى التهمك والانتقاد . وتظهر هذه الصفات في الرجل الوضيع المتعاطف وفي المسرف في تأنقه ، وفي المرأة المتشبهة بالرجال ، وفي الرجل المتشبه بالنساء ، وفي الشخص الذي يظن أنه فريد عصره ، وفي الشخص المشاغب المتحير .

وعلاج مركب النقص الانتباه الى أسبابه ومحاولة التغلب عليها . فاذا كان ناشئاً عن الشعور بنقص عضوي كالافراط في السمعة أو النحافة أو البرص ، أو الأنف الأعقف ، أو الاختلاف في لون العينين ، أو الأسنان البارزة ، أو العور ، أو العمى ، وجب قبول هذا النقص على علاته بشجاعة وتعقل ، إذ لا حيلة لأصحاب العاهات في تبديل حالتهم . وفي وسعهم ان يتغلبوا على نقصهم بالسعي والمشقة وقوة الارادة . ومن كان قميئاً ، باذ الهيئة ذمياً ، وكان مع ذلك مثقفاً عالماً ، استطاع ان يبدأ أقرانه ويفوقهم . والناس يفضلون الذميم العالم على الجميل الجاهل ، حتى ان التعجب من الذميم قد يكون سبباً للعجب به ، واذا كان

مركب النقص ناشئاً عن سوء التربية كالغنج والدلال أو القسوة والظلم أمكن التغلب على أسبابه بأضدادها ، فإذا كان الفتي مربى على الدلال عومل بشيء من القسوة ، وإذا كان مربى على الظلم عومل بالرحمة ، ومهما يكن من أمر فانت للمرء عدوين لدودين هما الأثنية والجهل ، فإذا استطاع ان يتحرر منهما عاش في أمن وسعادة .

فأنت ترى أن هذا الكتاب مشتمل على حقائق نفسية جليلة . وهو مترجم بأسلوب واضح ، إلا انه لم يخل من بعض الهنات ، كقول المترجم (اغاضته) ص — ١٢ ، والصواب (اغاظته) ، وكقوله (فضع) و (فنيعة) ص — ٣٧ ، والصواب أفظع ، وفظيعة . وقوله (أحدى المعامل) ص ٥٤ ، ٥٥ ، والصواب (احد المعامل) . وقوله (جابها) ص ٨ ، والصواب واجها . من الهنات التي يجب التنبيه اليها شرح المترجم لكلمة (الأتويا) في النص بقوله : « كاتويا توماس مور ، واتويا ملتن في الفردوس الأرضي ، ورسالة الغفران عند المعري ، والكومينديا الإلهية لدانتي اللجيري » (ص — ١٤) . فهذه الأمثلة لا تصلح كلها للدلالة على (الاوتويا) ، إذ أن رسالة الغفران ليست من الأوهام التي تخيلها أبو العلاء للارتقاء من عالم الحقيقة الى عالم الخيال ، بل هي مشتملة على نقد حقيقي . وكان احرى بالمترجم ان يورد هذا الشرح في الهامش ، وان يقتصر على أمثلة واضحة لا جدال فيها كجمهورية افلاطون ، والمدينة الفاضلة للفارابي ، واوتويا توماس مور ، ومدينة الشمس لكامبا نللا .

ولست هذه الهنات بقادحة في قيمة الكتاب ، بل الكتاب كما قلنا جليل المباحث ، جيد الترجمة ، تلذ مطالعته لكل طالب .

موجز الطب الجراحي

لمؤلفه الدكتور نظمي القباني أستاذ الجراحة في معهد الطب العربي بدمشق

كتاب فريد في بابہ ليس له مثیل ، علی ما نعلم ، فی لغة الضاد . فان أسلافنا العظام الذین ترکوا من المؤلفات فی شتی الفروع الطبیة ما یدل علی طول باعهم لم یخطر لهم فی بال طرق هذا الموضوع . ولا عجب فان الطب الجراحي فن حدیث العهد لم توضع قواعده ولم تنظم سننه الا بعد ان وضعت قواعد الجراحة ذاتها ونظمت سننها وذللت العقبات التی تقوم فی وجهها . واذا قیل ان هذا الفن یدرس علی الجثث حیث لا یتنع الألم الجراح من اتقان عمله وحیث لا یخاف ان تفسد العفونة علیه طریقته أجبنا ان تشریح الجثث ، وهو المر الذي یعبر به الجراح من المیت الی الحی ، کان محرماً فی القرون الأولى فلا عجب اذا لم ترتق الجراحة فی ذلك العهد ارتقاء الفروع الأخری واذا لم تثب وثبتها الی الامام قبل حل هذه العقدة وإباحة تشریح الجثة . وقد خطت الجراحة متبعة هذا الفن خطوات مریعة الی التقدم وسائرة معه جنباً الی جنب غیر انها ارتطمت بعقبتین کؤودین هما الألم والعفونة فان الجراح لم یکن یتسکن من اتقان عمله علی الأحياء للألم الذي کان ینتاب جریحه ولم یکن یقدم علی الأعمال الجراحیة الکبیرة وفتح الأجواف لأن العفونة کانت واقفة له بالمرصاد ولأنه کان یجهل قواعد التعقیم فکان التعفن یقضي علی معظم جراحاه . فلا عجب بعد ما ذکرنا اذا لم یتعرض أطباء العرب للبحث فی هذا الموضوع .

وبعد ان ذللت هذه العقبات جمیعها فی الغرب وسار هذا الفن هناك سیره السریع الی الامام ودبت فی البلاد العربیة روح النهضة الحدیثة لم نر من زملائنا العرب من أقدم علی التألیف فی هذا الموضوع لأن مؤلفات کلهذه تتطلب نفقات کبیرة ولأن الاقبال علیها قلیل . واذا دفعت اللذة العلمیة بعضاً

من العلماء الى التضحية رغبة في التأليف نفسه فان هذه الرغبة لا تتعدى عادة حدود الخسارة المادية .

والنتيجة ان هذا المؤلف هو الأول الذي عرفناه في هذا الفن .
قسم المؤلف كتابه ثلاثة أبواب فخصص الباب الأول بربط الشرايين وقد جعله أربعة فصول فذكر في الفصل الأول المعلومات العامة في ربط هذه الاوعية وفي الفصل الثاني ربط شرايين الطرفين السفليين وفي الثالث ربط شرايين الطرفين العلويين وفي الرابع ربط شرايين العنق .

وتكلم في الباب الثاني عن بتر الأطراف وتتميم المفاصل وقد قسمه أربعة فصول أيضاً فذكر في الفصل الأول المعلومات العامة وفي الثاني بتر الأطراف العلويين والسفليين وفي الثالث تتميم مفاصل الطرفين العلويين وفي الرابع تتميم مفاصل الطرفين السفليين .

وقد خصص الباب الثالث بنشر العظام فامسأ اياه أربعة فصول فجاء في الفصل الأول بالمعلومات العامة وفي الفصل الثاني بنشر عظام الطرف العلوي وفي الثالث بنشر عظام الطرف السفلي وفي الرابع بنشر عظام الرأس والجزء .

وقد طبع الكتاب طبعاً متقناً في مطبعة الجامعة السورية بدمشق سنة ١٩٤٤ ونهج المؤلف في وضعه نهجاً خاصاً فلم يعتمد الى التطويل الممل ولا الى الاقتضاب المفضل واختار من الطرائف أسهلها تناولاً ناركاً ما كان منها معقداً . ويقع الكتاب في ٣٣١ صفحة وهو مزدان بمائتين واثنين وستين رسماً على الرغم من صغر حجمه .

فالى زميلنا الفاضل ، الذي نكبر همه ونشكر له باسم اللغة العربية اقدامه علي سد هذه الثلمة في مجموعة المؤلفات الطيبة ، أخلص تهانينا بكتابه الفريد .

الدكتور مرشد خاطر

فن التوليد

الجزء الأول

لـمؤلفه : الدكتور شوكة القنواي استاذ فن التوليد وأمراض النساء وسريرياتها
في معهد الطب العربي والدكتور محمود مظفر برمدا مساعد شعبة التوليد وأمراض
النساء وسريرياتها في معهد الطب العربي .

كتاب يقع في ٥٤٤ صفحة طبع في مطبعة الجامعة السورية بدمشق سنة ١٩٤٤
مزدانت بـ ٨١ رسماً يبحث في الحمل والولادة وعواقب الوضع الطبيعية قسمه
مؤلفه ثلاثة أبواب فخصص الباب الأول بالحمل الطبيعي وضمناه ثمانية فصول
الفصل الأول في الالتحاق والثاني في نمو البويضة وتكوين المضة والثالث في
الجنين وملحقاته والرابع في القناة الحوضية التناسلية والخامس في التبدلات
التشريحية والفيزيائية الطارئة على جسم الوالدة في أثناء الحمل والسادس في اعراض
الحمل وتشخيصه والسابع في أوضاع الجنين والثامن في حفظ صحة الحمل .
وخصص الباب الثاني بالولادة الطبيعية وضمناه أربعة فصول : الفصل الأول
في الولادة اجمالاً والثاني في مختلف الميئات والثالث في الخلاص والرابع في
الحمل المتعدد والولادة فيه .

وخصص الباب الثالث بعواقب الوضع الطبيعية وضمناه فصلين : الأول في
حالة النفساء والثاني في الوليد .

ولغة الكتاب ومصطلحاته صحيحة وأبحاثه مفيدة وفيه من النظريات أجدها
ومن المعلومات الفنية أوفرها . ولا نقالي اذا قلنا انه يضاهي الكتب الأجنبية
التي وقع عليها نظرنا من حيث غزارة المادة وحسن التبويب . وانه أفضل مؤلف عربي
في نوعه لأن ما كتب في هذا الموضوع بلغة الضاد قديم العهد ولا يوافق النظريات
الحديثة ولا سيما ما كان منها ذا علاقة بالغدد الصم ووسائل تشخيص الحمل الحديثة .
جزى الله المؤلفين لقاء خدمتهما للغة الضاد خير الجزاء ووفقهما الى اصدار الجزء

الثاني لتكتمل هذه الحلقة ويعم نفعها .
الدكتور م . ف .

دمشق القديمة : أسوارها ، أبراجها ، أبوابها

هذه النشرة هي أولى مطبوعات مديرية الآثار القديمة السورية . وهي من وضع السيد صلاح الدين المتجد في عام ١٩٤٥ . رتقع في نحو (٦٠) صفحة . يتخللها صور ومصورات لبعض هذه الآثار . وقد ضمنها وصفا موجزا لسور دمشق وأبوابها مع نبذ من تاريخها . وقد رأت مديرية الآثار القديمة كما ذكر واضعها في مقدمته : « أن تصدر نشرات عربية مبسطة تضمن للناس ثقافة تاريخية آثارية . يتبينون فيها روائع ميراثهم القومي التاريخي الماثل في آثار هذا الوطن » . فنعم الفكرة هذه . وما أجزل فوائدها للناس . يتعرف بها أبناء البلاد الى تراث السلف وترشداهم الى محاسنه ، ليألفوه . وتحببه لهم ، ليقدروه حق قدره . فيعملوا على حفظه وصيانه .

حبذا لو ان الكاتب وضع الى جانب الاصطلاحات الفنية التي استعملها ما يقابلها في لغة أجنبية ما ، كي لا يلتبس على القاري فهم مدلولها في مثل قوله : « برج مربع بشكل موشور ، وقوس مخمسة » . وذكر عن باب الجنيق المسدود أنه روماني مع أنه لا يوجد ما يستدل منه على قدمه في حالته الحاضرة ويرجع أن يكون من العهد الاسلامي . وقال ان باب توما منسوب الى عظيم من عظماء الروم . والأصح بأنه منسوب الى مكان في ظاهر دمشق كان يعرف بهذا الاسم . وقال في صفحة ٤٥ : سيف الدين ابي بكر بن أيوب أمير المؤمنين . وصوابه أن يقال : بن أيوب ناصر أمير المؤمنين . وجاء في رقم (٢) من صفحة الاضافات والتصحيح : « ان السيل حمل برجا صحيحا ومعه في جانبيه مدينتين ودفع ذلك كله غربي المدينة » . وهذه العبارة مشوشة في معناها ومعناها . ولذلك أقترح تصحيحها على الوجه الآتي : « ان السيل حمل برجا صحيحا ومعه في جانبيه مدينتين ووقع ذلك كله غربي المدينة » . اذ لا يعقل ان يحمل السيل برجا ومدينتين الى غربي المدينة . مع أن السيل لا يأتي دمشق الا من ناحية الغرب منوها الى الشرق . وقال في رقم (١٨) باب النصر ويسمى باب السرايا . مع ان الباب الاول كان في سوق الأروام والثاني هو باب السرايا المشيرة . وجاء في مضمون مدينة دمشق القديمة ، ان اسم النهر الموجود شمالي قلعة دمشق نهر بانياس ، وصوابه نهر غقربا .

فترجو للأستاذ المنجد الذي عرفناه أديباً أن يوفق في أبحاثه الأثرية كنجاحه في مواضعه الأدبية وإن تكون هذه النشرة المفيدة باكورة أبحاث أوسع .

جعفر الحسني



بهارستان نور الدين

وهي أولى الدراسات التي وعد السيد صلاح الدين المنجد بنشرها عن أبنية دمشق التاريخية . وتقع هذه النشرة في ٣٩ صفحة من القطع الكبير . مزينة بعدد من الصور والرسوم المفيدة . وقد وفق الأستاذ فيما أورد وأصاب فيما نقل . متقياً ما أمكن مواطن الزلل ومتجاشياً كل ما يثير الجدل . وهذا شأن قواعد الدراسات المبسطة التي يحسن أن يقتصر بحثها على الخطوط الأساسية المتفق عليها . وأما قوله : إن بعض مواد البناء الرخامية المستعملة في بناء البهارستان كالعمودين والألواح المزخرفة قد أخذت من إحدى الكنائس . فهذا زعم يفتر لإثبات ولا يقوم عليه دليل . وهي من جملة أوهام بعض المستشرقين . ولذلك يجب علينا أن لا نتسرع في نقلها ولا نجزم في صحتها . نشكر الأستاذ المنجد على هذه الدراسة المفيدة ونرجو له التوفيق في دراساته المقبلة .

ج . ج



سومر

صدر الجزء الأول من المجلد الثاني من مجلة سومر التي تصدرها مديرية الآثار القديمة في العراق . وهو طافح بالأبحاث التاريخية عن العراق وانبائه الأثرية في مختلف العصور ومزين بأحسن الصور . وتشهد جميع هذه الأبحاث على علو مكانة كاتبها العلمية وحرصهم على تحري الحقيقة فضلاً عن توفيقهم بانتقاء الأبحاث . وجاء في جملة أنباء الآثار ص ١٣٣ . إن المتحف العراقي قد اقتنى درهماً نقش عليه صورة الخليفة العباسي المقتدر بالله جعفر . وأنه قد يكون الوحيد من نوعه في العالم . وقد سبق لدار الآثار في دمشق ان اقتنت منذ سنوات درهماً يشبهه وقد نشره في حينه كاتب هذه الأسطر في كتاب :

ص ٤١٨ Melanges Syriens offerts à M. R. Dussaud

ج . ج

آراء وأنباء

الحكومة المصرية تبرع بألفي جنيه
لمكتبة أبي العلاء المعري

كان الدكتور طه حسين بك قال في كلمته التي ألقاها في المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري الذي أقامه المجمع العلمي العربي في دمشق في ٢٥ إبريل سنة ١٩٤٤ : « ٠٠٠ » ثم رأت مصر أن تكون مشاركتها في إحياء ذكرى أبي العلاء متصلة بشخصه وبلده ، وقد علمت أن سورية قد جددت قبر الشيخ وأقامت الى جانبه مكتبة ، فقررت أن تشارك في هذه المكتبة ، وكلفني وزير المعارف أن أعلن ان الحكومة المصرية تبرع بألفين من الجنيهات لتشتري بها الحكومة السورية بعض ما تحتاج اليه هذه المكتبة من الكتب ^(١) .

وقد استلم المجمع من المفوضية المصرية بدمشق حوالة بألفي جنيه مصري ، وقرر أن يؤسس بها خزانة كتب يجانب ضريح أبي العلاء بدعوها « دار الحكمة العلائية » يجمع بها آثار أبي العلاء مخطوطها ومطبوعها وما كتب عليه قديماً وحديثاً ، يضاف اليها أمهات الكتب في الأدب واللغة والتاريخ وبقية فروع الثقافة الاسلامية . فالمجمع يشكر للحكومة المصرية الجليلة هذه اليد البيضاء على العلم والأدب ، ويحيي مصر ويرجو لها السعادة واطراد التقدم والرفق في ظل ملكها الفاروق حفظه الله .

(١) المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري من ٢١

الاستعمال محكم^(١)

لو حلفنا للعامة بكل محرجة من الأيمان أن كلمة سيارة ودراجة وقاطرة وشاحنة وسفينة أرق وألطف وأدخل في موازين اللغة من أوتومبيل ويسكايت ولو كوموتيف وفاغون ووابور ما استجابوا ولا صدقوا . ولو قلنا لهم ان لفظ يريد وبرق وهاتف أرشق من بوسطة وتلغراف وتلفون وجسر خير من كوبري ومستشفى من استبالية ومعمل ألطف من فاوريقة أو فابريكة والثوي أحسن من السلامك والمشوى أنفع من بانسيون والحساء من شوربة والشطيرة من سندويتش والذرور من بودة والجمة من بيرا وعقود من كتراتات ويانصيب من لوتريا ووقاد أحسن من عطشجي ومصرف من بنك ودار الندوة ودار الآثار ودار الكتب أحسن من بارلمان وانتكخانه وكتبخانه ماسمعوا ولا ارعوا .

وحيثما انقلبتم في مصر وانصتم الى المتكلمين في مدنها وأريافها يترامى الى اسماءكم نموذجات غير جميلة من الأسماء التركية حتى لتسمع في بعض البيوت القديمة الى اليوم لفظة أبلة ، انشته ، دادة ، نينة ، تيزة ، نا ، بابا ، فرشة ، طقم ، طربة ، بقجة ، شنطة ، شلثة ، يشمق ، طلربة ، سادة ، يوبا ، يغما ، ماشة ، قولتق ، كليم ، تحنة ، خوجه ، جزمه ، شادر ، شاكوش ، أرمان ، بشاوره ، بشكير ، خردة الى عشرات غيرها . وفي الشارع تسمع كلمات طليانية ورومية وفرنسية وتركية ، فترام يقولون في المطاعم مستاردا ، كومبوستو ، روستو ، فينو ، فيلتو ، كوتليت ، اومليت ، سباكيتي ، ترشي ، بلاو ، ضولة ، يخني ، كفته ، اوزي ، صلاطة ، صلصة ، جاتو ، فروتو . وعشرات مثلها مما له مقابل في لغتنا وهو أسهل وأسلم على النطق من اللفظ الأعجمي .

تسمع من أفواه المتدنين والمتحدثات في الصباح والمساء كلمة فاتورة ، مانيفاتورة ،

(١) هذا بيان تلاء الأستاذ محمد كرد علي في الجلسة الخامسة من الدورة الثانية عشرة لجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة (٢٧ صفر ١٣٦٥ و ٣١ من كانون الثاني ١٩٤٦) .

فورمه ، مزوردا ، موضة ، يروتستو ، كيبو ، اسقنطو ، كارو ، مناورة ، بلاج ،
 كابين ، كاينه ، كاباربه ، بوفيه ، ادبرج ، كورنيس ، فرنيس ، مايو ، كلسون ،
 كومينزون ، شورت ، سبور ، لو كاندو ، اوتيل ، اوسته ، فانتيزي ، ياقه ، باترون ،
 مارمبون ، جارسون ، ميتردوفيل ، روب ، روب دي شمير ، ييجاما ، جا كيته ،
 بالطو ، بنطلون ، ساتين ، موسلين ، اشارب ، ماتينيد ، سواربه ، كريم ، بودرا ،
 روج ، مانو كور ، توالت ، فيترين ، بانينو ، صالة ، صاون . ول هذه الألفاظ كلها
 ما يقابلها من العربية وقد يعرفها العامة دع اختاصة ، ولا تجدتهم أنفسهم باستعمالها
 نكايه بهذه اللغة وكيداً لأهلها أو حتى يقال عنهم على الأقل أنهم متمدون
 والألفاظ الافرنجية أقرب الى أذواقهم من الألفاظ العربية وما شاء الله كان .
 ولت شعري متى يطل في مصر ما تأصل فيها من الألفاظ التركية في
 الجيش والحياة العامة ورسخت في الألسن والأقلام وليس هناك من ينكرها مثل
 صول ، قول ، صاغ ، ييكباشي ، يوزباشي ، باشكاتب ، باشمهندس ، سواربي ،
 بيادة ، طوبجية . الى كثير غيرها ، وقد قيل أن ألفاظ الجيش وحدها تبلغ ألفي
 كلمة . وكان مجعنا عهد الى رصيفنا العلامة الشيخ أحمد الاسكندري رحمه الله
 النظر مع خبير عسكري في وضع أسماء عربية تقابل تلك الأسماء التركية
 فوضعا ما وضعا له من الألفاظ ولما هلكا لم نعد نسمع خبراً عما تعبنا في وضعه
 من المفردات ، ولا تزال مصر الى الآن مقصرة عن العراق والشام في تعريب
 ألفاظ الجيش وكان المأمول أن تتوحد هذه المصطلحات في هذه الأقطار الثلاثة .
 مساكين علماء اللغة يكدون أذهانهم ويتعبون عيونهم في البحث لايجاد
 كلمات لا يقبلها الجمهور الا اذا وافقت هواه واستهل النطق به وعرضت له عوارض
 تذكر به في كل شارقة وبارقة . والعامة على ما يظهر تختار من الألفاظ ما يطرق
 سمعها بادي الرأي وتحفظه لا تحفظ غيره وصعب اكرامها على استعمال الفاظ
 بعينها اذا رأت في مألوفها ما يميز عنه ويعبر عن حاجات النفس . وثقوا أن
 كلتي جريدة ومجلة اللتين وضعهما العلامة احمد فارس أثابه الله لو لم يكن أرباب

الصحف أنفسهم هم الذين دللوا عليها لظللنا الى اليوم نطلق اسم بولتين أو دفو أو مكازين على المجلة وجورنال أو غازينه على صحيفة أو جريدة ، ومع هذا لا تزال نسمع كثيراً من خاصتنا الى اليوم يقولون الجورنال ومن العامة من يقول جورنال بالنون . وضع هذا المجمع ومجمع الشام ألفاظاً لمسميات افرنجية ولم تنتشر كلها الانتشار المطلوب لقلة العناية بطرق نشرها ولا أكتممكم اني يأس من شيوع بعض ما وضعناه لناطحات السحاب منذ قلنا « الصرح » ومذ أطلقنا « الطزر » على البيت الصيفي و « المثعب » على سيفون و « الاردبة » على البالوعة الواسعة و « المشن » على الدوش و « الوشعة » على حظيرة الشجر حول الكرم والبستان و « الوفيعة » على تلك الخرقه التي يمسح بها الكاتب قلمه من المداد و « الدريئة » على بارفان و « المشوش » على السرفيت و « الندل » على خدم القهوة أو الكارسونات و « الابريج » على الممخضة و « العتايات » على المكشطة .

وليت شعري كم يمتضي من الزمن حتى تنتشر كلمة « المجسدة » التي وضعناها لتوت على نحو ما انتشرت الجزازة والاضبارة للاعراب عن فيش ودوسيه . ومثل ذلك قولوا في « الاراض » التي وضعت للبساط العظيم الذي يفرش سيفه الأبياء والردحات و « التحذيف » لتصفيف شعر المرأة وقص أطرافه و « المنوار » « لفريير » أي المصباح الكبير الذي يعلق سيفه الشوارع والحدائق العامة و « المرصدة » التي وضعت لتلسكوب و « المصوات » ليكروفون و « الأجمية » وحي الأجمية « للملاريا » .

ومما يمكن فلا ينبغي لنا أن نياس من نشر ما يميننا من الألفاظ فقد حاولت أن أنشر بعض النصيح المنسي منذ بدأت أكتب في الصحف فكنت أستعمل لفظة أولفظتين في المقالة الواحدة أو الفصل الواحد فأصبح ما استعملته ألوفاً بعض الشيء في البيئة التي عملت فيها وحصلت بها أنة للقراء فلم تنفر منها الأسماع . فلو كانت وسائط النشر أوسع لدي لصادفت تلك الألفاظ من الرواج بالضرورة أكثر مما صادفت ، وبخاصة اذا تبناها بعض رجال الصحافة فان منهم من عاونوا

على اشاعة بعض الألفاظ حتى كدنا نعانها لكثرة ما رددوها في كل موطن مثل لفظ «أجل» و «فحسب» و «الهبل والهيلات» .

نعم يجب أن يكون أحدنا كالطبيب المداوي لا ينقطع عن معالجة مريضه ولو كان الأمل في شفائه واحداً في الألف ، قص علي أحد زملائي في المجمع العلمي العربي أنه كان في بعض العشايا ماراً في زقاق وكانت تلك الليلة من ليالي المرافع «الكارنافال» فسمع ولدين في نحو العاشرة من عمرهما يسأل أحدهما صاحبه أين كنت الآن قال كنت في المقنع Balmasqué فدهش صاحبي من سريان هذه اللفظة الفصيحة الى لسان الفتيين .

ومن الحزم أن يعول على الفتيان والفتيات في تقبل الفصح بلقنهم إياه أساتذتهم منذ عهد الكتاتيب إلى آخر مراحل التعليم في الجامعات حتى اذا تمكنت من ألسنتهم انتشرت بحكم الطبيعة في العامة ومن قرب من طبقتهم وعندئذ يتعذر على العامة أن تقتل الفصحى .

ولا بد أن يأتي يوم يكثر فيه استعمال مانضه أو يضعه غيرنا من الفصحى وبقضى على الأسماء الأعجمية ويجب على كل حال أن نذكر الخطوات الناجحة التي خطوناها منذ خمسين سنة لاحتلال الفصحى محل العامة المتلونة كل عهد بلون . لا جرم أننا مقصرون في العناية لما نضع من الألفاظ ومن هذا التقاعس ما يمكن تلافيه ومنه مادعت اليه أسباب قاهرة . فقد حالت الحرب دون نشر مجلتنا وهي أداتنا الوحيدة في الاعلان عن بضاعتنا فما طبقت قاعدتنا في نشر الألفاظ التي نحاول احياؤها أو اشتقاقها من أصولها . وقاعدتنا هذه الا تصبح اللفظة الجديدة معمولاً بها الا اذا أتى على نشرها في المجلة حول كامل ولم يرد اعتراض عليها . ولذلك يكون يوم عودة مجلة المجمع الى الصدور من الأعياد السعيدة وعشاء يطرد ارسالها هذه المرة الى القاصية والدانية تتناولها أيدي عشاق العربية في الآفاق . فنحن في حاجة لدعاية واسعة النطاق للمنجية من المفردات وتقرره من القواعد لتسهيل اللغة . نحتاج الى نشر مانض في الصحف

والمجلات وفي نشرات ورسائل ترسل لمن ينتفع بها بالبحر في أوقات معينة لا نخل بها وإذا أستطعنا أن تقنع الحكومات بمعاونتنا في هذا الشأن يزيد ما نريد نشره في الناس انتشاراً كثيراً فبقليل من العناية يمكن الاستغناء عن مئات من الاسماء الأعجمية وذلك بأن تصح عربية الحكومات على حمل الفنادق والمقاهي والحانات مثلاً على استعمال ألفاظ عربية فتحظر على أربابها استعمال الألفاظ الأفرنجية بتاتاً وما أظن ما نسمعه كل يوم في المقاهي مثل «اوناسكيتو» و «اونافاريليكى» و «اونامتريو» الى غير ذلك من الأسماء يرضى الناطقون به أن ينادي مناد بالعربية في مقاهي بلادهم وحاناتها وفنادقها هذا ونحن نرى القهاوي البلدية تنادي على هذه المشروبات بألفاظ عربية منتقاة جميلة تسمع نموذجات منها في مقاهي سيدنا الحسين وغيرها من مقاصف الأحياء .

ولو أن حكومة مصر عاوت هذا الجمع على بث الصحيح لما انقضت سنة الا وأكثر الألفاظ الأعجمية تختل من الميدان ويطويها النسيان فلا يعثر عليها إلا في معاجم لغاتها وتحمل معها الألفاظ العربية في قطر هو عربي خالص منذ ثلاثة عشر قرناً .

أما أن تترك ماتعنا في وضعه للطبيعة تنشره أو تغمره فتطبع من مجلتنا بضعة ألوف ونوزع منها مئات ونخزن الباقي في المستودعات يأكلها الفأر ويسودها الغبار فهذا تقصير أخشى أن يكون داخلاً في نقص القادرين على التمام .

أما ولم يبق أمامنا الآن عائق يعوقنا عن إتمام عملنا فواجبنا أن ننشط وندخل بعض التعديل في أساليبنا والزمن يدعونا الى ذلك فقد كان ابن القرن الماضي يكتفي بحفظ ألفين أو ثلاثة آلاف كلمة بقلها في وجوه استعماله وابن هذا العصر يحتاج الى استظهار ألوف من الألفاظ ما كانت تخطر ببال أبناء الأجيال السالفة فالصلحة اذاً في نشر أكبر عدد ممكن من ألفاظنا المعربة والموضوعة واخراجها في معجم صغير يكبر مع الزمن ثم يجعل منه ما يفي بحاجة المبتدئ والمتوسط والمنتهي .

يشتد عوز الأمة العربية الى نشر معجم صغير قبل كل شيء . وهنا أبري نفسي من تهمة أدبية همس بعضهم بها وهي أنني كنت في جملة الراضين نشر معجم رصيفنا العلامة شيفر أنا لم أرتكب هذا الجرم وإنما قلت يومئذ انه كتاب ينفع خاصة المشتغلين باللغة فهو « اللوكس » ونحن نتطال أولاً الى البسيط العادي واني أفضل تقديم الأهم على المهم والأهم نشر معجم المجمع الذي طال الوعد بإصداره واني لا قصد لي الا قصدكم وما حدث ولن أجد عن خطتكم والمصلحة في الامراع بعرض أعمالنا على العالم والزمن لا يحتمل التسويف او عصرنا عصر السرعة والمفاجآت . وعملنا لا يكمله النجاح الا بالدعاية بكل أساليبها على ما تجري عليه كل دعاية سياسية ودينية والله الهادي الى ما فيه خير اللغة العربية .

محمد كرد علي

—••••—

الفريضة

١ - توطئة

هذه كلمة غريبة الصيغة ، حلوة على السمع . وتلفظ Freywinneh أي بضم الفاء (والعامة تسكنها) وفتح الراء فتحاً بإمالة قصيرة ، واسكان الياء المثناة التحتية ، وكسر الواو ، وتشديد النون المفتوحة ، وفي الآخر هاء ، غير صميم . هي اسم نبات مبثوث في أراضي الموصل ، والهضاب التي حوالها ، ولم يتمكن احد من معرفته بالتمام والقبض ، إلا واحد من علمائنا الأعلام ، هو الطبيب النظامي ، الدكتور داود الجلي ، الموالي الولادة والنشأة .

٢ - أصل هذه الكلمة

سألت كثيرين عن أصل هذه الكلمة ، ومن أي لغة وردت علينا ، فلم يتمكن احد من معرفتها . وسألت جماعة من الفضلاء والبصراء باللغات السامية واليافثية والحامية ، فلم يستطع أحد ان يجيبني عنها إلا الدكتور الجلي ونحده - فله الفضل العظيم على كل من يلقاها عنه ، في هذا المقال . قال حرسه الله ما هذا نصه بحروفه ، وذلك بتاريخ ٢٤ / ١٠ / ١٩٢٥ :

(الفريونة) : نبات ذو بصلة ، يزهر زهراً احمر وردياً جميلاً ، يصلته ذات طاقات حلوة ، تؤكل . خارجها قشر احمر ، كقشر البصل العادي ، يليه طبقة من ألياف دقيقة ، ناعمة ، حريرية ، كأنها شعر فروة ، ومن هناك اسمها عند أهل الموصل . « صفروا (فروة) ، فقالوا (فُرَيوَة ^(١)) وكسعوها بألف ونون للنسب ، بدل الياء بعد حرف الهاء ، فصارت : (فُرَيوَان) وهذه النسبة مستعملة بكثرة ، عند الأعراب ^(٢) فيقولون لمن ولد في ارض يكثر فيها الشيخ : (شبحان) . واعرف اعرايياً اسمه (نديان) ، سأله لماذا سموك بهذا الاسم ؟ - فقال : لأن صبيحة الليلة التي ولدت فيها أصبحت الأرض قد عمها (الندى) ؛ ثم ألحقوا بفريوان ، تاء ^(٣) التانيث ، فصارت (فريوانة) ولكنهم يحرفونها فيلفظونها : (فريونة) [بتشديد النون في مكان حذف الألف] ^(٤) » .

ثم قال حضرة الدكتور : « لاشك في كون هذا النبات من الفصيلة الزنبقية Liliacées ؛ لكنني لم أحتد لاسمه العلمي ، لأنني لم أجد في الكتب التي لدي ، من وصفها وصفاً واضحاً ، وذكر فروتها ، وانها تؤكل .

« ظننتُ أولاً ان Muscari comosum ينطبق عليها ؛ غير اني وجدت اني كتبت في بعض قيوداتي : ان هذا بصل التي ، فعدلت عنه .

(١) قال الأب أنستاس ماري الكرمل : صححوا الواو ، وان جاء قبلها ياء ساكنة ، حرصاً على سلامة اللفظ الأصلي ، كما صححوها في تصغير أسود . فقالوا : أسبود . وفي تصغير حلوة ، قالوا : حليوة . (٢) مثل هذه النسبة النربية معروفة عند الأقدمين ، والم يذكرها النجاة ، ولا أرباب الفوائد العربية . فقد قال ياقوت الحموي في معجم البلدان في مادة عبادان : « وأما إلحاق الألف والنون ، فهو لغة مستعملة في البصرة ونواحيها : إنهم اذا سمو موضعاً ، أو نسبوه الى رجل ، أو صنعة ، يزيدون في آخره ألفاً ونوناً ، كقولهم في قرية عندهم منسوبة الى زياد بن أبيه : زيادان ، وأخرى الى عبد الله : عبد الليان ، وأخرى الى بلال بن أبي بردة : بلالان » انتهى كلام ياقوت . (٣) انما أثنوا إشارة الى الزهرة كأنهم قالوا : الزهرة أو النبتة ذات الفروة ، لأن هذه الفروة لا تظهر إلا من بعد أن تزهر البصلة . (٤) ومثل هذا الحذف والتعويض عنه بشد الحرف الذي يتلو ، قولهم في انجاس : إجاس . وفي انجار : إجار ، وفي خرنوب : خرثوب ، وفي ذرتوح : ذروح ، وفي انجاة : إجاة ، إلى ما لا يحصى ذكره لكثرة ورودهم في لسانهم .

« واكثر ظني ان (الفريونة) هي التي وردت في قاموس شرف باسم (قُطْسان)
 لكن لا أجزم به ، لأن الدكتور شرف ، لم يتعرض لوصفه ؛ وكذلك احمد
 عيسى في معجمه . ولم اجد هذا الاسم في سائر الكتب » انتهى كلام صديقنا
 الدكتور العلامة .

قال الأب أنستاس ماري الكرمل : ان رأي الدكتور الجلي الأول أي
 ان الفريونة هي *Muscari comosum* هو الصواب ، وأما قوله انه بصل القيء
 فبني على معجم احمد عيسى ، فانه ذكر (للمسكاري كوموزوم) عدة مترادفات
 هي : « بصل الزيت » [أي بزايين] - حلال ج : حلال ، بصل القيء - بصل
 بري - بصل المسك - بصيل - الزيت [بزايين] (عربية) - زوزا (مريانية) -
 مدّاد أقرع - ثومة الرعيان - بصل فرق - بصيلة (سوريا) انتهى .

وفي هذا كله من الخلط والخطأ ، ما لا يحتاج الى تفنيد ، لظهوره لكل ذي عينين .
 اما ان (مسكاري كوموزوم) وهو *Muscari comosum* هي الفريونة نفسها ^(١)
 فلا ينكر البتة ؛ لأن الكلمة العلمية اللاتينية تعني الحلحل الأشعر او الشعر
 (ككتف) ، لا الحلحل الأزب (بتشديد الباء) كما قال الأمير مصطفى
 الشهابي ^(٢) ، لأن الأزب معناه الكثير شعر الوجه أما *Comosum* فمعناه الشعر
 او الأشعر ، اي الكثير الشعر ، ومعناه أيضاً المجمع اي ذو الجمّة وهي مجتمع
 شعر الرأس . وقد ذكر الدكتور الجلي ان (الفريونة) معناها ذات الفروة ،
 والمراد بالفروة هنا جلدة الرأس بشعرها ، لأن على رأس زهرتها ما يشبه الشعر
 او الفروة المذكورة .

(١) جاءت صورة الفريونة ، أي الحلحل الأشعر في معجم لاروس الوسيط بحيث لا يشك
 الناظر اليها شكاً دقيقة واحدة . والذي رآها زهرة في نواحي الموصل ، قال : كأن المؤلف
 نقلها عما شاهده في ديارنا العراقية . فهي ترى بكثرة في فصل الربيع .

(٢) معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية - تأليف الأمير مصطفى الشهابي .

مطبعة الجمهورية السورية سنة ١٩٢٣ . صفحة ٢٣٥ مطر ٨

وزد على ذلك انها تؤكل ، ومما يثبت هذه الحقيقة ، كلام معجم لاروس الوسيط ، الفرنسي العبارة ، إذ قال ما نقله الى لغتنا .

« الفريونة وبلغة العلم Muscari comosum وبالفرنسية Muscari chevelu وهو ايضاً الحجل الأشر او الشعر (ككتف) ، هو ما يسميه عوام فرنسة Viciet وما معناه الثوم المجتم ، ثم الحجل المسك M. Racemosum معروفان في فرنسة ويرغب الناس في ان يكونا في جنائهم للزينة ، ولا سيما ان بعض ضروبها تجهض فيها الأسدية في جميع ازهار التبت الواحد ، فتجبي عناقيدها شعيرة جميلة جداً . وبصل هذه الانبة تؤكل لأنها نافعة لدفع التشنج » انتهى تعريباً

٣ — خلاصة

حلّ لنا الدكتور داود الجلي اعظم مشكل من مشاكل نبات العراق . فقد حاول كثيرون معرفة ما يقابل عند الافرنج لكلمة (الفريونة) المشهورة على لسان كل صي موصلي ، فلم يهتدوا اليها واما الدكتور الجلي فقد افادنا بأنها المسماة بلسان العلماء Muscari comosum وباللغة الفرنسية Muscari chevelu فنشكره على ما عناه من النصب ، اذ قضى ثلاثة ايام بلياليها — على ما كتبه اليانا حضرته — وهذا ما يعترف بفضل كل ادب ، عريباً كان أو غريباً .

الأب أنستاس ماري الكرمل

تعقيب

أطلقت في معجم الألفاظ الزراعية على جنس النبات المسمى Muscari ككتي حنجل وبصل الزيت . وذكرت في الشرح ان هاتين الكلمتين وردتا في مقدرات ابن اليطار ، وانني لم اجدتهما في الأسماء من كتب اللغة . ووضعت أمام النوع المسمى بالفرنسية M. chevelu وبلسان العلم M. comosum كلمة حنجل أزب ، أي انني ترجمت Chevelu بأزب ، فاذا بالأب أنستاس ماري الكرمل ينكر

عليّ هذه الترجمة في مقال له في هذا العدد من المجلة عنوانه « الفريونة »^(١) مدعيًا أن الأزب معناه الكثير شعر الوجه ، وإن الترجمة الصحيحة هي الأشعر والشعر . قلت لقد وهم الأب المحترم في حصره معنى الأزب بالكثير شعر الوجه . ولو راجع المعاجم لوجد في التاج مثلاً أن الزَّب في الناس كثرة الشعر وطوله ، وفي الأبل كثرة شعر الوجه والعشون ، وإن الزب مصدر الأزب وهو كثرة شعر الذراعين والحاجبين والعينين ، وإنه يقال امرأة زباء أي كثرة شعر الحاجبين والذراعين واليدين ، وأذن زباء كثرة الشعر ، ومن المجاز داهية زباء كما قالوا شعراء الخ ٠٠٠ ولو راجع الأساس لوجد أن الزب تطلق على كثرة الشعر في الجسد ، وإنه من المجاز قولهم « عام أزب أي خصب » قلت ومن بدائه الأمور أن هذا الاستعمال مرده إلى وفرة الكلأ في العام الخصب .

وبتضح من ذلك أن الأزب تطلق على الكثير الشعر أياً كان ، وإنها تستعمل مجازاً ، وإن استعمالها ترجمة لكلمة Chevelu أمر لا غبار عليه ، وإنه لا يجوز قصر مداني الألفاظ على الأمثلة التي ترد في المعاجم ، وذكر هذه الأمثلة فيها لا يفيد الحصر وهو شيء معروف . ولهذا استعملت في معجمي الأزب والأشعر والشعر والوبر للإنسان والحيوان والنبات على السواء



مصطفى الشهابي

ملاحظات لغوية

نشر الأب أنستاس ماري الكرملي في الجزء الحادي عشر من المجلد العشرين من هذه المجلة مقالاً بعنوان « الكلم العربية في اللغة الفرية » ردّ فيه بعض الكلمات الفرنسية إلى أصول عربية .

وقد راجعت عدداً من المعاجم الباحثة عن أصول الكلم الفرنسية ، ومنها معجم أسكار بلوخ Oscar Bloch المطبوع سنة ١٩٣٢ في باريس^(٢)

(١) الفريونة كلمة حامية تطلق في بعض أنحاء العراق على أحد النباتات .

(٢) اسم Dictionnaire étymologique de la langue française

وهو في مجلدين لا يشتملان إلا على أصول الكلم وتواريخها . والذي يدقق في الفاظ هذا المعجم وينعم النظر في المراجع القديمة والحديثة التي قبل المؤلف عنها يجزم أنه ثقة في أبحاثه .

فألفتها تذكر ان بعض الكلمات التي حاول الأب المحترم ردها الى أصول عربية هي من أصول أخرى . وهاكم بعض هذه الكلمات :

Acheter — لم يرد في أي معجم من المعاجم القديمة او الحديثة ان هذا المصدر الفرنسي يمت الى « اشترى » العربية بصلة ، خلافاً لما ذهب اليه الأب المحترم ، بل رجحوا انه من أصل لاتيني ، وفي معجم بلوخ الذي أشرت اليه نحو نصف صفحة عن أصل هذا اللفظ وعن تحويره بالاستعمال على كر السنين . وليس من المعقول ان يحتاج الفرنسيون الى استعارة مثل هذا اللفظ من العرب وان يستعملوه مئات من السنين دون ان يذكر أحد من علماء اللغة عندهم شيئاً عن صلته بالكلمة العربية .

Agréer — ليست هذه اللفظة من أغرى يغري ، خلافاً لرأي الأب أنستاس ، بل هي وأشباهاها مشتقة من gré وهذه من اللاتينية Gratum ، وهذه الأخيرة من النعت Gratus بمعنى Agréable وكل ذلك منذ القرون الوسطى .

Agrafe — ليست من العقرب العربية بل من فعل قديم هو Grafer ومعناه تثبت الشيء بمقافة وهذا الفعل من Grafe بمعنى العقافة . والاسم الأعجمي الأخير من أصل ألماني قديم هو Grapfo على ما رجحوه .

Aine — من اللاتينية العامة Inguinem لا من العانة العربية وهي باللاتينية Inguen ولما اسماء مشابهة لهذا الاسم في الايطالية والاسبانية والبروفنسية القديمة .

Aigle — من البروفنسية القديمة Aigla أو من اللاتينية Aquila . ولا دليل على انها من العاقلة العربية .

Alezan — تطلق هذه الكلمة الفرنسية على الفرس الأشقر ، لا على الكميت ، خلافاً لما ذهب اليه الأب أنستاس . والكميت بالفرنسية Bai . (أنظر الفرق بين الأشقر والكميت في مادة Robes من معجم الألفاظ الزراعية) .

وكلمة Alezan مستعارة من الاسبانية Alazan وهذه من أصل مجهول . ولم يقدّم دليل علمي على كونها من الحصان العربية . ولكن ردها الى الحصان محتمل لاختلاط الاسبانيين بالعرب قروناً في الأندلس .

م . س

زوج Sex

يترجم أغلب المؤلفين العرب كلمة *sexe* بـجنس، حال كون الجنس يقابل *genre* المأخوذة من *genos* اليونانية، وبنسب أيضاً محرفة من *genos*، ويستحب في الاصطلاحات العلمية أن يكون للكلمة الواحدة مدلول واحد، فعلى أن تقابل *genre* بـجنس ونجد لكلمة *sexe* كلمة أخرى وإن استعمل كثير من المؤلفين كلمة جنس للإفادة معنى سكس كصاحب بحر الجواهر فإنه قال (الجنس كليٌّ مقول على كثيرين مختلفين بالحقائق في جواب ماهو، هذا في اصطلاح للنطقيين، وأما عند الأطباء فيراد به معناه اللغوي كما يقال جنس الذكورة والأنوثة، فإن الجنس في اللغة ما يعبر كثيرين ولا يشترط فيه اختلاف الحقائق، ولا شك أن الذكورة والأنوثة كذلك).
 أراد الدكتور محمد شرف في معجمه أن يستبدل كلمة شقة بـجنس فقال :
 SEX (جنس) — شقة (ج شقائق) «أما النساء شقائق الرجال» وقد عرّبها المحدثون بكلمة جنس والحال أن الجنس يقابله *Genus* بالفرنسية ولهذا وجب التمييز لأمن اللبس. ٥١٠. أقول نعم يجب التمييز لأمن اللبس. ولكن الشقائق الواردة في الحديث الشريف ليست جمع شقة بل جمع شقيقة مؤنث شقيق بمعنى الأخ، وجمع شقة شقق وليس شقائق، وشقة لا تفيد معنى سكس. ثم إن الدكتور خالف نفسه بعد قليل فاستعمل ما أنكره فقال ارتكاس جنسي وانتجاب جنسي وتنقية جنسية الخ.

أن الكلمة العربية الصحيحة المقابلة لكلمة *sexe* هي الزوج. فلقد وجدت كلمة زوج أنت بهذا المعنى في القرآن الكريم في آيات كثيرة، اليكها :
 (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ٠٠٠) سورة فاطر، آية ١١.

(سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن انفسهم وما لا تعلمون) يس ٢٦
 (فاطر السماوات والأرض جعل لكم من انفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذروكم فيه ٠٠٠) الشورى ١١.

(الله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً) الشورى ٤٩ و ٥٠ .
« قال أبو منصور أراد بالتزويج التصنيف ، والزوج الصنف ، والذكر صنف والأنثى صنف . التاج مادة زوج » .

(ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) . الذاريات ٤٩ . « وفسروا الزوجين بالذكر والأنثى » .

(وانه خلق الزوجين الذكر والأنثى) . النجم ٤٥ .

(أيجب الانسان ان يترك سدى . ألم يك نطفة من منى . ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) القيامة ٣٦ - ٣٩ .
(وخلقناكم أزواجاً) . النبأ ٨ .

فهذه الآيات الكريمة لا تدع محلاً للشك في ان سكس بقابله الزوج بالعربية . ولم تفت هذه الحقيقة مجمع فؤاد الأول للغة العربية فقد وضع كلمة زوج مقابل SEX في مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها . ولكنه لما علم ان كثيراً من المؤلفين استعملوا كلمة جنس في هذا المعنى شفعوا كلمة زوج بكلمة جنس (ص ١٩) . ولينهم اقتصروا على كلمة زوج وخصصوا كلمة جنس بـ genus .

(الموصول) الدكتور داود الجلي

التفسير والتوجيه

اني كاتب هذه المقالة وناشرها فصدأ مني الى التحقيق ورغبة في التنبيه والتوجيه ، ولطالما تمكنت ان أقرأ ما ينشر في هذه المجلة الكريمة الوسيلة غير منبث ولا متمكث لأوفر على نفسي راحتها ولا أستجيم قلبي بشيء من القناعة والعزوف عن البحث والتحري الذين لم يجيبا علي ولا وكلا إلي ، فلم أحل من ذلك التمني بطائل ، ولا أعفيت المجلة من التعاليق والاستدراك ، فعلى الله تعالى أتوكل ، واليه أبتهل فأقول بعد التمثل بقول الراجز « لا بد مما ليس منه بد » هذه الملاحظات الضرورية موجزاً فيها :
١ - جاء في ص ١٥ من المجلد الثامن عشر من المجلة « ولنا . . . ما يكفل إعادة

النظر» . وبكفل من الكفالة تتمتعى بالباء لا بنفسه وفي أساس البلاغة « وهو كفيل بنفسه وبماله وكفل عنه لغريمه بالمال وتكفل به » فالصواب ما يكفل باعادة النظر ، اما للانسان فيقال « يكفله » .

يتبع : (بغداد) . مصطفى جواد

حول (القبلة)

قرأت في مجلة المجمع العلمي العربي (م ٢ ج ٧ - ٨ و ٩ - ١٠) ما جادت به قريحة الأستاذ الفاضل العلامة الشيخ عبد القادر المغربي عن نشأة (القبلة) وتكونها فدفعني حب الاستطلاع والتحقيق ان ارجع الى ما بين يدي من المعاجم التركية فتبين لي ان اصل (القبلة) فارسي وهي مخرفة عن (خميرة) . جاء في مادة (خميرة) في (رسملي قاموس عثماني) لصاحبه علي سيدي المطبوع في الآستانة سنة ١٣٢٤ رومية : (خميرة) فارسية معناها (كُله) مخوفة . و (كُله) تركية تطلق على مرمي المدافع وكانت قديماً على شكل كرة والآن هي اسطوانية دقيقة الرأس ١٥.٥ أ.أ. (خميرة) فمركبة من (مُخم) اي (مُحق) دن خمر ؛ و (پاره) اي قطعة . والأتراك اخذوها عن الفارسية وهم بلفظونها (قومباره) ولا يزالون الى يومنا هذا يطلقونها على (مُحق) صغير من فخار عليه شق مستطيل يتسع لمرور (متليك) او قرش مثلاً ، يجمع (يصد) فيه أولادهم ما يأخذونه من آبائهم او اقاربهم من النقود . و (الحُق) الصغير هذا كروي يشبه القبلة الصغيرة وتسحبه العامة في الشام (مَطْحُورَة) وفي الكتب المدرسية (حصالة النقود) . وفي كتب التاريخ التركي ثمر كلمة (خميرة) في سياق الوقائع الحربية ولفظونها (هومباره) بالهاء كما هي عادتهم ، ويقولون (خميره جي) اي ملقي القنابل او صاحب القنابل الخ .

فاذا لفظوها (هومباره) ارادوا بها القبلة الحقيقية واذا لفظوها (قومباره) بالثاف ارادوا بها ذلك (الحُق) الصغير الذي يجمع فيه صغارهم النقود .

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

الصفحة فهرس الجزء الخامس والسادس من المجلد الحادي والعشرون

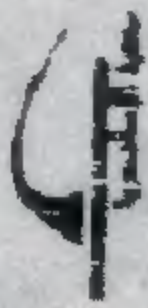
- ١٩٣ من عمل الجمعيين للأستاذ محمد كرد علي .
 ٢٠٥ ابو الهذيل العلاف (٢) للدكتور جميل صليبا .
 ٢١٨ اقرب الموارد (٢) للأستاذ احمد رضا .
 ٢٢٢ الملك الظاهر يبرس (٢) عبد القادر المغربي .
 ٢٣٦ ضرب الحوطة على جميع الغوطة لابن طولون (٢) للدكتور اسعد طلس .
 ٢٤٨ تاج الدين الكندي للأستاذ محمد احمد دهمان .

(مخطوطات ومطبوعات)

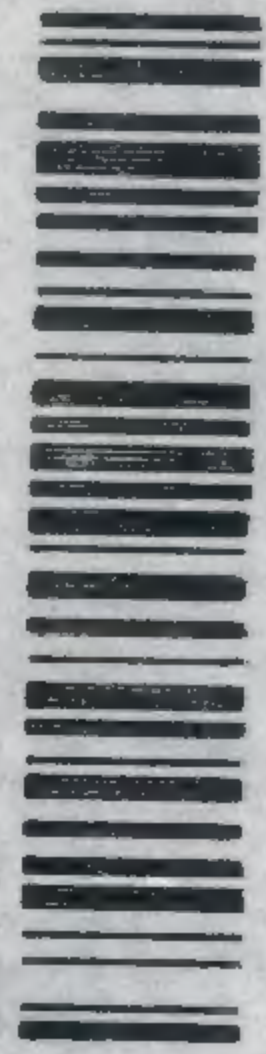
- ٢٥٦ شروح سقط الزند (قسمها الأول) للأستاذ عبد القادر المغربي .
 ٢٥٨ من وحي المرأة محمد اليزم .
 ٢٦٢ منبع الأخلاق والدين للدكتور جميل صليبا .
 ٢٦٤ معانيات الوجدان البديهة = = = .
 ٢٦٥ مركب النقص = = = .
 ٢٦٨ موجز الطب الجراحي مرشد خاطر .
 ٢٧٠ فن التوليد = = = .
 ٢٧١ دمشق القديمة للأمير جعفر الحسني .
 ٢٧٢ بيارستان نور الدين = = = .
 ٢٧٢ صومر = = = .

(آراء وأبناء)

- ٢٧٣ الحكومة المصرية تتبرع بألفي جنيه لمكتبة المعري
 ٢٧٤ الاستعمال محكم للأستاذ محمد كرد علي .
 ٢٧٩ الفريونة للأب أنستاس ماري الكرملي .
 ٢٨٢ تعقيب للأمير مصطفى الشهابي .
 ٢٨٣ ملاحظات لغوية = = = .
 ٢٨٥ زوج Sexe للدكتور داود الجلي .
 ٣٨٦ التنبيه والتوجيه مصطفى جواد .
 ٢٨٧ حول القنبلة محمد صلاح الدين الكواكبي .



Bibliotheca Alexandrina



0652758